اميل حبشي الأشقر

بلقيس ملكة اليمن ٢

/http://arabicivilization2.blogspot.com
Amly

دار الأندلس

روايات تاريخ العرب والاسلام

أميل حبشي الأشقر

بَلقيسُ مَلِكةُ اليمَن

رواية تاريخية أدبية غرامية

الجزء الثاني

دار الأندلس
للطباعة والنشر والتوزيع

Amly نهضة العرب

الطبعة الثانية
١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

جميع الحقوق محفوظة

دار الأندلس - بيروت، لبنان
هاتف: ٣١٧١٦٢ - ٣١٦٤٠١ - ص.ب: ١١٤٥٥٣ - تلكس ٢٣٦٨٣

نهضة العرب

Amly

http://arabicivilization2.blogspot.com
Amly

٤٠

ارخى الليل سدوله عـلى مأرب ، وآوي بعض رجـال البلاط الى غرفهم مستسلمين الى النوم

فخرج ولي العهد مع الاميرين ، عتيك وذي تبع ، وجعلوا يطوفون في السوق ثم في الاحياء التي يكتنفها الظلام ، ثم داروا من وراء حي مهجور متجهين الى قصر شرحبيل .

ولكن عباداً ، غلام الملك ، كان وراءهم ، يمشي كلما مشوا ، ويقف كلما وقفوا ، حتى انتهوا الى فناء القصر !

أجل، ان غلام الملك ، انما وجد في البلاط لغاية واحدة ، هي قراءة الاسرار، واقتفاء الآثار .

على ان دهاء وتار ذمر وذي القرنين لم يحجبا دهاء امير ظفار ، ان عينه كانت عين ذئب لا تنام ، وعزيمته عزيمة ثابتة جبارة يغذيها حب الانتقام .

واللؤم والمكر من طبع ناشر ، والحيلة سلاح له فلا يستطيع غلام الملك مهما يكن داهية ان يهزأ به .

لقد رآه يترك البلاط بعد خروج ولي العهد منه وكان قد بدأ مهمته التي هي معالجة الملك والسهر على راحته .. ففعل كما فعل ، اي انه ترك البلاط مثله ومشى وراءه بلباس الغلمان عندما كان يمشي هو وراء الآخرين .

ولما تغلغل الامراء الثلاثة في فناء قصر شرحبيل ، رجع قبل ان يرجع ، وخلع الثوب الذي تنكر به ، وسبقه الى غرفة الملك ، لينقل اليه حكاية تلك الزيارة قبل ان ينقلها ذلك الغلام ، فيحفظ بهذا تلك الثقة الغالية التي وضعها به مولاه .

وهي فكرة غريبة وجريئة ، لا تخطر الا لامثال امير ظفار .

فقال له الملك : ماذا فعل ولي العهد عندما بلغه امر ابيه بشأن الحرب ؟

ـ وماذا يفعل يا مولاي ؟ امر بالرسالة فكتبت لسامور ، ثم اقبل يحادث قواده وينظر معهم في شؤون الجيش .

ـ ولكني لم اره بعد ذلك ، فاين هو الآن ؟

ـ جئت يا مولاي لاقول لك اين هو . لقد غادر البلاط منذ ساعة الى احياء مأرب ثم الى قصر شرحبيل بن عمرو .

فكاد صدر الملك يتمزق من سعاله وغيظه ! ان ولي عهـده لا يذهب الى قصر شرحبيـل الا ليرى بلقيس ! ! وهي المـرة الاولى التي يزور فيها هذا القصر .

ثم قال: وهل ذهب وحده ؟

ـ لا يا مولاي بل رافقه عتيك وذو تبع .

فجعل يهز رأسه ويقول : ولي العهد يزور عدو العرش بدون اذن الملك ؟! ـ ان بلقيس اذن ستصبح ملكة ... هذا .. اذا بقيت ! .

ـ مع اني عرفت يا مولاي انه سيجعلها من حظاياه ولن قتل شرحبيل ،

ـ اما انا فلا اصدق كلمة واحدة مما تقول، لقد تعلم عمرو الدهاء وهو يجرب دهاءه بابيه وبك انت امين سره .. واقسم بتربة حمير انه كاذب .. لا لا .. ان الملك لايرضى بهذا وسأحطم العرش بيدي اذا انا عجزت عن تحطيم عز شرحبيل . ايه يا عمرو لقد خدعت الامراء جميعهم ولكنك لست قادراً على ان تخدع اباك الذي يعرف الرجال اكثر مما تعرفهم انت .. لك ان تزور بلقيس عندما تشاء ولك ان تضع يدك بيد شرحبيل وتعاهده على الوفـاء . ولكن لا تنس انك تعاهد فتاة ورجلا يفاجئهما الموت بعد حين .

واستوى جالساً وهو يهم بالنهوض من فراشه والذهاب الى قاعة العرش ليعود ملكا كما كان . ولكن السل القاهر كان يقيد رجليه بقيود من الحديد لا تستطيع ان تجرها قواه .

اما ناشر فقد استلذ مظهر الملك وبدأ يهضم فريستـه ولم يشأ الا ان يستغل الموقف من جميع نواحيه ، فقال وهو يتظاهر بالاكتئاب : لا تغضب يا مولاي فولي العهد لا يتزوج بلقيس وانا حي!

فتنهد قائلا : لقد اقسم شرحبيل في هذا النهار انه لا يزوجه ومع ذلك فقلبي

Amly نهضة العرب

يحدثني بان هنالك شراً وباني لا اغمض عيني حتى يستولي ابن عمي على عرش آبائي ويطمس الزمان ملك ذي القرنين وذكره الى الابد .

قال : الا يجوز ان تكون حرب الحبشة هي التي دعت ولي العهد والاميرين الى زيارة ابن عمك ؟

واي رأي لشرحبيل في هذه الحرب وهو باق في مأرب لا ينقل اليها قدما . اني واثق بك يا ناشر فلا تغفل عن عمرو وانقل غداً امر الملك الى قواد الجيش بان يعدوا عدتهم ويتهيأوا للرحيل .

ــ سأفعل يا مولاي .

ــ ولا تنس ان تقول لولي العهد ان الجيش اليمني يجب ان يكون على ذلك الشاطىء قبل ان يصل اليه الحبشان .

ــ نعم يا مولاي .

واستأذن في تلك اللحظة غلام الملك ودخل .

فناجاه مولاه قائلا : اين كنت يا غلام ؟

فرأى المسكين الغضب في عيني الملك فتردد قليلا ثم اجاب بصوت ضعيف قائلا : لم اترك البلاط يا مولاي .

فنهض امير ظفار عندئذ وطلب ان ينصرف ، فقال له الملك : أتعرف من هذا ؟

ــ اعرف انه من غلمان الكاهن الاعظم .

ــ اما اليوم فقد اصبح من غلمان البلاط .. اذهب يا ناشر واحذر ان تنسى ما اوصيتك به ..

فانصرف وهو يهزأ في سره بالملك وغلامه .

ثم قام عباد فقال : بل كنت خارج البلاط ولم ارد ان ذكر لــك شيئاً امام ناشر ا .

ــ آمرك بان تثق به كما تثق بي فهو يحب الملك ويفديه بروحه . . قــل اين كنت في هذا الليل ؟

Amly نهضة العرب

ـ لقد خرج ولي العهد من القصر فلحقت به ...
ـ ثم رأيته يدخل قصر شرحبيل بن عمرو ، أليس كذلك ؟
ـ نعم يا مولاي .. ولكن من ذكر لك هذا ؟
ـ الامير الذي اردت ان تكتمه سرك
ـ وهل قص عليك حديث ولي العهد مع رفيقه ؟
ـ وما هو حديثه ؟
ـ كان يظهر للاميرين رغبته في رؤية بلقيس ويذكر لهما غرامه ..
ـ وانت تسمع ايها اللعين ؟
ـ كنت اسمع كل شيء يا مولاي .
قال : احذر يا عباد فالملك لا يطيق ان تكذب .
ـ وانا اقسم لك اني لا اعرف ما هو الكذب .
ـ حسناً ، فانصرف الآن على ان تعود الي عندما يرجع الامراء الذين ذكرت
ـ ولكن امرتني يا مولاي بان اثق بامير ظفار فهل افعل ؟
ـ احل ، ولا تكتمه كلمة مما تسمع .. ثم وضع يده على جبينه قائلا : لا تقل له شيئاً الا اذا امرتك .

فانحنى الغلام وخرج ، اما الملك فاستلقى عـلى فراشه لا ليغمض جفنيه ، بل ليفكر في ولي عهده وفي هذا الداء الذي قيد يديه ورجليه .

***

٤١

كانت بلقيس قد تهيأت للقاء الحبيب ..

وقد سألت اباها ان يستقبل ولي العهد كما يستقبل الملك اذا خطر له ان يزوره.

فلما اقبل القوم عـلى الفناء جثا العبيد والغلمان على ركبهم بامر شرحبيل ،

Amly نهضة العرب

وصافحه الامير وولده المدهاد بالاحترام والاجلال .

اما بلقيس فلم تظهر في الدهليز كما كان يظن ذو تبع بل وقفت في قاعة القبة كالملكة تنتظر ملكاً .

ونور وجهها يشبه تلك الانوار المتلألئة في كل رواق من اروقة القصر .

وكانت تنظر الى الباب لتتبين ولي العهد الذي يخدع اباه ويبذل ملكه كله في سبيل الفتاة الحسناء التي لم ير لها وجهاً .

والقلب يخفق غراماً ويكاد يذوب حباً .

ان حبيبها الهمداني مع ولي العهد فليس عجباً ان يضطرب، ذلك القلب العاشق الفياض بالعاطفة

وكان عمرو يتلفت عن جانبيه وهو في الدهليز عله يبصر بلقيس في زاوية من زواياه وامير همدان يرسل اليه سهاماً من عينيه ويحس بالنار ، نار الغيرة القاتلة تضطرم في داخله وتحرق احشاءه .

حتى بلغ القوم القاعة فرأوا فتاة هيفاء تغمر ثغرها الابتسامة العذبة ، وتنشر عيناها شعاعاً من الهيبة والوقار والجمال تمد يدها الى ولي العهد ، وتنحنى له بعظمة الملكات .

ثم تصافح الاميرين الآخرين وتدعو الجميع الى الجلوس كأنها ربة القصر العظيم الذي يشبه قصر ذي القرنين ، وكأن أباها ابن عم الملك واخاها وارث امجاده ، لا وجود لها

ثم رأوا ولي العهد الرافل بثوب المجد والعز، المتمرغ في احضان النعمة والجاه ، رأوه وهو اعظم الامراء شرفاً وابعدهم نفوذاً ، يقف امام بلقيس الفتانة كما يقف اليمني في هيكل آلهته وقد بهر جمالها عينيه ..

وقد نسي مقامه ، بل نسي نفسه . . فجعل ينظر اليها نظرة العاشق المفتون الذي يملاء الحب قلبه والاعجاب نفسه .

ولكن بلقيس لم تشأ ان تستسلم الى احساسها الكاذب ، اكثر من لحظة ، فحولت نظرها عنه لتحيي بعينيها الصافيتين ذلك الحبيب النبيل تحية الاخلاص

Amly نهضة العرب

الصادق والوفاء الدائم .

ثم جلست بالقرب من امير نحلة وقالت لعمرو :

كيف هو مولانا الملك في هذا الليل ؟

فقال وهو لا يعلم ماذا يقول : لقد نهكه الداء واستولى عليه الهزال والضعف.

قالت ان اليمن كلها تدعو له بالشفاء .

ــ ولكنه لم ير بلقيس .. وهو لو رآها لرجعت اليه العافية .

فامست لهجتها لهجة عتب ولوم وهي تقول :

يخيل الي انه يؤثر الموت على ان يرى هذا الوجه .

فصبغ دم الخجل خديه ثم قال : انقل اليك شرحبيل بن عمنا حديث الملك؟

ــ اجل ولم يكتمني كلمة منه يا ابن العم .

ــ ولكنه حديث املاه عليه ضيق صدره ..

ــ بل هو حديث املاه بغضه وايثاره نفسه على ولي عهده !

قال : وما الذي تعلمه الاميرة عن هذا البغض ؟

ــ اعلم انه يرغب في ان اكون من حظاياه !

ــ وانا اعلم انك ستصيرين زوجة لولي عهده الذي سيجلس على عرش حمير!

ــ غير ان الملك لا يرضى وليس على ولي العهد الان يختار له فتاة من بنات الملوك ترضي أباه .

فاسودت الدنيا في عينيه وتمتم قائلا :

يختار الملك لنفسه من يشاء ويختار ولي العهد من يشاء .

قالت: لو كان لك يا ابن العم هذا الحق لما مد الملك اصبعه في امر زواجك، ولما اهان ابن عمه اليوم تلك الاهانة التي لا يزال اثرها في صدر العربي الشريف . اي ذنب جنته بلقيس حتى استحقت غضب الملك ؟ بلى ، انها ارادت ان تصون عرضها وتحفظ شرفها وشرف قومها فلم يطق الملك ان يرى ابنة عمه عالية الجبين شريفة النفس ولم يستطع الا ان يجاهر اباها بالعداوة بقوله : اقسم لي ان بلقيس لا تزف الى ولي العهد .. اتعرف ما معنى هذا يا ابن العم ؟ معناه ان اباك يخشى

ان يموت وتصبح بلقيس سيدة بلاطه .. ألا فلتطب نفس الملك ولتقر عينه فانا لا انتهك له حرمة ولا اخالف له امراً وهذا ولده سيـد اليمن والنساء جميعهن بين يديه فليفعل ما يطيب له وليجعل زوجته اخت سابور الفارسي او بنت ملك الروم ...

ثم خفضت صوتها قائلة :

لقد بحت الآن بما كنت عولت على ان لا ابوح به لاحد ، ولكني اردت ان تحسن ظنك بي وتقول في نفسك يوم ينتهي اليك امر الملك: لقد كـانت لبلقيس كرامة احسنت الدفاع عنها ، وعز عرفت كيف ترفعه عن مواقف الذل ..نعم، اقول هذا امام هذين الاميرين اللذين لا اعرفهما وأنا ارجو ان يكون لي عذر في دفاعي عن نفسي فبنت شرحبيل اذا كانت ادنى مقاماً من الملك فهي تساويـه بالنسب ، وحمير جدي كما هو جده .

قال : ان الملك لم يقل شيئاً مما تذكرين .

قالت : لنفترض انه قال لك كل هذا فانت لا تذكره .. ومع ذلك فـاي شأن لي مع الملك اذا اراد ان يبعدني عن بلاطه ؟

ــ ولكنه لا يستطيع ان يفعل ما تقولين .

ــ بل يفعل كل شيء فليس في اليمن ملك سواه .

كما انه ليس في اليمن ولي عهد آخر يفعل ما يشاء ولا يبالي .. قلت هـذه الكلمة منذ لحظة واعيدها الآن .

قالت : انها كلمة يقولها الملك وحده ..

ــ ويقولها ولده الذي يخاطب بلقيس وسترين اني لا ارجع عمـا قلت ولو استعان الملك علي بجنوده .

فابتسمت ابتسامة فيها شيء من الاستهزاء وسكتت ، وهي تنظر الى الاميرين نظرة حذر وخجل .

قال . الا تصدقين ما اقول ؟

ــ بلى ولكني لا اريد ان ينتهي بك الامر الى هذا الحد . اتظن انه ليس في

Amly نهضة العرب

العرب فتاة تشبه بلقيس حتى تشهر السيف من اجلها في وجـه ابيك ويحرمك حقك بالعرش ؟

فبرقت عيناه قائلا :

اما اني لا اجد مثلها فلا . . واما ان الملك يحرمني حقي فهذا لن يكون والا فتربة حمير لأملأن مأرب جيوشا وآخذ هذا الحق على رؤوس الحراب !

واطل غرامه من عينيه ، وراح ذلك المستهتر يشرح هواه كأن بلقيس وحدها في تلك القاعة وليس للقوم وجود .

وكان يقول :

مري ولي العهد بما تشائين فالعالم كله لا يستطيع ان يبعده عنك بعد الآن ، وان يغير كلمة مما سيقوله .

اسمعي ما اقول ، هذا ابوك حاضر وهؤلاء الامراء يسمعون . اني اسأل ابن عمنا شرحبيل ان يعدني وعد شريف بان يزفك الي بعد رجوعي من مهرا ، وانا اعد بشرف آل حمير اني اتخلى عن كل شيء لي اذا قضت الحاجـة بذلك ولا انكث لك عهداً

فارسلت عيناها شعاعا غريبا وهي تقول :

ولكني اسمع الناس يقولون ان الملوك ليس لهم عهد فهم يعدون عندما تطيب لهم الوعود ثم ينسون وعودهم عندما يبلغون الغاية وتقضى الحاجة .

قال : ليس لولي العهد غاية الا ان تمسي ربة القصر كما قلت .

فعرفت الاميرة مقامها . فابتسمت ثم جعلت تنظر الى القوم وهي تتردد في الجواب وفي ذلك التردد شيء من الدلال .

وكان هنالك قلبان تضطرم فيهما نار الحب ، قلب ولي للعهد العاشق الولهان وقلب ذي تبع الذي تنهشه الغيرة القاتلة .

وقد ذعر عمرو لذلك التردد الذي رآه ، فالتفت الى شرحبيل قائلا : كلمتك ايها الامير !

قال : اما انا فقد وعدت وانتهى الامر !

Amly نهضة العرب

ــ ولكن الاميرة لم تعد كما رأيت !

فخافت بلقيس ان تجود بذلك الوعد الغالي فيخرج امير همدان عن حـــده فيفضحها ويفضح نفسه ، فقالت :

لا تتعجل في امرك يا ابن العم فبلقيس باقية في مأرب وانـــت قـــادر على استعطاف الملك حتى يرضى !

فحملته اجنحة الحب الى سماء العظمة والعز وجعل يقول : ان لم يرض الملك اليوم رضى غداً فالزواج لا بد منه وهو اعجز عن ان يحول بيني وبينه .

فقالت في نفسها : لقد اتت الساعة ...

وتفرست في ذي تبع قائلة : من هو هذا الفتى ؟

فاجابها قائلا : امير من اعظم امراء اليمن يا بلقيس انه صاحب همدان وهو من اصدق الناس في خدمة ولي العهد . اليس كذلك يا ذا تبع ؟؟

ــ بلى يا مولاي فانت مليكي ودمي ودماء قومي تبذلها عندما تشاء ...

فابتسم ابتسامة الرضى واومأ الى عتيك قائلا :

وهذا عتيك بن روضه امير نخله الذي يجود في كل ما يملك في سبيل مولاه !

ــ أيذهبان مع ولي العهد الى الحرب ؟

ــ ايذهب ذو تبع ويبقى عتيك الذي يطيب له ان يقص على الملك الحكايات

قالت : اخشى ان يقل حولك الانصار في مهرا فتظفر الحبشة .

وتظاهرت بالخوف .

فقال : اطبق شفتي في الحرب على اسم بلقيس ثم اخوض المجال وحدي واعود ظافراً ...

ــ ولكن هذا لا يكفي يا ابن العم .

ــ بل يكفي ، فعدي بانـــك ستكونين لي وانا اعبر البحر واغزو الحبشة ولا ابالي ...

فاطرقت قليلا ثم قالت : اخاف ان يدفعني هذا الوعد الى ما اكره .

ــ ماذا ؟

Amly نهضة العرب

ـ بل اخاف ان ينتهي بي وعدي الى الموت .

ـ وكيف ذلك يا بلقيس ؟

فاجابته بهدوء : ستسأل اباك غدا ان يأذن في الزواج فيأبى فتصبح بين امرين اهونهما ان تترك بلقيس الى الابد .

قال : اهون علي الخروج عن طاعة الملك !

قالت : لا تهزأ بي .

قال : اقسم لك اني سأفعل اذا قضت الحاجة .

قالت : لا تنس ان الملك يستعين على اموره بالسيف ولا يعبأ بولي عهده اذا هو لم يسمع له !

ـ انه لم يعد قادراً على الالتجاء الى ما تقولين .

ثم بالغ في زهوه وقال : وولي العهد الذي ترينه الآن هو الملك !

فانحنت قائلة : اذن اسألك يا مولاي الملك ان تفكر فيما تقول قبل ان تعد به ...

ـ لقد فكرت في ذلك قبل ان اجيء ولست براجع الى البلاط الا اذا وعدت ...

فقالت لابيها : الا تخاف ان يغضب الملك يا مولاي ؟

ـ بلى ، ولكني لا استطيع الا ان اطيع ولي العهد .

فخرجت عندئذ من فمها تلك الكلمة العذبة التي ينتظرها الفتى المغرور قائلة له :

انا لك ...

واحس امير همدان ان سهما يخترق قلبه .

اما عتيك فقد بدت ابتسامة الظفر على شفتيه .

* * *

Amly نهضة العرب

كان الملك يسعى الى تحطيم آمال شرحبيل بالعرش ، والداء الذي لا يلين يمشي بخطى واسعة هوجاء ويدفعه بيديه الحديديتين الى الموت .

أجل ، لقد كانت تلك الليلة ليلة ألم تغلغل فيها اليأس الى صدر الملك واستولت عليه ثورة الخيبة التي هي ثورة الجنون .

ايكون ملك حمير ، وهو عاجز عن انقاذ عرشه واضعف من ان يرد ولي العهد الى هداه ؟ وهل يقضي الفاتح الجبار لياليه بين جواريه يستند اليهن في قعوده ونومه يستعين بهن على رفع رأسه ؟

نعم ، تلك هي حال ذي القرنين .. وقد اشتد الداء في ذلك الليل وجار ، وخرجت دماؤه من صدره فيها قطع روحه ، حتى تلاشت قواه ونسي بلقيس وشرحبيل وولده وعرشه .

لقد عاد غلامه عباد ينقل اليه خبر رجوع ولي العهد ومن معه الى البلاط . فلم يشأ ان يفتح عينيه ، بل لم يستطع ان يعالج ألمه بشيء من الصبر .

كان يري شبح الموت وعيناه مغمضتان ، ويضع يديه على صدره ليسكت ثورة النار المضطرمة في داخله .

فرجع عباد الى الحجرة التي اعدت له ، على امل ان يخبره في الصباح ، ما لم يخبره اباه ، في ذلك الليل !

وكان ناشر قد قص على ولي العهد كل شيء فهم بان يدعو عبادا ويضرب عنقه في تلك الساعة ثم يأمر عبيده بان يحملوا جثته الى وتار ذمر !

ولكنهم منعوه ، واستطاع عتيك ان يقنعه بان الحكمة تقضي عليه بالاستسلام الى الصبر والهدوء ، والظهور بمظهر الجاهل الذي لا يعلم شيئا مما يحدث في البلاط .

كما انه وعده بانه سيحبط مساعي عباد ويضيع دهاءه ودهاء سيده الكاهن الاعظم .

ثم جعل الجميع يتهامسون ، وانتهى ذلك التهامس ، الى ان يزور عمرو اباه في تلك الساعة ويقص عليه خبر ذهابه الى قصر شرحبيل ، ثم يصف له تلك الغاية

نهضة العرب Amly

التي دفعته الى الذهاب .

ومشى ولي العهد مترددا، وهو يرى غضب الملك ماثلا امام عينيه .

وكان الصمت الرهيب يسود حجرة المسلول ، حتى خيل الى الفتى ان الملك وجواريه يغطون في النوم .

فدخل وهو يحبس انفاسه ، فرأى الجواري حول الفراش ، ورأى اصفرار الموت يغمر وجه المريض الضعيف ، الذي انهكته الآلام .

فقال وهو لا يخفض صوته : لقد نام الملك وسأراه عند الصباح .

ففتح ذو القرنين عينيه لصوت وحيده وتمتم قائلا :

لقد جفاني النوم يا بني ولم يطبق الملك جفنيه الا على ألمه .

ومد يديه الى الجواري يستعين بهن على الجلوس .

فقال : صبراً يا مولاي فسيزول هذا الالم بعد حين .

ــ بل قل ان ساعة الملك قد دنت وان الموت يزحف اليه وسينشب مخالبه . اين كنت الآن يا عمرو ؟

ــ كنت في قصر شرحبيل يا مولاي !

فظهرت تالك الابتسامة الصفراء وجعل يقول :

نعم ، خير لولي العهد ان يسامر شرحبيل بن عمرو من ان يسامر اباه ! وماذا رأيت في قصره ؟

ــ رأيت فتاة ساحرة العينين فتانة المحاسن .

ــ اذن رأيتها كما وصفت لك ؟

ــ بل كان الوصف اضعف من ان يبلغ الغاية .

ــ وقد عولت على الزواج يا بني ، أليس كذلك ؟

ــ لا يا مولاي بل عولت على قهر شرحبيل بجعل بلقيس حظية للملك ولولي عهده من بعده .

فتنهد الداهية قائلا : ولكن شرحبيل سيقهر الملك وولي عهده يجعل بلقيس ملكة .

Amly نهضة العرب

فقهقه الفتى ضاحكاً كأن اباه في مجلس شرابه وقال : سترى يـا مولاتي اي رجل هوَ ولي عهدك !

قال : ألا تحدثني يا عمرو بكل ما جرى لك ؟

ــ بلى ، لقد سألت ابن عمنا ان يفي بوعده ويأذن في الزواج .

ــ وكان ذلك الوفاء ، وانتهى الامر !

ــ ولكنه تردد كثيراً في جوابه وكان خائفاً !

ــ لماذا ؟

ــ لانه غير واثق بان ولي العهد سيتزوج بلقيس .

فبرقت عيناه قائلا : لا تكتم اباك ما فعلت يا عمرو فالامر اعظم مما تظن .

قال : لو اردت الكتمان لما أتيت في مثل هذه الساعة انقل اليك خبر ذهـابي وما حدث لي .

ــ وبعد ذلك ؟

ــ اقسمت لشرحبيل اني سأجعل ابنته زوجة لي فاستسلم اخيراً ورضي بما طلبت .

ولكن جاء عندئذ دور بلقيس فترددت ما طاب لهـا التردد ثم رأيت اخيراً ان ترددها كان دلالا !

ــ ومتى تصبح حظية لك ؟

ــ عندما تنتهي الحرب بيننا وبين الحبشان .

فقال في نفسه : اخدع اباك يا عمرو ما شئت ولكن لا تنس انك اضعف منه في ميادين الخداع .

ثم قال له : لقد احسنت يا بني فاذا مات ابوك مات قرير العين بولده الذي يصلح لعرش حمير .

فقام ولي العهد يستأذن في الخروج .

فاستوقفه قائلا : ألم تنظر بعد في امر الجيش ؟

ــ سافعل غداً كلما تشاء وسيكون الجيش اليمني عند حسن ظن الملك به.

Amly نهضة العرب

قال : أرى ان ترسل الرسل الى الاقاليم في هذا الليل وليكن عددالجيش اكثر من عشرين ألفاً .

ــ سنجعله ثلاثين الفاً يا مولاي .

ــ وليدع صاحب همدان قومه جميعهم ليحملوا السيف ولا تنس هذا ..

ــ نعم يا مولاي !

ــ واذا رأيت ان تضم الى جيشك جيش ذي مغار والغوث بن راهط وجبار ابن دوير فافعل ..

ــ ولكنهم اعداء الملك يا مولاي !

ــ والملك يريد ان يرسل اعداءه الى الميادين .

قال : اخشى ان تستيقظ العداوة في صدورهم ونحن في ساحه الحرب .

فسكت الملك لحظة ثم قال : اي انك تخاف ان يخونوا اليمن وينضموا الى جيش العلى اسكندي ؟

ــ اجل ومن يعلم فقد يخطر لهم ان يفعلوا ذلك فنخسر الشرف وتهزأ بنا العرب .

فقال : اذن دعهم في مخاليفهم فلا حاجة لك الى احد منهم الآن !

ومد يديه من جديد الى الجواري فساعدنه في الاستلقاء وكان ذلك امراً لولي العهد بالانصراف الى حيث يشاء كأنه لا يطيق النظر الى ذلك الولد الخائن الذي يماشي اعداءه ! ..

وعندما أغمض عينيه ، اغمضهما على فكرة هائلة كانت تجــول في صدره المختنق ...

* * *

في مساء اليوم الثاني أقبل الغوث بن راهط على قصر شرحبيل ومعه عبدان له يقودان فرسيه .

وقد مر بذي مغار – وهو في مخلافـه – قبل قدومه ، وتعاهد الاثنان على المجيء الى مأرب ، الواحد وراء الآخر ، كي لا يلفتا اليهما العيون .

وكان شرحبيل يعرف مقام الغوث في بلاد قومه ، كما كان يعرف منزلته واباء نفسه ، وعظمة امارته .

فلما خبروه بوصوله ، عجب لهذه المفاجأة . ثم ايقن بانه ثائر ، وان قتل جرول واخيه أخرجه عن حده وهيج عشيرة بني سعد .

ومتى ثارت بر قش ثارت بينون ، وامتدت النار الى المخاليف التي تجـاور الامارتين ، وهذا ما يرغب فيه شرحبيل ورجال المؤامرة الذين عرفت .

ولم يكن بين الاميرين عهود ولاء ووفاء ، بل كان هنالك تعارف ، يضمر كلاهما معه للآخر ، شيئاً من الاعجاب والاحترام !

وشرحبيل ، في نظر الغوث ، اعظم امراء اليمن وابعدهم نفوذاً ، لانه من سلالة حمير ، وهو ابن عم ذي القرنين .

دخل امير براقش ، فهش له شرحبيل وابتسم وتقدمه الى قاعـة الجلوس ودلائل البشر تبدو على جبينه الوضاح .

ثم اقبلت بلقيس والهدهاد وتم التعارف بين الثلاثة .

ولكنهم لم يبدأوا حديثهم حتى دخل ذو مغار ، فقال له شرحبيل : يخيل الي ان بينك وبين الغوث عهداً على المجيء في هذا الليل .

– نعم وهنالك امر لم نستطع الا ان نشاورك فيه .

فنظر الى الغوث كأنه يسأله عن ذلك الامر فقال :

الا تعلم ايها الامير كيف استخف الملك بي وبقومي ؟

فأجابه قائلا : بلى ولكنها ساعة جنون ، وللملك ساعات يستخف فيها بجميع الناس .. أتعني قتل جرول ؟

– أجل ، وهؤلاء قومه بنو سعد لا يريدون الا ان يلجأوا الى السيف ليغسلوا عارهم !

قال : لا تتعجل ايها الامير فالملك لا يعبأ بالسيوف عندما يشفى ...

نهضة العرب Amly

ـ ونحن لا نطيق ان نسكت على ذل ..
ـ خير لك ان تصبر من ان تغوص براقش في لجة الفناء !
وكان ذو مغار ساكتاً والابتسامة لا تفارق ثغره ؟
فقال الغوث : ولكن انصار براقش لا يسكتون وهم الامراء اصحاب المفاخر والجاه .
قال : اذكر هؤلاء الامراء يا ابن راهط .
قال : جبار بن دوير ..
قال : اراه يضن بدماء قومه فلا يبرز الى الساحة .
ـ لقد وعدني بذلك وهو ينسى ما وعد .
ـ وانا اقول انه لا يخوض المجال الا اذا رأى حوله نصف اليمن .
قال : كنت اظن ان الامير الاكبر سيغضب معي لكرامة بني سعد .
ـ وكيف اغضب لها وهي ليست لي ؟؟ أفلم يعلم الغوث بن راهط ان الملك استخف بي ، وانا ابن عمه قبل ان يستخف به ؟ فلماذا لم يغضب الغوث ويغضب بنو سعد معه لكرامة شرحبيل التي هي كرامة الامراء ؟؟ قل يا ابن راهط ..ماذا فعلت عندما اراد الملك ان يذلني ويعبث بشرفي ؟ احملت سيفك وتقدمت قومك الى مأرب لتدافع عن الكرامات ؟؟ ارفعت صوتك في براقش وملأت اليمن وعيداً وتهديداً ؟؟ ماذا فعلت ؟ لقد ضحكت في سرك وهزأت بشرحبيل الذي تسأله الآن ان يكون عوناً لك ؟
وكان الفرح يملأ قلب شرحبيل في تلك الساعة لظهور هذا الصبر الجديد الذي يساعده في امره .
وجعل يحدق الى الغوث ويحاول ان يقرأ ما في نفسه . فقال : لا اصدق ان ذا القرنين يحاول ان يذل ابن عمه ..
قال : اسأل ذا مغار ..
ـ بل اسألك انت ايها الامير وارجو ان تثق باني لا اعلم شيئاً مما ذكرت .
فقال ذو مغار : صدق الغوث فهو لا يعلم شيئاً كما قال .

نهضة العرب Amly

فاوماً شرحبيل الى بلقيس قائـــلا : اترى هذه الفتـــاة ؟ ان الملك ارادها حظية له !

ــ ألم يكتف بمن في قصره من نساء ؟

ــ لا بل كان يطمع في بلقيس ليذل اباها ويخفض رأسه !

فنهض قائلا : اقسم للامير ان براقش ومن فيها من عشائر ملك له ؟

ــ واذا ندبت هذه العشائر الى حمل السيف الآن ؟

ــ لا يمر شهر حتى ترى سيوفها تلمع في مأرب .

ــ ويفعل مثالك جبار بن دوير ؟

ــ نعم فقد تهيأ للامر وسيقود جنوده عندما تصل اليه كلمة الامير .

ــ اذن فانتم تلجون في طلب الحرب .

ــ اجل ولا نرضى بالخروج عن طاعة الملك . بل نرغب في قتله وقتل ولي عهده وجعل العرش لامير حميري تحترمه اليمن هو انت !

قال : ان الساعة التي تفكر فيها لم تأت بعد .

فقالت بلقيس : ولكنها آتية فليكن الامير على حذر وليتهيأ لها .

ثم قالت : ستنشب الحرب بين اليمن والحبشة بعد شهر عـــلى الا كثر فهل تعرف هذا ؟

ــ عرفت ذلك في هذه الليلة وأنا في مأرب .

ــ وقد يخطر للملك ان يدعوك ويدعو جباراً الى اخمـــاد نارها فماذا تصنع اذا فعل ؟

ــ اترك اليمن الى نجد او الحجاز ولا اعود الا بعد ان يرحل الجيش الى مهرا وتتلاحم السيوف .. ولكن الملك لا يفعلها ولا يخطر له ان يندبني الى حرب .

ــ وهل تعد الآن بان تطيع ابي في كل امر يأمرك به ؟

ــ لقد اقسمت ان براقش له ولست براجع .

ــ ويطيب لك ان يتربع ابي في العرش اليس كذلك ؟

ــ نعم ولا يصفو لي عيش حتى يغطي التاج رأسه .
ــ اذن فاعلم ان ملك ذي القرنين سيزول ، وان التاج الذي ذكرت سينتقل من رأسه الى رأس شرحبيل .
وجعلوا يتحادثون ويستعرضون القوى ، فرأوا كما قـالت بلقيس ان ملك ذي القرنين سيزول .
ولم يخطر لاحدهم ان الاقدار ستغير ذلك المهناج الذي وضعوه .

* * *

٤٢

كانت صفوف الجيش تزدحم في مأرب ، وولي العهد يزور كل ليـلة قصر شرحبيل فلا يرى غير مظاهر الحب ولا يسمع غير كلمات التكريم والاعجاب .
اما ذو تبع فقد استطـاع ان يختلس في احدى الليـالي بضع ساعات ، ويشكو الى حبيبته غيرته وهواه ، ويصغي من جديد الى تلك النصائح التي تعلله بالآمال والمنى .
وبعد بضعة ايام غادر الجيش مأرب ولم يبق في البلاط من الامراء غير ناشر وعتيك ومن انصار الملك غير ذلك الغلام عباد ، يسنده ويغذيه من وراء الستار ، مولاه وتار ذمر الكاهن الاعظم .
وكان الملك في ذلك الحين مشلول الاعضاء غير ان روحه الخبيثة لا تعرف الهدوء ، وحقده الغريب على شرحبيل لا يقف عند حد .
اجل ، كان يحاول وهو على فراش الموت ان يرسل هذا الموت الى الآخرين محمولا على رؤوس الخناجر الحادة .
كان همه ان ينجو من شرحبيل وبلقيس قبل ان يعـود ولي عهده مـن ساحة القتال .
وكيف ينجو من الاثنين اذا لم يعمد الى الخنجر ؟ بل كيف ينقذ تاجـه من

نهضة العرب Amly

يد عدوه وعدوه حي ؟

ان ابن عمه طامع في العرش فيجب ان يموت !

وذو القرنين لا يثق باحد كما علمت ، وثوقه بناشر ، فدعاه اليه بعد سفر الجيش وباح له بتلك الفكرة الهائلة التي يستطيع ان يبلغ بها غايته وهي فكرة القتل !

فلم يعجب امير ظفار لتلك الفكرة ، ولم يبد على وجهه شيء من الاستغراب. ان القتل آخر ما يلجأ اليه ذو القرنين في جميع القضايا الصعبة التي تعرض له .

وليس اهون عليه من ارسال بضعة رجال يكمنون لعدوه ، ويخطفون روحه. وقد يرسل هؤلاء الرجال الى منزل ذلك العدو نفسه .. او يعمد الى قتله في ظلام الليل وهو في احد اروقة البلاط !

وكان الدهاء يملي على ناشر ان يجاريه فقال :

وفي اي موضع يريد الملك ان يقتل ابن عمه ؟

فقال وصوته الضعيف يتردد في صدره : ادعوه بعد بضع ليال الى البلاط لاباحثه بشأن الحرب ، ثم ارسل عبادا ومعه بعض الغلمان فيقضون على بلقيس وهي مستسلمة الى الكرى ويبقى شرحبيل في احد سراديب البلاط الى الابد ...

ولكن كيف يقتحم غلمانه قصر شرحبيل يا مولاي ؟

يدخلونه باسم شرحبيل نفسه بحيلة يمليها الملك ، وتفتح لهم نعمى الابواب التي تؤدي الى حجرة الفتاة !

ـ ومن تختار من الغلمان ؟

ـ يختارهم كاهن مأرب ثم تختفي آثارهم بعد ما ينتهي الامر .

ـ وعباد معهم ؟

ـ اجل ، فلم يبق من عمر عباد غير بضعة ايام .

ـ اي ان مولاي يستعين على اخفاء القتل بالقتل .

ـ نعم وستعلم كل شيء في الليلة القادمة بعد ان يجيء وتار ذمر واستشيره في ذلك .

Amly نهضة العرب

ــ بقي علي ان اقول لمولاي كلمة .
ــ قل .
ــ من يقتل شرحبيل وهو في بلاطك ؟
ــ انت وعتيك ويتولى الغلمان امر دفنه في احد السراديب .
فضحك قائلا : لقد دنت ساعة هذا الامير المتآمر على العرش .
وكان يقول في نفسه : مسكين انت يا مولاي تحفر القبور للآخرين وقبرك فاتح لك ذراعيه ..
وظهرت علائم الفرح على وجهه ..
فقابل الملك فرحه بابتسامة اشترك فيها الالم ثم جعل يقول :
اما الملك فسيموت ولكن بعد ان يموت جميع اعدائه .
وأمره بالذهاب قائلا : اكتم الناس ما سمعت وسأدعوك عند الحاجة اليك .
وقال للجارية التي تقوم عند رأسه : لا تفتحي الباب لاحد الا بأذن الملك .
واخذت شفتاه تهمسان في اذن الفضاء الفاظ اللعنة والحقد ، ولو ظهرت تلك الالفاظ ، لظهرت عليها دماء كبده .
وبعد لحظة كان رجلان يتحدثان .. ويتآمران .. هما امير نحلة وامير ظفار .
وقد تهيئا لطوارىء الزمان ...

* * *

٤٣

الجيش الحبشي بقيادة افرونيم وعلى جناحيه سامور ووهز . والجيش اليمني بقيادة ولي العهد وعلى جناحيه معدي كرب وعبد شمس .
اما ذو تبع فن اركان الحرب ، ولكنه لم يتول قيادة الصفوف بل كان رفيقاً

Amly نهضة العرب

ومستشاراً لقائد الاكبر .

وكانت حرباً راقية بين الجيشين .. لا حيلة فيها ولا خداع .. الصفوف تبارز الصفوف في وضح النهار، والسيوف تتبين على نور الشمس ، طريقها الى الرؤوس والاجسام .

وكل قائد يستعين بايمانه وقوته وصبره ، عـلى ان يقهر الآخر ويغلبه في الصراع .

وليس في القضية لين ومزاح .. فاما ان يفنى جيش الحبشة وترقد رجاله في جوف البحر وعلى الرمال، واما ان يسقط الجيش اليمني في الميدان ، جثثاً مهشمة مصبوغة بالدماء .

وكثيراً ما تكون الحرب في اول عهدها سجالا ، يوم لك ويوم عليك . ولكنها عندما تمر الايام وتخور القوى ، ترجح كفة أحدهما عـلى كفة الآخر ويهوي الضعيف وتدوسه الاقدام .

هكذا كانت حال الجيشين في الايام الاولى ، يبدو الحظ للعرب فتخترق رماحها صدور الاعداء ، وتفصل سيوفها الرقاب عن الاجساد ، ثم يكفهر لها الجو ويسود الافق فتتراجع الى الوراء متضعضعة مذعورة من سيوف الحبشان .

وافرونيم وعمرو ، قائدان لا يهي لهما عزم ولا يخونهما الصبر ، ولولا تلك الخفة وذلك الغرور اللذان همـا صفتا ولي العهد ، لكان في جرأته وشجاعته واستخفافه بالموت اعظم قواد اليمن .

اجل ، كان ذلك الفتى المستهتر الطائش ، فارساً تنحني له رؤوس الفرسان ، وتصغر عند قوتـه رؤوس الابطال المجربين ، كان بطلا في هجومه ، وبطلا في دفاعه وعزيمته ، في تقدمه وتأخره ، عزيمة جبار لا يلوى له عود .

وكان ذوتبع يجاريه في المجال ، ولا تراه الا في مقدمة الصفوف يطعن الرجال حتى مرت تسعة ايام وضاقت الصدور .

وكانت الليالي كلها هدنة بين الفريقين تحمل فيها الجثث وتطرح بين الصخور . ففي مساء اليوم التاسع قال ولي العهد لقواده :

لقد ثبتت الحبشة وانا اخشى ان تضيع العرب رجاءها اذا طال الزمان .

فجعل كل واحد من القواد يبدي رأيه ، ولكنه لم يعبأ بكل ما سمع بل كان رأيه العدول عن تلك الهدنة والبقاء في الميدان في اليوم العاشر ، حتى يظفر جيشه او يستسلم الى القوة .

وذو تبع اول من وافقه في ذلك الرأي .

ثم اقبل مع قواده الى خيام الجنود ينفخ القوى في صدور الرجال ويدعوهم الى الاستبسال في اليوم الثاني .

الى ان طلع الصبح وهو يطوف بين الصفوف

وكان ذلك اليوم يوم رهبة ورعب ، لا تذكر معه الايام التسعة ، فقد دهم جناحاً الجيش العربي صفوف الحبشة ، واقتحمت رجالها تلك الرماح الطويلة تفرق اصحابها بحد السيف وتبعث الذعر الى القلوب ..

هجوم عنيف غريب زعزع الاركان المتلاحمة واضطرب له الحبشان ..

انه صواعق تنقض على الرؤوس وتيار لا يرد ..

وقد ارتفعت اصوات افرونيم واركان حربه تستنهض الهمم وتعيد الآمال .

وقلب الجيش اليمني الذي يقوده ولي العهد لا يتحرك ولا ينقل قدماً الى الساحة .

كأن تلك الحرب لا يد له فيها ولا تعنيه .

حتى تغير النظام واشتركت صفوف الحبشة في رد التيار الصخاب ، وضاعت أصوات القواد في الفضاء .

والساعات تمر .. وجناحا العرب كالجبل الراسخ لا يرجعان الى الوراء ولا تفرقهما الرماح . وكلما حصدت السيوف صفاً تقدم الصف الذي يليه يطالب بدمه .

فلما رأى ولي العهد وذو تبع ذلك الاضطراب ، وذلك التغير والانقلاب ، تحرك القلب الذي يضم نخبة اليمنيين ، ووثبت الخيل وثبة واحـــدة من الجانب الشمالي فغاصت مع فرسانها في تلك اللجة الرهيبة المتلاطمة الامواج ، وحجب

الغبار الفضاء من الجهات الاربع ، وملأت اصوات الاستغاثة والالم ذلك السهل الاحمر الذي تغطيه جثث المتحاربين .

وكانت ساعة تعب فيها ملاك الموت من خطف الارواح ..

ثم رفع ذلك الحجاب عن فلول الجيش الحبشي تمعن في الهرب ، وعن جثتي سامور وافرونيم تحت حوافر الخيل ، وعن ولي العهد الباسل ، مصاباً بجرح في كتفه اليسرى ومحمولا على ايدي رجاله

وقد جعلت السيوف والخيل جثث العرب والحبشان ، اشلاء تقشعر لهـــا الابدان !

ولم تغرب الشمس حتى لجأ الجيش العربي الى خيامه وقد خسر بضعة آلاف.

وفي ذلك الرواق الفخم الذي ضرب لعمرو بن ذي القرنين ، اجتمع قواد العرب ورؤساء الفرق ينظرون بشيء من القلق والخوف ، الى ذلك الجرح الكبير الذي احدثه في كتف ولي العهد ، سيف سامور الحبشي قبل ان يسقط ميتاً بضربة من سيف صاحب همدان .

أجل ! كان افرونيم وولي العهد قـــد تلاقيا في الميدان ، وكان القائد العربي اطول سيفاً من ذلك القائد الاسود الشجاع ، فهوى بطل الحبشة عند قدمي بطل اليمن ..

ولكن الظافر لم يبتسم لظفره ، حتى فاجأه سامور من الوراء بضربة اصابت كتفه ثم هم بأن يرسل اليه ضربة اخرى تصيب رأسه ، وكادت حياة ولي العهد تذهب كما ذهبت حياة افرونيم ، لو لم يعرض الهمداني لسامور ويبري عنقه .

اذن فعمرو بن ذي القرنين مدين بحياته لأمير همدان ، لعدوه بالامس ،وصاحب امره اليوم . ولولا اخلاص هذا العدو ووفاؤه ، لخسرت اليمن ولي عهدهـــا ، ومات ذو القرنين ولا وارث له ..

نعم قد يكون الفضل في ذلك الاخلاص لبلقيس التي اوصت حبيبها بـــه . ولكن الفتى الذي ينتصر على غرامه ، وتغلب وطنيته ذلك الغرام ، في مثل هذا الموقف الذي ينقذه من عدوه، هو الفتى الذي لا تغمط له نعمة ولا ينكر له فضل.

وولي العهد ، الذي لا يذكر معروفاً ولا يكافىء الجميل بالجميل ، لم يتردد ، وهو يتألم من جرحه ، في الوفاء الذي اظهره له ذو تبع .

وكان يقول لمن حوله : لولا هذا الهمداني لكان هذا السهل قبراً لولي عهد حمير ولمعظم الجيش الذي يقوده .

ووثق به منذ تلك الساعة كما يثق بالسماء ، وجعله اعظم المقربين شأناً وارفعهم مقاماً وبالغ في اظهار رضاه بقوله له على مسمع من اركان الحرب :

ساجعلك قائد جيش اليمن الاكبر عندما ينتهي الي امر الملك .

وذو تبع لا يعبأ بتلك الوعود ولا يبالي بذلك الرضى ، بل كان يفكر في بلقيس ويسأل الآلهة ان تجود على ولي العهد بالشفاء ليعود الجيش الى مأرب ، فيرى ذلك الوجه الذي منعته الحرب من ان ينظر اليه .

غير ان هنالك فتى آخر كان يفكر مثله هو ولي العهد ، وكان ذلك التفكير العذب يساعده في الشفاء .

كان واثقاً بانه سيتزوج بلقيس بعد رجوعه الى بلاط ابيه ، وذو تبع المسكين لا يعلم في اي يوم تأذن له بلقيس في الزواج .. بل في اللقاء ..

حب خفي لا يجسر على الاعتراف به الا لانصاره ، وارادة الفتاة التي احب ، ارادة من الحديد لا تلين لعاطفة ولا تستسلم لغرام .

ومن يعلم كيف ينتهي الامر بينها وبين الملك ؟ انها ستستعين بالولد على الوالد كما قالت وقد تنشب الحرب بين الاثنين من اجل ذلك الزواج فيخضع الواحد منهما لقوة الآخر ، وتعمد هي الى القوي فتسحقه بفضل الرجال الذين حولها وتلبس التاج ، او يخونها الحظ فتسقط ويضمحل ذلك الحلم الذهبي ويتلاشى الامل .

واغرب من هذا كله ان ذا تبع سيحارب لحساب عدوه ولي العهد وهو لا يعرف اي جزاء تعده له الاقدار .

وكاد يتغلغل اليأس الى فؤاده ، لولا ذلك الامل الضعيف الذي يعلل نفسه به .

Amly نهضة العرب

ومرت الايام وولي العهد لم يشف ، فقد قطع سيف سامور لحم كتفه وأثر في العظم .

وقواد الجيش والجنود لا يعلمون ماذا يحدث في مأرب حتى ان عمراً لم يخطر له ان يفكر في ابيه او يسأل عنه !

* * *

٤٤

قص عتيك على شرحبيل وابنته حكاية القتل الذي يتهيأ له كاهن مأرب العظيم وتارذمر وذو القرنين .

فضحكت بلقيس كما يضحك الواثق بنفسه ، والمستخف بقوة عدوه .

ولكنها ارادت بدورها ان تستعد للامر من جميع نواحيه ، دون ان يشعر ذو القرنين بان هنالك شيئاً من ذلك الاستعداد .

وكانت تعلم ان عتيكا صاحب تدبير ورأي فقالت له :

اي عذر تعتذر به للملك عن مجيئك الينا في هذا الليل ؟

ـ الملك لا يعلم اني خرجت من البلاط .

ولكنك تقول ان عين عباد لا تنام .

ـ وعباد نفسه لا يعلم فقد دعاه مولاه الكاهن عند المساء ولم يرجع واظن انه يساعده في اختيار الغلمان الذين سيغمدون خناجرهم في صدر بلقيس وهي نائمة ..

فابتسمت لذلك الموت الذي اختاره لها ذو القرنين وجعلت تقول : ليس لي الا ان اشكر للملك هذه العاطفة فقد عرف اني اؤثر الموت طعناً بالخناجر على الموت بالسم ..

ثم قالت : وكيف يقوم امير ظفار بتنفيذ الحكم الآخر القاضي بقتل شرحبيل؟

Amly نهضة العرب

قال : يخرج شرحبيل مـــن حجرة الملك ويمشي في الرواق الكبير متجهاً الى الباب الخارجي فيطعنه ناشر طعنة قاتلة في ظهره ثم اطعنه انا طعنة اخرى يلفظ بعدهما روحه .

ـ وهكذا تنتهي حياة شرحبيل بن عمرو ايها الامير ؟

ـ نعم فالحياة لا يملكها غير ذي القرنين فهو يهبها لمن يشاء مـــن عباده ثم يسلبهم اياها عندما يشاء !

قالت : ماذا سمعت عن الحرب اني اسألك عنها قبل ان ننظر في قضية القتل !

فعرف عتيك ان الغرام يدفعها الى ذلك السؤال فقال :

وماذا اسمع عن الحرب وهي لم تبدأ والجيش لم يصل الى ساحة القتال ؟ بلى سمعت خبراً لا اذكره الآن ...

ـ بل تذكره دون ان تتردد .

ـ سمعت ان صاحب همدان كبابه جواده فكسرت يده اليمنى وشوهت وجهه جروح كثيرة في الجبهة والخدين والعنق .

ـ وبقي حياً أليس كذلك ؟

ـ نعم ..

ـ اذن يكفي انه حي ولو شوهته الجراح .

قال : اذكر للاميرة هذه الرواية التي ترددها الافواه ولا تبالي !

قالت : لو كان خبرك صحيحاً لدلني عليه هذا القلب قبل ان ترويه .

ثم قطبت حاجبيها قائلة : ما هو رأيك في الامر الذي قدمت لاجله ؟

فاطرق ملياً ثم قال : تفتح ابواب هذا القصر لعباد وغلمانه عندما يريد الملك.

ـ ثم ماذا ؟

ـ ثم تجيء نعمى بنت الريان وتتقدمهم الى حجرة بلقيس ثم تقف عند فراشها قائلة لهم : اضربوا جميعكم ضربة واحدة فتهوي الخناجر وتتراجع نعمى الى الوراء لتحتجب عن العيون خلف ستار اسود يقوم في الزاوية التي هي الى جانب الباب.

ـ وبلقيس ؟؟

Amly نهضة العرب

ـ تكون بلقيس في تلك الحجرة لترى بعينيها خناجر الغلمان تخترق الوسائد النائمة في الفراش الوثير ؟

ـ اي انها تكون وراء ذلك الستار ؟

ـ اجل ، كما يكون وراءه اربعة من الفتيان الاشداء الذين يعرفون كيف توضع الخناجر في الظهور والصدور ...

فالتفتت الى ابيها قائلة : انه لرأي يا مولاي !

قال : ولكن عباداً ورفاقه يمسون جثثاً ولا يطلع الصباح حتى يعرف الملك ويثور ثائره .

فقال عتيك : اخطأت ايها الامير فالملك يريد ان تبتلع الارض عباداً ومن معه قبل ان يبزغ الفجر ..

ـ وكيف ذلك ؟

ـ يريد ان يمحو بالجريمة آثار الجريمة ، ويملأ مأرب في صباح اليوم الثاني وعيداً وتهديداً ، ويرسل رجاله للطواف في الاحياء والاسواق علهم يعثرون على الجاني قاتل بلقيس ..

ـ وماذا يصنع بقاتل شرحبيل ؟

ـ اما شرحيل فتختفي آثاره ولا يعلم الناس اذا كان ميتاً أم هو حي .. هذا ما يفكر فيه الملك اذا نفذت احكام الموت كما أراد .

ـ والجثث التي تسقط في حجرة بلقيس ؟

ـ يحملها غلمان القصر الى الخارج وعلي الباقي .

قال : بقي ان نعلم كيف انجو انا من خنجرك وخنجر امير ظفار عندما اخرج من غرفة الملك وامسي في الرواق .

فبرقت عيناه قائلا : يتصدى لك ناشر وفي يده خنجر مكسور الشفرة ، ويضربك ضربة يخيل الى الناظر انها ضربة بطل ، وهي ضربة جبان ، فتقع شفرته في صدرك على جسم صلب هو الدرع التي تلبسها تحت الثياب ..

فاصغت بلقيس الى تلك الكلمات وهي تعجب لدهاء ذلك الامير الثائر على

Amly نهضة العرب

مليكه .

وكان يقول : ثم يبرز امير نحلة الذي يخاطبك الآن ويضربك من الوراء فتصيب الضربة درعاً اخرى ويرتفع عندئذ صوت شرحبيل مستغثياً بالملك فتخرج العبيد والجواري والذعر يملأ قلوبهم ولكنهم لا يبصرون شيئاً فان شرحبيل يكون قد غادر البلاط .

ـ ولكنه لا يسكت عند هذا الحد .

ـ بل يسكت كأن الحادث لم يكن ويظهر لاهل مأرب ورجال البلاط ان بلقيس قتلت في ذلك الليل .

ـ وبعد كل ذلك ؟

ـ يدخل ناشر على الملك ويلعن هذه الدرع التي كسرت شفرته ومنعتها من ان تخترق قلبك !!

ـ ومتى تعود بلقيس الى الحياة ؟..

ـ عندما يغمض الموت عيني ذي القرنين ..

قال : اتهزأ بي يا عتيك ؟

ـ لم يخطر لي ذلك ايها الامير .

ـ اذن يجب ان تختفي بلقيس وراء الجدر حتى يموت الملك وقد يعيش خمسين عاماً .

ـ بل يعيش بضعة عشر يوماً كأنه ميت ثم يصبح العرش بدون ملك حتى يعود ولي العهد .

قال : لا يعلم ذلك غير الآلهة .

ولكن هذه الآلهة وهبت لعتيك بن روضة شيئا من هذه المعرفة . ان الموت يكمن في فراش الملك ولا يلبث حتى يسلبه روحه .

فقالت بلقيس : ايستطيع الداء ان يصرع ذا القرنين في مثل هذه السرعة ؟

ـ لقد صرعه هذا الداء فاصبح هيكلا من عظام .

فارخت نظرها الى الارض وجعلت تقول : اذا كان هذا فقد تغير كل شيء

Amly نهضة العرب

ولم يبق في الساحة غير ولي العهد .

ـ نعم لم يبق في الساحة غير ولي العهد وخير لشرحبيل بن عمرو ان يحارب رجلا من ال يحارب اثنين .

فتمتمت قائلة : اجل لقد دنت ساعة الحوب ، انعمراً الذي وعدناهبالزواج وهو ولي عهد ، سيعود من مهرا وهو ملك ، ويسأل ابي ان يفي بما وعد .

فارتسم الحقد على جبينه وقاطعها قائلا :

بل يعود من مهرا لتخرج ولاية العهد من يده ويلجأ الىجبال اليمن واوديتها فراراً من الموت .

فاخذت تتفرس في ابيها وهي لا تعلم ماذا تقول .

ولكن اللعين استطرد قائلا : لنفترض ان الجيش اليمنيظفر بعدوه فهلتعلمين ايتها الاميرة متى يعود ؟

ـ بعد شهرين .

ـ وهل يستطيع الامير شرحبيل ان يدعو انصاره الى مأرب في خلال هذين الشهرين ؟

ـ نعم .

ـ اذن فليفعل وليرسل رسله غداً الى المخاليف فتزحف قوى الانصار الىهذا البلد وتقيم به . او تقيم ببلد آخر يجاور مأربوتنتظر فيه الامر برفع راية العصيان في وجه الملك الجديد ابن ذي القرنين .

قالت : اتريد ان تفاجىء ولي العهد بالسيف .

ـ لا ، بل يدخل البلاط كأنه ملك ثم يخرج منه كأنه عدو دون ان تسيل في مأرب الدماء الا اذا شاء .

ـ اي انه يرى في بلاطه رجلا آخر قد سبقه الى العرش .

ـ نعم ويرى امراء اليمن حول ذلك الرجل وقد اعترفوا به ملكاً وعاهدوه على الطاعة حتى الموت .

ـ ومن هو هذا الرجل ايها الامير .

ـ هو شرحبيل بن عمرو وقد ينزل شرحبيل عن حقه بالملك بعد ذلك لابنته

Amly نهضة العرب

بلقيس ! ! .

ـ ولكن ارجو ان تعمد الى الجلاء في كل ما تقول .

قال : الم يجعل الملك ناشراً اميناً له بعد ذهاب الجيش ؟

ـ واين ذهب نديمه وامينه الاخر ؟

انعنين حاشداً ؟ انه اصبح بعد مرض مولاه صديقـا لولي العهد وهو معـه في مهرا .

ـ حسناً . وماذا يفعل ناشر اذا كان امينا لذي القرنين ؟

ـ يقول لاهل البلاط ووجوه القوم في مأرب ان الملك قبل ان يلفظ روحه جعل شرحبيل بن عمه وكيلا للعرش .

ـ ويقوم وتار ذمر فيقول غير ذلك .

ـ ولكنه لا يجد حوله من يصدق قوله . ان البلاط اليوم في يد ناشر وعتيك وستجيء رجالها بغد شهر لينضموا الى رجال شرحبيل ويقسموا له يمين الوفاء .

ـ وبعد ان يتم كل هذا كما تظن يجيء ولي العهد .

ـ نعم يجيء لتقع عينه على ذي مغار وابن عمه ياسر ، وعتيك بن روضةوامير ظفار الذين هم اعداء ابيه .

ـ ولا تنس الغوث بن راهط وابن دوير .

قال : وهل اصبح الاثنان من المتآمرين ؟

ـ اجل والغوث اليوم في مأرب ، بل في هذا القصر !

فابتسم قائلا : مسكين ولي العهد لقد خسر جميع الامراء والملك حي ، ومن بقي للملك ؟؟ بقي له عبد شمس ومعدي كرب ووتار ذمر . اما حاشد فلا يملك شيئا ولا يصلح لشيء .

ـ وهنالك امير آخر يبذل حياته في سبيل شرحبيل .

انه ذو تبع وقد نسيناه . ولكن لا نعده الان فرجاله في همدان ولا نستطيع وهو بعيد ، ان ندعوهم الى مأرب .

ـ كفى فقد تهيأنا الآن لكل شيء وسيستقيم لنا الامر .

Amly نهضة العرب

ثم قالت : واذا لم يمت الملك يا عتيك ؟
ـ نفضح مؤامرته بعد ان يعود ولده فتناشب الحرب ، ثم نخوض غمارهـا عندما تفد جيوش الامراء .
قالت : سنجعل هذه الجيوش في مخلاف مغار وسيقول القوم انهم ذاهبون الى حرب الحبشان .
فعاد عتيك الى مزاحه قائلا : اريد ان اسألك سؤالا واحداً قبل ان انصرف ، من هو الرجل الذي سيسلم اليه مولانا الملك الجديد امور بلاطه ؟
ـ هو انت فقد لا يجد الملك رجلا اشد دهاء منك .
ـ ومتى يترك ابوك تاجه ويدفعه اليك ؟
ـ عندما يأمره بذلك عتيك بن روضة .
قال : اراك تهزأين ايتها الاميرة .
ـ انها ساعة مزاح واستهزاء .
ولكني سأكون جاداً واطلب الى مولاي الملك قبل أن يستوي في العرش ان يعدني بامرين اثنين هما كل ما ارجوه منه .
فاجابه شرحبيل : قل وكن كيف شئت .
ـ عدني بانك ستفعل يا مولاي .
ـ ولكنك تعلم ان الملوك لا يعدون .
قال : اذن اسألك ان تجعل فاتحة ملكك اطلاق جميع الجواري اللواتي يكرهن الاقامة بالبلاط .
فاعجبت بلقيس هذه العاطفة وقالت له :
وما هي غايتك من ذلك ؟
ـ ان يظهر الملك شرحبيل لاهل اليمن انه اعظم نفساً من ذي القرنين وانه لا يبالي بالنساء.
قال : والآخر يا عتيك .
ـ ان تأمر بقتل حاشد ووتار ذمر عندما تستولي على الملك .

ــ ولماذا تريد ان يموت الاثنان .

ــ لان التاج لا يثبت على رأسك وهما في الوجود .

ــ اذن تؤثر ان نفتح عهدنا بالقتل !

ــ بل افترض انك لا تصير ملكاً الا بقوة السيف . الم تكن غايتك يامولاي اشعال النار في مأرب ؟

ــ بـــلى !

ــ الم تكن تظن ان حاشداً وتار ذمر سيكونان عدوين يحمـــلان السيف مدافعين عن عرش ذي القرنين ؟

ــ بـــلى .

ــ وماذا كنت تصنع لو حدث ذلك ؟

ــ اقتلهما اذا قدرت .

ــبل تقتل الالوف وتصعد الى عرشك على جثث الابرياء .

فقالت بلقيس : لقد اصاب الامير فيما يقول ولكنه نسي ان هـناك رجـالاً آخرين يستحقون الموت ..

ــ لم يبق من هؤلاء الرجال غير اثنين هما معدي كرب وعبد شمس والرجلان اضعف من ان يتآمرا على العرش ..

قالت ليس لنا الا ان نختار واحداً من امرين ، اما ان تسفح الدماء في مأرب وتملأ الاسواق ثم يلبس ابي التاج بعدذلك ، واما ان يعصب بهرأسههادئاً مطمئناً دون ان يلجأ الى القوة ، ويكتفي بابعاد ولي العهد ورجاله الى الابد . اسمـــع يا عتيك ، ان العرش سيكون لنا ــ اذا مات الملك ــ لقمة سائغة غير مخضبة بدماء اليمنيين ، والا فنحن مكرهون على التقتيل والتدمير حتى يتم لنا الامر كما نشاء .

ــ افعلي ما تشائين على ان تقتلي الرجلين اللذين ذكرتهما الآن او تندمي .

فقام في ذهن بلقيس ان عاطفة خاصة تمـــلي على امير نخلة تلك اللجاجـــة في الطلب ، فقالت له :

يخيل الي ان في الامر سراً يدعوك الى ذلك .

Amly نهضة العرب

فتنهد قائلا : اما سري فهو مصلحة العرش ليس غير !

– وماذا يستطيع ان يفعل الاثنان واليمن كلها لنا .

قال ان للكهانة سلطاناً لا يحجبه غير سلطان الملك ووتار ذمر خادم الآلهة ورئيس اولئك الكهان المنتشرين في المخاليف ، فاذا نفخ في صدور رجاله روح الثورة والعصيان استطاع اولئك الرجال ان ينشروا تلك الروح السامة في السهل والجبل ، ثم يقوم اليمنيون بعد ذلك يطالبون خلع الملك الجديد وارجاع ولي العهد الى عرش آبائه .

فقاطعته قائلة : ولكن الملك الجديد يرسل جيشه فيخنق الاصوات المرتفعة ويخفض الرؤوس التي تجول فيها فكرة العصيان .

– خير للملك ان يخمد النار قبل ان تمتد السنتها الى الاقاليم .

– بل خير للملك ان يصافح اعداءه ويبتسم لهم لتعلم اليمن انها انتقلت من عهد الجور والقساوة الى عهد الرحمة واللين .

– ولكن اخشى ان يحسب الناس رحمة الملك ولينه خوفاً وضعفاً فتسوء العاقبة ويرجع عندئذ عهد القساوة الذي تذكرين .

– وهل يجسر وتار ذمر على الظهور بمظهر المتمرد كما تقول ؟

– اعتقد انه يفعل كل شيء ولا يبالي .

– اذن فالملك يشتريه بالمال ؟

– في خزانته من المال اكثر مما في خزانة الملك . ومع ذلك فهذا هو الضعف ايتها الاميرة .

– اذن ننزع عنه هذه الكهانة التي جعلها سلاحا له .

– اي انك توغرين صدره وترسلينه لينشر فساده .

غير ان وتار ذمر كان صغيراً في عيني بلقيس فلم تحفل بنصائح عتيك ولم تعبأ بذلك الدهاء الذي يمليه عليها .

وتعب عتيك كثيراً فضاع تعبه .

ان لبلقيس رأياً يناقض رأيه .

Amly نهضة العرب

كانت ترى قتل الكاهن الاعظم يغضب القوم وتهيج له الصدور ، وما هو الذنب الذي يحمل الملك على القضاء عليه ؟ . انه بريء في نظر اهل مأرب واصحاب المخاليف وليس من الحكمة ان يهرق الملك دم بريء !

وكان عتيك يرى غير ذلك كما قرأت ، ومن الصعب ان يتفق الاثنان .

ولكنه حاول من الناحية الاخرى ان يقتل نديم الملك فقال :

وحاشد ؟؟

ـ لقد قلت ان حاشداً لا يملك شيئاً ولا يصلح لشيء فلماذا ترغب في قتله ؟

ـ لانه قاتل الالوف من الرجال والنساء ارضاء لمولاه .

قالت : هذا جناه في الزمن الذي مضى ونحن لا شأن لنا به ، اتريد ان يطلب شرحبيل بدماء الذين غدر بهم ذو القرنين ؟

ـ بل اريد ان ينقذ اليمن من هؤلاء الخونة .

قالت : طب نفساً فكل رجل تحدثه نفسه بالخيانة يموت .

قال : اصغي الي ايتها الاميرة فانا اعرف الرجلين .

ـ اعود فأقول لك اما ان تهرق الدماء واما ان تسود السكينة في مأرب فلا يجرد سيف ولا يرتفع صوت .

ـ اتمنى اذن الا يموت الملك ، ليقوم السيف مقام الهدوء ، وتغوص مأرب في اللجة الحمراء ، وتدوس الخيل جميع الذين اخشاهم على ملك شرحبيل بن عمرو ..

ثم قال : ان الملك الذي يبنيه الآن آل يعفر ، بالصمت والهدوء ، سيقوض السيف اركانه بعد حين

فضحكت قائلة : اما انت فسترى بعد حين ان الرأي الذي تراه مصدره الخوف الذي يستولي عليك الآن .

وكانت عينا شرحبيل في تلك الساعة تنظران الى الرواق وهو يفكر في العرش الذي يعده لابنته .

فقال له عتيك : انظر في امر ملكك يا مولاي قبل ان يمر الزمان .

قال : ماذا ؟

Amly نهضة العرب

ـــ اضرب اعداءك ليسلم عرشك .
ـ اعداء العرش كثار فيجب اذن ان يحصدهم السيف .
فوضع رأسه بين يديه وسكت قليلا ثم قال :
نعم يجب ان يحصدهم السيف جميعهم دون ان يستثني احداً . لقد غيرت رأيي الآن ، فليمت ولي العهد قبل ان يموت وتار ذمر ، وليمت بعده معدي كرب وعبد شمس فتنجو اليمن ويخلو لك الجو .
فتصدت بلقيس قائلة له : سننظر في هذا مرة اخرى عندما يموت الملك والا فالحرب لا بد منها وسيموت جميع من ذكرت .
فنهض وهو يقول : ساعود بعد ايام عندما يهم الملك بتنفيذ احكامه . امـــا الان فلم يبق لي ما اقوله .
قالت : ارى انه لم يتغير شيء مما مضى وان الملك سيعيش !
ـ اما انا فارى غير ما ترين والى اللقاء .
وخرج وهو يخاطب نفسه قائلا :
ستكون بلقيس ملكة سواء ألبس ابوها التاج أم لبسته هي . انها تأمر وهو يطيع ، ولكن ثقتها بنفسها تجاوز الحد .
وكان شرحبيل عندئذ يقول لابنته :
لقد رأيت الصواب فيما ذكره عتيك وانا اخشى ان نبقي على انصار الملـــك فيهيجوا اليمن ويحملوا علم الثورة .
قالت : افترض يا مولاي ان ولي العهد استسلم اليك أفنقتله بعد هذا الاستسلام ليقول الناس انك اظلم من ذي القرنين ؟
ـ وهل نطلقه ليضع يده بيد اعدائنا ويشهر على العرش حرباً تتكسر فيها السيوف وتهتز لها اليمن ؟
ـ وكيف يقدر على ذلك يا مولاي ونحن احياء ؟ انه لا يرفـــع رأسه حتى تخفضه الضربات ، ولا تخرج من فمه كلمة حتى يقطع لسانه بالسيف !
ثم قالت : لنترك هذا الآ ن يا مولاي ولنتدبر امرهذه المؤامرة التي يعدها الملك

Amly نهضة العرب

قال : يظهر ان هنالك شيئاً تخافينه يا بلقيس .

ـ نعم يا مولاي اخاف ان نقتل هؤلاء الامراء فتضمر لنا المخاليف عداوة لا تزول آثارها من الصدور .

ـ مع اننا كنا عولنا على الحرب ولم تخافي !

ـ انها حرب يشترك فيها معظم ابناء اليمن ويذهب ضحيتها المجرم والبريء!

وتمادت بلقيس في اصرارها على العفو ، وهي الفتـــاة التي كان قلبها قطعـــة من الفولاذ لا يلين ولا يعفو !

وتلك خاطرة خطرت للاقدار التي تهزأ بالناس .. والتي بدأت تهزأ باعظم فتاة في دولة حمير !..

فلم ير شرحبيل بداً من السكوت وقام فخرج وهي تتبعه الى قاعـــة اخرى ينظران بالاشتراك مع ضيفيهما في امر العرش ، من وجه آخر .

وكان الغوث وذو مغار في القصر ، وقـــد عولا في صباح اليوم الثاني على الرحيل .

* * *

٤٥

لقد اذنت لك في الرحيل غداً يا ابن راهط .

فنظر الغوث الى شرحبيل وهو يعجب لذلك الاذن الفجائي .

اما ذو مغار فقال : لو لم يحدث في مأرب حادث جديد لما خطر لك انتأذن له في الانصراف اليوم ، ماذا جري ايها الامير ؟

ـ ان ساعة ذي القرنين قد دنت كما قلت منذ ايام .

فاهتز الغوث لهذه الكلمة قائلا :

اهلا بهذه الساعة التي ينتظرها بنو سعد . قل ايها الامير ماذا يجب ان نصنع

Amly نهضة العرب

لنكافىء الملك ؟ .

ــ تدعو جيش براقش الى بلاد ذي مغار ، وتمكث بها معهم ريثما يصل اليك الامر بالزحف الى مأرب .

ــ وجيوش ينون ؟

ــ ستنقل الى جبار بن دوير ما سمعت فيفعل كما تفعل وتتلاقى الجنود في البلاد التي ذكرت .

ــ اذن ستكون حرباً حامية تميد لها الجبال .

ــ من يعلم فقد لا تشتعل النار الا لتخمد ؟ او تندلع السنتها فتحرق هذه البلاد ومجاورها الى الاقطار .

ومن يشعلها ايها الامير ؟

ان ولي العهد سيعود من حرب الحبشة بعدشهرين اوثلاثة وسيطلب يدبلقيس عند وصوله الى البلاط .

وكان ذو مغار قدخبر الغوث حكاية الزواج فقال : وسيكون السيف جواباً له .

ــ لا بل يتولى الملك عنا امر هذا الزواج ، فاما ان يحاربه في امره فنشهر السيف على الاثنين ، واما ان يغضب فيشهر ولي العهد سيفه ونشاركه في الدفاع ثم ننقلب عليه عندما يكتب له النصر .

ــ ومن هو اكثر جنوداً نحن ام الملك .

ــ نحن . فقد تهيأنا للحرب والملك لا يعلم ، ومعظم جنوده في مهرا بقيادة ولي عهده .

ــ وهذا معناه ان الملك لا يستطيع ان يجول في الميدان جولة واحدة .

ــ وقد يفاجئه الموت قبل ان تشهر السيوف .

قال : اتمنى ان يظل حياً لاعلمه كيف يستخف بالرجال .

قال : لا تجر على الملك فهو ميت وان يكن بين الاحياء .

ــ وهل يستحق هذا اللعين الرحمة وقد ملأ اليمن ظلماً وجوراً ؟

Amly نهضة العرب

قال : لقد كان قاسيا ولكن القدر اشد قساوة منه وسيجازيه . متى تبلغ مع جنودك ارض مغار ؟

ــ لا اعلم الآن ولكني سأبذل جهدي كله لا كون فيها قبل ان تنقضي الاشهر الثلاثة .

قال : تعجل في الامر قبل ان يرجع ولي العهد وتفضح الاسرار .

ــ اتخاف يا مولاي ان يفضح سرك وجيش براقش وبينون ينتقل في وضح النهار من بلد الى بلد آخر وعيون الناس تنظر اليه ؟ وكيف تستطيع كتمان هذا السر وانت تأمر بان تتلاقى الجيوش في مغار وتغطي خيامها سهلها الفسيح ؟ ان سرك يا مولاي سيعرفه القوم ولكننا لا نخاف . . .

ــ اخطأت، فهم لا يعرفون الا امراً واحداً هو ان الجيوش التي تمر تسير الى الحرب بامر الملك، وقد صدر اليها ذلك الامر بالبقاء في مغار ريثما تجتمع جميع الصفوف .

قال : هذا هو الرأي .

ــ ولكن احذر ان تترك بلاد ذي مغار قبل ان يصل اليك ولدي المدهاد حاملا هذا الخنجر الصغير .

وأراه خنجراً موضوعاً في قطعة من الجلد .

ــ انجعل هذا الخنجر رسالة السر ؟

ــ نعم فاذا رأيته مع المدهاد فلا تتردد في المجيء مع جبار !

ــ ولماذا لا تجعل غير المدهاد رسولك الينا ؟

ــ لاني لا اثق في شؤون الحرب الا بولدي .

قال : لي كلمة اقولها ايها الامير .

ــ قل كلمتين .

ــ خير لك ان تبعث الى مغار رجلا من رجالك من ان تقذف بولدك الى اودية اليمن وجبالها ليتقل الينا خبراً منك .

ــ قلت لك ان هذا الخنجر سر الحرب وهذا السر لا يحمله غير المدهاد .

Amly نهضة العرب

ـ ولكن قد تعرض للهدهاد اخطار .
ـ اجل وسيكون عند هذه الاخطار رجلا .
ـ واذا حمل الي خنجرك رسول آخر ؟
ـ لا تصدق غير الهدهاد وهذا يكفي .
ثم صافح الاميرين قائلا :
اذهبا عند الفجر وسنلتقي في مأرب ولكن على مرأى من القوم ، وسنجعل بلاط ذي القرنين مجلساً لنا .
فهتفا قائلين : ليمت ذو القرنين وليعش شرحبيل .
فقالت بلقيس : قولا ليغيش الملك .
فرددا تلك الكلمة وهما يبتسمان .
وانصرفت بلقيس الى غرفتها لتناجي الحبيب .
اما شرحبيل فخرج ليأوي الى فراشه ويستسلم الى النوم الهادىء الذهبي الاحلام .

* * *

٤٦

قال عتيك لناشر :
سيصعد شرحبيل الى العرش ، ثم يتخلى عنه لبلقيس ، ولكن لا يلبث هذ العرش حتى يسقط ويهوي الى الحضيض .
فأجابه قائلا : ويلك من اوحى اليك هذا ؟
ـ اوحته بلقيس نفسها فهي تريد ان تضع يدها على الملك وتبقى اعداءه واعداء ابيها احياء !

نهضة العرب Amly

وقص عليه ذلك الحديث الذي جرى بينه وبينهـــا وزاد قائلا : وسيكون استخفاف الامير وابنته سبباً لذهاب الملك الحميري !

قال : لا تبالغ في الخوف يا عتيك .

قال : ليس ذلك خوفاً ولكن الملك الذى لا تسقط رؤوس خصومه عنـــد قدميه لا يطول عمره .

قال : سيعرف الاثنان كيف يحفظان الملك .

ــ بل سيقضيان ايامهما حاملين السيف مدافعين عنه والويـــل للرجل الذي يساب الملوك تيجانهم ويهب لهم الحياة .

ــ اذن نقتل من نشاء وينتهي الامر !

ــ اجل ، وهذا ما اردت ان اقوله لك ، ان وتار ذمر وحاشداً اذا بقيا كانا اشد وطأة من ذي القرنين واكثر دهاء !

قال : كما يتآمر الكاهن والملك على شرحبيل نتآمر نحن على هذا الكاهن ونبعث به الى حيث يذهب غلامه عباد !

ــ ونفعل ذلك قبل ان يرجع الجيش ، ثم ننظر في امر حاشد عندما يعود .

ــ ولكن نسينا ان هنالك ملكاً واننا لا نستطيع ان نقتل كاهنه وهو حي .

ــ لماذا ؟

ــ لانه سيعلم ان رجال البلاط يخونونه وليس في البـــلاط غير اميرين هما انا وانت . . .

قال : سنقتل الرجل خارج البلاط .

ــ لا يخدع الملك ولو قتلته في قصره : اسمع ماذا يحـــدث يا ناشر . سيفشل الملك في قتـــل شرحبيل كما تعلم ، ثم يبلغه بعد ذلك ان وتلو ذمر سقط ميتـــاً فيدب الريب في صدره ويأمر رئيس شرطه بالقبض على جميع الرجال الذين يعيشون في ظله .

ــ ولكننا لا نعترف له بشيء .

قال : يكفي ان يظن الملك الظنون لتسوء العاقبة .

نهضة العرب Amly

ـ ورأيك ؟

ـ لم يبق الا ان يمضي الملك في امره الى النهاية . ثم نتهيأ نحن بعد ذلك للقضاء على الاعداء .

ـ ويغضب شرحبيل ..

ـ ليغضب ولتغضب بلقيس فوتار ذمر وحاشد يجب ان يموتا وليخسر ابن يعفر العرس .. ماذا سمعت عن الملك في هذا الليل ؟

قال : أرى الحياة تجول بتعب وضعف في عينيه الغائرتين حتى ليحسب الناظر اليه انه سيموت الليلة !.

ـ ومع ذلك فهو لا يخاف الموت ولا يريد الا ان يغذي حقده بالغدر والقسوة والقتل !

ـ ذلك ما تعوده في حياته ، وهي صفات جعلها ارثاً لولي عهده النذل الذي هو سر ابيه !

واحمرت عينا ناشر واصفرت شفتاه .

فقال : كلما ذكرت عمراً نمّ عليك الحقد الذي يملأ صدرك .

ـ اجل وسيظل هذا الحقد حيا نامياً حتى يكتنف الشقاء عمراً وأراه بين يدي اذل من عبد !

ـ اذن فانك لا تفكر في قتله ..

ـ اهم بان افعل ثم يقوم في الذهن ان الموت راحة لـــه ، فاعدل عن رأيي واصر على قهره وتعذيبه كما قهرني وعذب هاتكة !

ـ وكيف تستطيع ان تفعل ذلك ؟

ـ يكفي ان اراه ذليلا بائساً لا عرش له ولا تاج !

ـ اما انا فلا اخاف احداً مثلما اخاف هذا الذليل الذي لا عرش له .. ان اليأس مصدر القوة ، وقد يكون مفتاحاً للعجائب في كل زمان .

قال : سترى ان هذا الفتى اضعف مما تظن !

قال : حسبي اني لم انس شيئاً وستثبت لك الايام اني كنت على صواب .

نهضة العرب Amly

ونام الاثنان في غرفة واحدة اما الملك فلم ينم .

وكيف ينام ، والحقد ، والخوف ، والعلة ، عناصر جبارة تتآمر على حياته، ولا يغمض لها جفن ؟

***

٤٧

غادر ذو مغار والغوث قصر شرحبيل قبل ان يتنفس الصبح وفي صدر كل واحد منهما عقيدة ثابتة وايمان لا يتزعزع .

وقام شرحبيل في الصباح يختار له درعين اثنين يلبسهما من الامـــام والوراء عندما يدعوه ذو القرنين الى الموت .

وكان واثقاً بان الملك سيعيش وان الداء لا يستطيـــع ان يحطم ذلك الجسد الجبار ، كما يظن عتيك بن روضة .

اما بلقيس فقد ارادت ــ في ذلك الزمان .. ان تتعلم فن التمثيل .

كانت حجرتها حجرة ملكة ، فيها جلود الظباء والسباع ، وتقوم على جدرها النقوش والصور ، ولها بابان يطل احدهما على الرواق والآخر على تلك الغرفة التي جعلتها لنعمى بنت الريان .

وباب الرواق في وسط الجدار ، وله من اليمين والشمال زاويتان فسيحتان تسع الواحدة منهما عشرة رجال .

فعمدت الى الزاوية اليمنى وجعلت فيها ، بالاشتراك مع نعمى ونائلة ، ستاراً اسود كبيراً يتدلى الى الارض ويحجب جانباه ما وراءهما .

ونعمى ونائلة لا تعرفان ما هي الغاية من وضعه في ذلك المكان .

ثم قالت بلقيس لجاريتها : اين اخوك نائل .

Amly نهضة العرب

ــ في القصر .

ــ اذهبي الساعة وقولي له ان يختار ثلاثة من الغلمان الاشداء الذين يستلذون
الدماء وليحضروا جميعهم الآن ، ولكن احذري ان يعلم احد غير هؤلاء .

فخرجت نائلة ثم لم تمر لحظة حتى اقبل نائل ومعه رفاقــه ، فاومأت اليهم
بالوقوف وراء الستار وهي تقول :

لنفترض ان في يد كل واحد منكم خنجراً ذا حدين .

فمد احدهم يده الى حزامه قائلا .

هذا خنجري يا مولاتي !

قالت : دعه في حزامك الآن ، ثم لفتت نظرهم الى السرير العاجي القائم في
الزاوية الاخرى قائلة :

ــ اترون هذا ؟

ــ نعم .

اذن لنفترض اننا في ليل ، وان الظلام يسود هذه القاعة .. وانتم لا تبصرون
شيئاً ...

ــ نعم .

ــ ولكن ستعرفون ، وانتم ساكتون ، ان هذا الباب ، باب الرواق قدفتح ،
وتسمعون صوت نعمى يهمس قائلا : ادخلوا .. فيدخل ثلاثة رجال بينهم عباد
غلام الملك الذي كان غلاما لكاهن مأرب .. اتعرفونه ؟

ــ نعرفه .

وتتقدمهم نعمى الى هذا السرير ثم تتراجع الى الرواق ويغلق الباب ..

فقال نائل : لقد عرفت ما يريده هؤلاء الرجال ، انهم يريــدون ان يقتلوا
مولاتنا بلقيس التي تكون نائمة !

ــ بل يغمدون خناجرهم في صدرها وتسمعون انتم وقع هذه الخنــاجر تمزق
صحيتها ...

فجعلوا يتفرسون فيها والذعر يملأ قلوبهم .

Amly نهضة العرب

اما هي فابتسمت قائلة : ولكن بلقيس ايها الغلمان ستكون وراء هذا الستار حيث هي الآن ، وخناجر الاشقياء لا تقع الا على الوسائد !

فصاحوا جميعهم قائلين : وماذا نصنع بعد ذلك ؟

ـ يرفع هذا الستار فجأة وترفعون الايدي لتغمدوا شفاركم في الظهور أفهمتم الآن ؟

ثم اومأت اليهم بان يفعلوا ما امرتهم به ، واعادت ذلك المشهد مرتين حتى اتقنوه وخرجوا عندئذ من مخبأهم وهم من اعظم الممثلين .

ثم خاطبتهم قائلة : ليس في هذا القصر احد يعرف هذا السر غير مولاكم شرحبيل فاذا خطر لاحدكم ان يحدث به نفسه فليودع الحياة عندما يفعل وليعلم ان الملك نفسه لا ينقذه من الموت . وآمركم بان تلزموا القصر كل ليلة ولا تخرجوا منه الا الى الفناء .

وصرفتهم وهي تقول في نفسها :

لو كتب لذي القرنين ان يرى هذا الستار الاسود لمات رعباً .

ومشت تريد قاعة ابيها لتلمس بيديها تينك الدرعين اللتين اعدهما لليوم العصيب ، وتقوم بنفسها ايضاً ، بتمثيل الدور الذي سيمثله ناشر وعتيك ،وهي شديدة الاعجاب بذكاء امير نخلة ودهائه .

وكان شرحبيل يعالج درعيه ، فلما اقبلت ابتسم لها قائلا : لا اعلم كيف يستطيع الرجل ان يحمل درعين .

قالت : يستطيع ذلك عندما يعلم ان خناجر الملك ستطعنه من الامام والوراء البسهما يا مولاي !

ففعل ، فتناولت من الجدار خنجراً عريض الشفرة ووجهته الى صدره وهي تقول :

انت الان في رواق الملك . أأضرب ؟

ـ اضربي ولا تخافي .

ولكنها لم تجسر على الضرب ، بل مدت يدها حتى لامس الخنجر صدره واصاب الفولاذ . ثم ضغطت بيديها الاثنتين وشرحبيل يبتسم ويدفع خنجرها

Amly نهضة العرب

بصدره حتى كادت الشفرة تصبح قطعتين . ثم ضربت بخوف فوقع الفولاذ على الفولاذ وكانت نتائج ذلك الضرب ان الشفرة التوت ومزقت الرداء ليس غير .

ثم اقبلت تطعن اباها من الوراء حتى ايقنت بان الخناجر ، وان تكن حادة لا تؤثر في الدرعين .

فألقت الخنجر من يدها وقالت :

اضرب الآن ايها الملك ما طاب لك الضرب ، واغمس يديك بدماء ابن عمك ليبقى التاج لولي عهدك !

وقالت لابيها : اما انت يا مولاي فاذهب الى حيث تشاء فذو القرنين لا يستطيع ان يمد يده الى شعرة من رأسك .

وطابت نفس بلقيس ، وارتاحت الى ذلك « التمثيل » الذي قامت به ، ورجعت تشرح لوصيفتها فكرة الملك ، وتصف لها تلك المؤامرة الهائلة التي اخترعها دماغه الجاني وهو على فراش الموت .

وأوصتها بان تظهر لذي القرنين ، عندما يدعوها اليه ، انها تطيعه الطاعة العمياء ، وانها ستكون عونا له ولعباد في القضاء على بلقيس .

ومرت بضعة ايام وشرحبيل ينتظر دعوة الملك ، ونعمى تسأل سيدتها ان تأذن لها في الذهاب الى البلاط وهي لا تفعل .

حتى رأت اخيراً ان تأذن لها ، فانصرفت نعمى لتمثل بين يدي ذي القرنين وتصغي الى نصائحه .

* * *

Amly نهضة العرب

كان ذلك العام في اليمن ، عاما اسود ، قل فيه الشتاء ، واجدبت الارض ، فعم الضيق معظم المدن والقرى في جهات اليمن الاربع !

وكانت القبائل النازلة في الطرف الشمالي من اليمن قد احتملت الجدب من قبل واحتملت الضيق ، ولكن الطبيعة غلبتها على امرها فانتشرت في بلاد الله تطلب الحياة .

من هذه القبائل ، قبيلة مذحج ،وهي احدى القبائل المعروفة في التاريخ العربي، اجل ، لقد ضاقت الارض بمذحج ، فلم يبق لها الا ان تنزح عن اليمن وتجعل تهامة وطنا لها .

فعلت ذلك منذ عامين ، ولم تستطع القبائل المجاورة بل لم يستطع ذو القرنين نفسه ان يمنعها من الجلاء .

وكيف يستطيع ذلك ، وهي كثيرة للعدد ، ومهددة بالجوع ، والضيق يتبع الضيق وليس في اليمن سهل فسيح خصب تلجأ اليه .

على انها لم تنتقل فجأة الى تهامة ، بل مكثت بوادي نجران بضعة اشهر ، ثم عولت اخيراً على تركه والنزول في تلك الارض الواسعة ، التي هي ملك لقبائل معد.

وكانت عدوان ، احدى هذه القبائل ، تسود تهامة في ذلك الزمن ، وعلى رأسها امير عظيم عرفت فضله العرب ، واعترفت بحكمته هو عامر بن الظرب .

وعدوان ، قانعة راضية بما قسم لها الله ، وقبائل معد الاخرى ، تعيش حولها كأنها رعية لها .

وليس في تهامه كلها من يخالف امير عدوان في امر ، او يرد له نصحا ،ان عامراً بن الظرب سيد العقلاء ، وسيد الحكماء .

فلما ضربت مذحج خيامها في تلك الارض ، ونظرت عدوان الى تلك الصفوف الكثيرة تدور حول الخيام ، استيقظت في صدور رجالها تلك العاطفة التي لا تموت ، عاطفة تنازع البقاء ، وبدأوا ينظرون الى تلك القبيلة الغريبة كما ينظر العدو الى العدو .

ومذحج لا تبالي ولا تهتم الا للحياة تطابها ولو كانت بين براثن الاسد ، بل لو كانت في جوار القمر .

فاقبلت عدوان تقول لاميرها :

اتريد ايها الامير ان ينازعنا بنو مذحج عيشنا ويستثمروا ارضنا ،ثم ينصرفوا الى اليمن حاملين خير تهامة ؟

فاجابهم قائلا : اطلبوا اليهم ان يرحلوا فتبقى تهامة لاصحابها .

فذهب وفد منهم يسأل امير مذحج ، وهو جابر بن مفروق ، ان يترك ذلك السهل ويختار لقومه بلداً اخر يصارعون الفقر فيه .

ولكن جابراً لم يسمع لهم .

فقال عامر : نسأله فلعله يريد الحرب !

واجتمع الاميران في ظل خيمة بين الحيين .

وكان سيد عدوان في فجر كهولته ، وسيد مذحج في زهرة العمر ، غير ان الكآبة جعدت جبينه فبدا كانه كهل .

وعامر بن الظرب لا يتكلم الا بعد روية ولا يخاطب جليسه الا بعد تفكير .

وليس عجباً ، فهو حكم العرب المشهور وقاضيها الاكبر ، فقال لجابر : لماذا تركت اليمن ايها الامير ؟

قال : ضاقت اليمن باهلها فلم نر ألا ان نتركها على امل ان نعود .

قال : مرحباً بك وبقومك تقيم بضيافتنا بضعة ايام لا تنحر جزوراً ولاتذبح شاة حتى ترحل عنا !.

لقد رأيت خصباً ومرعى فلا ارحل حتى يكتفي القوم !

قال : الا ترى تهامة تكاد تضيق بقبائل معد كما ضاقت بكم بلاد التبابعة ؟

قال : نتخذ نحن ناحية منها وتتخذ هي ناحية اخرى فيعيش الفريقان .

لقد كانت تهامة لنا من قديم الزمان .

ــ بل كانت لتبع وهي له الى الآن .

قال : كلمة اخرى يا جابر لا اقول سواها ، اما ان ترحل بعد ايام او تأخذ

Amly نهضة العرب

ارضنا بقوة السيف !

فغمرت الكآبة وجه جابر وارتجفت شفتاه .

لقد جارت الطبيعة عليه في بلاده وجار عليه في تهامة بنو عدوان ، فخير له ان يرد بسيفه جور الطبيعة وجور الانسان فقال :

السيف يا عامر .

قال : السيف ...

وانصرف يقول لقومه : اما لكم او لمذحج .

ثم خرجت رجاله ينادون :

يا قبائل معد . هذا سيف اليمن تشهره مذحج وتريد ان تخضع به تهامة، فمن كرهت نفسه فليرحل قبل ان تستعر نارها او فاجتمعوا تحت لواء عامر بن الظرب واطيعوه .

فتشاور القوم ، وقبائل معد لم تجتمع قبل ذلك اليوم تحت لواء واحد ، بل لم تجتمع في الجاهلية غير ثلاث مرات ، الاولى تحت لواء عامر في حرب مذحج ، والثانية تحت لواء ربيعة بن الحارث في قضاعة ، في يوم يقال له يوم السلان ، والثالثة بقيادة كليب بن ربيعة في حرب اليمن ، كما ذكرنا في رواية الحارث الاكبر !

ثم قالوا : اطعنا عامراً ونحن جنوده .

فجمع ابن الظارب تلك القبائل في موضع يدعى « البيضاء » وخرج جابر بن مفروق بجيشه والفقر واليأس يدفعانه ويدفعان ذلك الجيش الى اقتحام غمرات المـوت .

وامر عامر فجردت السيوف من اغمادها وارتفعت الاصوات : يا لقحطان . يا لعدنان . ثم اهتزت الارض وتلاحم الجيشان .

ولكن اليمنيين غرباء واهل فاقة ، وبنو معد اصحاب البلاد واهل سعة وغنى ، وقد وفر عددهم حتى كان الفارس من مذحج يصارع اربعة من اعدائه !

فلم تغب الشمس حتى صبغت تلك الارض البيضاء بالدماء ، وترك جابر بن

Amly نهضة العرب

مفروق الساحة مع بقية جيشه ، وقد سحقتهم الحرب ، وخيبت املهم بالبقاء في ذلك القطر .

وماذا يفعل جابر بعد فشله ؟ لم يبق له الا ان يرجع الى ذلك الوادي الذي خرج منه ، وادي نجران ، ثم يسير منها الى مأرب سائلا مولاه ذا القرنين خروج لن يطلب بدماء قومه وينظر في امره .

ولم يتردد في تنفيذ ما خطر له ، وقد وصل الى مأرب وولي العهد في مهرا ، والملك المريض ، المائث ، يتآمر على ابن عمه ، وهو لا يعلم شيئاً من ذلك .

• • •

لم يكن مفروق وحده من المنكوبين

بل كانت هنالك وفود من جميع البلدان ، اقبلت تسأل الملك الحميري العظيم ، الرفق والاحسان .

وقد استقبل امير ظفار تلك الوفود باسم ذي القرنين ، وطلب اليها ان تذكر حاجاتها ليخبر بها مولاه .

فقال له جابر : اما انا فحاجتي ان ارى تبعاً .

ــ ولكنه مريض ولا يأذن لاحد في الدخول .

ــ قل له ان امير مذحج لا يخرج من البلاط حتى يراك .

فالتفت الى الآخرين قائلا : وانتم ؟

ــ نطلب ان يهب لنا الملك ما تعود ان يهبه كلما بخلت السماء بالغيث .

فمضى ناشر ينقل الى ذي القرنين ما سمع . ولكن ذا القرنين كان في تلك الساعة في ثورة جنون . فقال :

قل للوفود ان يرجعوا بعد ان تعود الينا العافية فليس عندنا اليوم مال نجود به على الناس .

وتلك كلمة تغضب الوفود . وناشر اللعين يريد اغضابها ليخسر مولاه

Amly نهضة العرب

جميع العشائر كما خسر معظم النبلاء ،

فلم يزد كلمة على ما قال .

ثم تمتم الملك وقد ضيع صبره : اما امير مذحج الذي يملي علينا ارادته. فليحضر ليسمع ما لا يحب !

ــ وهل اصرف الوفود يا مولاي ؟

ــ أجل ؛ ولتعد في وقت آخر كما امرنا . اما انت فارجع مع جابر بن مفروق لتساعدنا في اسكاته . انه كثير الكلام وكثير الدلال .

فقال ناشر في نفسه : سارجع ولكن لاساعد الاقدار في ابعاد الناس عنك ، وعن ولدك اللئيم الغدار .

وخرج وقلبه يخفق من الفرح ، ثم صرف الوفود كما امره الملك ورأى علائم الامتعاض والخيبة تبدو على الوجوه .

وأومأ الى جابر بان يتبعه ثم دخل الاثنان تلك الحجرة الصامتة التي يبسط الموت في فضائها ظله الرهيب .

غير ان امير مذحج ، لم يستطع ان يصدق عند دخوله انه بحضرة تبع الحميري ملك سبأ وحضرموت !

وكان ذلك الملك شبحاً خارجاً من القبر ، وعهده انه كالاسد في الغاب ؛ اذا نظر الى احد ! .

وتردد قليلا في امره . ثم عاد الى نفسه فخضع وتراجع الى الوراء .

فحدق اليه ذو القرنين بعينين تشبهان عيني النسر الذي دب فيه الهرم وقال له: ابن مفروق ؟؟

ــ نعم يا مولاي .

ــ ألم تترك اليمن الى تهامة ؟

ــ بلى يا مولاي .

ــ وهل امطرتك تهامة ذهباً ؟

فعجب سيد مذحج لتلك اللهجة التي يخاطبه بها الملك وقد تعود ان يرى على

نهضة العرب Amly

وجهه البشاشة والانس .

ولكن فانه ان الالم واليأس اللذين تذوب معهما حياة الملك ، جعلاه مجنوناً ضيق الصدر لا يهش الا للمؤامرات ، ولا يبتسم الا لحقده .

وجعل جابر ينظر الى جانبيه وهو مضطرب ، ثم قال .

بل امطرتنا تهامة جرباً يا مولاي .

ــ اذن خرجت من اليمن لتخوض مجال الحرب في سبيل طمعك . من هــو عدوك ؟

ــ بل خرجت من اليمن لاحارب الجوع الذي يهدد بني مذحج . ان عدوي في تهامة عامر بن الظرب.

قال : ويلك هذا سيد عدوان وحكم العرب فماذا لقيت منه ؟

ــ لقيت سيفاً قاطعاً وفرساناً مغاوير هم اكثر من نجوم السماء .

ــ واين تقيم مذحج اليوم ؟

ــ في وادي نجران وقد لجأنا اليه بعد ان لفظتنا تهامة .

فضحك شامتاً وهو يقول : هكذا تلفظ بلادالعرب كل يمني يرحل عن وطنه. لقد نصحنا لك بالبقاء فلم ترض ، فاشق ، فليس لنا يد في شقائك !!

فاغمض عينيه كانه يستجمع قواه ثم قال :

حسبي ، وانا في هذا الشقاء ، ان يكون الملك راضياً عني وان تشفيه الآلهــة من دائه .

قال : اما نحن فحسبنا ما سمعنا من اطراء ودعاء كاذبين !! اذكر حاجتك !

وهذا اغرب ما سمعه جابر بن مفروق في حياته .

فقال : متى كان امير مذحج كاذباً ايها الملك ؟

قال : لقد ضاق صدر الملك فاذكر ما قدمت لاجله .

واومأ اليه ناشر بان يفعل ، فاجابه وجسمه يهتز وصوته يرتجف : اطلب من مولاي ان يطلب بدم قومي وينتصر لمذحج .

ــ اي انك تريد ان تشهر السيف في وجه معد ؟

Amly نهضة العرب

ـ يكفي ان تشهره في وجه عدوان يا مولاي .
ـ ومن يسكت العرب بعد ذلك ؟
ـ وكيف يستطيع قومك ان يعيشوا في بلد تحميهم فيه هيبة الملك ؟
فانتهره قائلا : تغزو الناس في ديارهم يا ابن مفروق ثم تسأل الملك أن يجاريك في هذا الغزو ويبذل دماء جنوده في سبيل مذحج ؟ وهل تظن ان تبعا يغضب قبائل معد ليرضيك ويشعل النار في تهامة دفاعا عنك ؟ انك اذن من اولئك الناس الذين يستغلون العرش لغاياتهم الخاصة ثم يتركون هذا العرش واصحابه عندما تقضى الحاجات .
واستوى جالسا وهو يقول :
تريد الآن ان يوجه الملك جيشا الى تهامة أليس كذلك ؟ ولكن الملك يأمرك ايها الامير اليمني بان تقود قومك بني مذحج الى تلك الارض، ومع ذلك فنحن قادرون على الحرب والعيش بدونك ، فحارب انت من شئت وعش كيف شئت دون ان يكون للملك رأي في ذلك .
وكان ناشر يخشى ان يخفو جابر ، فيابن ذو القرنين وهو لا يريد ان يلين كما رأيت ، فقال : ابقي لك شيء آخر تذكره يا ابن مفروق ؟
وغمزه بعينيه .
فقال : الا ينتصر لي مولاي الملك ؟
اذهب غداً واغز الحيرة او الفرس ثم عد الى مولاك قائلا له : انتصر لي .
لا . ان الملك لا ينتصر الا لمن ينتصرون له ...
ـ اذن فاعطني يا مولاي !
ـ وماذا نعطيك ؟
ـ شيئا من المال استعين به على امري وامر قومي .
ـ لقد قلنا للوفود الآن ان ترجع الى مأرب بعد حين فارجع معها فليس عندنا ما نعطيك اياه الآن :
قال : ارجع عندما تجود السماء بالبركات ايها الملك ؟

نهضة العرب Amly

فاجابه قائلا : هذا ما نقوله لك فانصرف ولا تزد .

فنهض ناشر وهو وراءه ، والدنيا تسود في عينيه لذلك الرد القهيـــح الذي فاجأه به ذو القرنين .

غير ان ناشرا عرف كيف يستميله فقال :

ابق في البلاط الليله فانا بحاجة اليك .

ــ ولكني لا اطيق الاقامة ببلاطه . لقد فعلها ذو القرنين ، فواحدةبواحدة وسيتغير الزمان .

وكان يقولها وصوته يملأ الرواق .

فهامسه ناشر قائلا : اسكت اذا اردت ان تعيش .

ودله على حجرة يقيم بها وهو يقول :

سأراك الليلة بعد ان تغرب الشمس .

وتركه ومضى ، لينظر في شؤون القوم الذين يروحون ويجيئون .

* * *

٤٩

كانت نعمى قد قابلت الملك في ذلك اليوم .

وقد قص عليها خبر مؤامرته ولم ينس شيئا ، واوصاها بان تهيء لعباداسباب القضاء على بلقيس .

فخرجت نعمى من غرفته وهي تعجب للاشباح كيف تتآمر وللاموات كيف يفكرون في العروش .

وراحت تصف لمولاتها خال ذلك الشبح المتآمر ، والملك الفاني الذي يطمع بالحياة وهو يموت..

وخبرتها بان عباداً وغلامين معه سيزورون القصر بعد ايال ، تلــك الزيارة

Amly نهضة العرب

الغريبة ويجربون خناجرهم بوسائد الفرش ...

ولم تكن نعمى تعلم ان سيد مذحج قدم مأرب وان الملك اغلظ له في القول واسمعه ما يكره .

على ان عتيكا اقبل على القصر عند المساء في الساعة التي كان فيها الملك يهامس عباداً وروى لشرحبيل وابنته حكاية جابر مع ذي القرنين ، كما رواها امير ظفار .

وسأل الاثنين ان يجاملا جابراً ويحسنا اليه .

ثم عاد الى البلاط دون ان يعلم غلام الملك .

أما ناشر ، فقد دعا الى غرفته ، عند ما غربت الشمس ذلك الامير الذي استخف به مولاه ، وكان لم يزل ثائراً ، وقال له :

الم تنس ما حدث لك ايها الامير .

ــ وكيف انسى وقد أهينت مذحج وخرج اميرها من البلاط مهشم الكرامة ذليلا لا يحمل لقومه الا العار ؟.. قل لي ايها الامير ماذا اقول لمذحج ؟ أأقول لهم ان ملككم لا يجسر على اغضاب تهامة ولا يريد ان يحسن اليكم ؟ ام اقول لهم أغزوا قبائل معد واسترجعوا الشرف الذي فقدتم ؟؟ خير لي ان اعود محمولا على الاعواد من ان ارجع حاملا ذلي وازدراء ذي القرنين بي !!

ــ بل تقول لهم ان في مأرب ملكين أحدهما على العرش يزرع البغض في الصدور والآخر لا عرش له ولكنه يملك القلوب .

فنظر اليه اليه مستغرباً ثم قال : من هو هذا الملك ؟

ــ شرحبيل بن عمرو !!

ــ هذا كبير الامراء وابن عم ذى القرنين .

ــ نعم فاذا طاب لك ان تعود الى قومك حاملا لهم ما يساعدهم في هذا الضيق فاذهب اليه !

ــ أيستطيع شرحبيل ان يفعل هذا ؟

ــ اجل فهو زعيم اليمن اليوم وسيد المحسنين .

Amly نهضة العرب

ـ ولكن امير مذحج لا يمد يده الا الى الملوك .
ـ لا تنس ان شرحبيل ملك وهو ابن يعفر .
ـ ومن يتقدمني اليه ؟
ـ الا تعرفه ؟
ـ بلى ، غير ان الحاجة تخرس اللسان .
ـ ولكنها عادة للعرب فلا تغير العادات ، قم فاذهب الان فهو في القصر واذا حدثته فحدثه والناس لا يسمعون .
ـ واقص عليه ما جرى لي مع ابن عمه ؟؟
ـ قل له ما تشاء فالصدر رحب يتسع للاسرار .
ـ اخشى ان يردني كما ردني تبع .
ـ بل تخرج من قصره وانت شاكر وشديد الاعجاب .
فقال : انها ساعة وتمر ، فاما ان نهجر اليمن الى الابد ثم نكافيء ذا القرنين على احسانه ، واما ان ينسينا ابن يعفر هذا الذل الذي رأيناه .
ونهض ، فالتف بعباءته وهو يقول :
اشهد ايها القصر الشاهق اننا لا نرجع اليك وذو القرنين حي ، واشهد يا امير ظفار ان الطعنة التي وجهها الينا مولاك ستنزل معنا الى القبر . امـــا انت فكريم وستعترف مذحج بفضلك اذا قدرت .
وخرج وصدره يغلي ، وهو لا ينظر الا الى الباب الذي سيخرج منه .

***

كان كاهن مأرب يعلم مما يراه كل يوم ان الملك سيموت وولي عهده بعيد عنه. بل كان يحصي الايام التي بقيت لذي القرنين على الارض .
على انه لم يكن يعبأ بحياته وموته ، بل قل انه كان يتمنى ان يموت ، ليصير ملكاً ، بالوكالة ، كلما غاب ولي العهد عن مأرب .

نهضة العرب Amly

ولم يكن له في ذلك سياسة ، بل كان يريد ان يضع في خزانته كل ما في اليمن من مال .

ولا يتم له الامر كما يشاء الا اذا ضم الى الكهانة الكبرى وكالة الملك .

وكان يعلم ايضاً ان ذا القرنين لا يوصي لشرحبيل بشيء ، اذا بقي شرحبيل حياً ومع ذلك فوت شرحبيل في نظره خير من حياته ، ليخلو له الجو ، وينام قرير العين .

وهب انه لم يكن نائب الملك ، فوجوده في البلاط مع الملك الجديد ، ولا وجود لشرحبيل وبلقيس ، يجعله نصف ملك ، ويضمن له النفوذ الذي يكثر معه ذهبه لوهاج .

اجل ، كان وتار ذمر في ذلك الحين نافذاً وبعيد الصوت ، ولكن ذلك النفوذ يضمحل عندما تصبح بلقيس ملكة . ويمد ابوها اصبعه في شؤون الملك .

اذن فليمت ابن يعفر وابنته قبل ان يعود ولي العهد ، وليمت الملك بعدهما . ولتصبح اليمن كلها ميداناً لنفوذ ذلك الكاهن العظيم .

هكذا كان وتار ذمر يوغر صدر الملك كلما وقف الى جانب فراشه ، ويسأله ان يتعجل في الامر .

حتى عول ذو القرنين على تنفيذ الحكم بالاعدام ، وطلب اليه ان يختار رجلين يكونان مع عباد .

ففعل الكاهن ما امره به ، وجاء الى البلاط بعد خروج امير مذحج منه ليصف لملك ذينك الرجلين.

فقال له الملك عند دخوله :

ماذا فعلت ايها الكاهن ؟

ــ رأيت الغلامين اللذين ذكرت يا مولاي .

ــ ممن هما ؟

ــ الواحد من عبد القيس ، والآخر من كندة .

ــ وليس لهما أهل ؟

Amly نهضة العرب

ـ لا يا مولاي فاذا قتلا بعد القضاء على بلقيس فلا يسأل عنهما احد .

ـ وهل بحت لهما بالسر ؟

ـ كيف ابوح به قبل ان تأتي ساعته . ان عباداً وحده يعرف سرنا وسيقوله لهما عند ما يمسي الثلاثة في فناء قصر شرحبيل .

قال : أحسنت فانت كثير الحذر ايها الكاهن ، ولكن مـا هو رأيـك فيما ذكرته لك عن قتل ابن يعفر ؟

ـ ليس لي رأي في هذا فالملك أعلم باخلاص ناشر وعتيـك اللذين يعيشان في البلاط .

قال : ان ناشراً اخلص الناس ، وهب ان امير نحلة غير مخلص فهو لا يجسر على الخروج عن الطاعة .

ـ ولكن القتل في الرواق يهز من في البلاط وتضطرب له الجواري والغلمان .

ـ بل يحدث في لحظة دون ان يرتفع للقتيل صوت .

ـ ولماذا لا يكون خارج البلاط ؟

ـ اذا جرى خارجه تبعته الفضيحة والملك لا يريد ان يفضح نفسه .

ـ اخشى ان يستغيث القتيل فيحدث ما تخافه .

ـ وكيف نمنع هذه الاستغاثة ؟

ـ يتولى امر القتل ثلاثة بدلا من اثنين .

ـ لا نجد في البلاط رجلا ثالثاً نعهد اليه في قضاء هذا الامر . بل يوجـد هنالك رجل هو انت !

ـ انا يا مولاي ؟!

ـ اجل انت فليس عندنا من نثق به .

ـ ولكن لا اطيق حمل الخنجر يا مولاي ولست من اولئك الرجال الذين ألفوا الطعن والقتل .

قال : تكون في حجرة الملك عندما يكون فيها شرحبيل ثم تخرج وراءه لتضع يدك على فمه اذا حاول الاستغاثة !

Amly نهضة العرب

ــ بل اقف عند الباب يا مولاي فارى جثة اللعين تهوي الى الارض .

فهز رأسه قائلا : قف حيث تشاء فانت لم تخلق لتكون من رجـــال السيف .

وقبل ان ينصرف قال له : تهيأ فستستفيق مأرب على هذا الحادث العظيم بعد يومين ، وينتهي امر ابن يعفر .

وجرب الملك ان ينام بعد ان ارتاحت نفسه فلم يقدر ، وعين القضاء كانت ساهرة لا تنام .

* * *

٥٠

لم يظهر شرحبيل لجابر بن مفروق انه يعرف شيئا من امره .

بل استقبله كما تعود ان يستقبل امثاله من الامراء ولم يكتمه استغرابه ، ذلك القدوم الفجائي .

فقال سيد مذحج : كنت في قصر الملك ولم اشأ ان ارحل الى نجران قبل ان ارى كبير الامراء .

ــ ومتى قدمت ؟

ــ منذ بضعة ايام فأنزلني الملك في حجرة تحاذي حجرته ليراني في كل لحظة واحاطني بعنايته واحسانه .

قال : ليس في ذلك شيء من العجب فانت اهل لعطف الملك ورضاه . ألم تكن مذحج احدى القبائل التي يستند اليها عرش تبع ؟

ــ كانت كذلك فيما مضى ايها الامير !

ــ واليوم ؟

ــ اما اليوم فقد اكتنف بني مذحج الضـــيق فرحلوا عن اليمـــن يطلبون الحياة بالسيف .

Amly نهضة العرب

ــ عرفت انك فعلت هذا في العام الماضي ، اتقيم الان بنجران ؟
ــ بواديها الذي تبدأ عنده تهامة .
ــ ولكن هذا الوادي لا ينبت زرعا .
ــ ان المال الذي اعطانيه الملك يخلق هذا الزرع .
قال : لم اسمع قط ان اهل نجران يعيشون بسعة فانصح لك بان تنقل الى بلد آخر تغلب فيه جور الزمان .
ــ فعلنا ذلك فغلبتنا معد .
ــ وماذا صنع الملك ؟
ــ امر بالجيوش فتهيأت للحرب وستسير بعد يومين الى الميدان لتكون عونا لمذحج ...
قال : لست ملكا يا جابر لارسل معك جيوشا ولكني املك سيفي فأهبه لك واساعد جنود الملك في الدفاع عنك .
فاختلجت عينا الامير الفتى وجعل يقول :
لتهنأ مذحج بهذا السيف الذي وهبه لها ابن يعفر .. لقـــد طوقتني يا سليل الملوك فضلا لا انساه ورفعت رأسي بين القوم .
ــ واي فضل لهذا السيف وقد سبقه سيف الملك ؟
فقال : وهل صدقت ايها الامير ما قلته لك ؟
ــ وكيف لا اصدقه وانت قائله .
قال : خرجت من بلاط ذي القرنين صفر اليدين وليس في كمي ما اشتري به خبز يومي .
قال : جابر بن مفروق ؟؟!
ــ نعم لقد خرج جابر بن مفروق من غرفة الملك كما يخرج المعوز المستعطي الذي تطرده الغلمان !!
قال : هذا هو القول الذي لا اصدق منه كلمة .
ــ اقسم لك بشرف مذحج ان الملك لم يسمعني كلمة رضى ولم يعطني درهما

حتى ظننت انه سيكرهني على ترك البلاط والرجوع من حيث اتيت !!
فبان الغضب في وجه شرحبيل وقال :
أفعلها ذو القرنين ولم يذ كر من انت ؟
ـ اي وتربة حمير فعلها ولم يبال .
فاطرق الامير وطال اطراقه .
فقال : في اي شيء تفكر يا مولاي .
ـ في هذا الملك الذي يغضب رجال عرشه ودعاتم ملكه .!!
ـ ولكن سيأتي يوم يندم فيه على ما فعل وهو يوم قريب كما رأيت .
قال : لا تغضب يا سيد مذحج فلعل الداء الذي يعاني الملك آلامـه ينسيه نفسه ...
ـ لا يتسع لي في هذه الساعة مجال الغضب يا مولاي ، على اني لن اسكت عن هذه الاهانة ولن تصبر مذحج على ذل !
فضحك قائلا : أتشهر الحرب على تبع .
قال : لا تستخف بي يا مولاي فانا ان لم اشهر الحرب على الملك استطعت ان أهزأ به كما هزأ بي واستعيد كرامتي بعد موته !
ـ اي انك ستحارب ولي عهده يوم يصبح الملك له .
قال : يكفي اني لا اعترف بمن ذكرت ولا ابايعه الملك ما بقيت مذحج .
ـ ولكن تبايعه اليمن ويصير ملكا وتخرج مذحج من بلادها الى الابد وهي بدون ملك .
ـ سأفعل هذا وانا لا ابالي .
قال : الا تجعل لك مرجعاً تلجأ اليه يوم تجور الاقدار .
ـ كان ذو القرنين مرجعاً لنا فطردنا من بلاطه ومع ذلـك فانت مرجعي وملكي منذ الان وهذا السيف لا يخرج من غمده الا في سبيل طاعتك !
قال : ان ملكك يا ابن مفروق بدون تاج .
ـ قل كلمتك يا مولاي تجعل لك مذحج وغيرها من عشائر اليمن تاجـاً لا

Amly نهضة العرب

تنزعه يد الزمان .!

ــ وولي العهد ؟

ــ ليمت فلاخير بولي عهد يحفظ ابوه الذهب في خزانته ورعيته يهددها الجوع

ــ ومن يقول من امراء اليمن مثل قولك ؟

ــ سمعت ناشراً امير ظفار الذي هو وزير الملك يقول مثل هذا .

ــ ان امير ظفار عدو لي .

ــ وماذا نريد يا مولاي اكثر من ان يشهد لك عدوك ويعترف بانك رجل الساعة ؟

فاكتفى شرحبيل بما سمع ولم يشأ ان يتمادى في امره فقال : جئتك الي لاهب لك سيفي فوهبت لي سيفك .

ــ واجود لك بدمي يا ابن حمير .

فقال : يا غلام . ادع بلقيس .

فاقبلت تلك الاميرة الحسناء فبهر جمالها عيني جابر وجعل يتفرس فيها وقد ملأ الاعجاب نفسه .

فقال شرحبيل : هذا امير مذحج وقد اقبل من نجران يسأل الملك ان يحسن الى قومه .

فانحنت الفتاة .

فقال : ولكن الملك رده ولم يشأ ان يجود بشيء .

قالت : انه ملك . فهو يجود على البعض ويبخل على البعض الاخر . وماذا تريد ان تفعل انت يا مولاي ، اترده كما رده ابن عمك ؟

فقال جابر : حسبي ان يكون ابوك راضياً .

ــ اما هو لا يرضى الا ان تعود الى قومك وانت مكثر ، قل يا مولاي ماذا اعددت لامير مذحج .

قال : كل شيء يملكه شرحبيل بن عمرو هو له .

فقال : أليس من العار على اليمن ان يكون ذو القرنين ملكها وتكــون انت

رعية له ؟

ــ لقد ورث هذا الملك ولم يأخذه قهراً . ومن يعلم فقد ينتقل الملك الي اذا ساعدني سيف جابر وسيوف امثاله من امراء العشائر في الحصول عليه .

قال : سأزحف على رأس جيشي الى مأرب عند اول خبر يرد علي منك .

ــ واثق بان هذا الوعد وعد حر ؟

ــ نعم يا مولاي واقسم لك .

فقال : كفى ، اعطيه يا بلقيس ملء جرابه ذهباً .

ــ هذا كثير يا مولاي .

ــ بل قليل عليك ، واعطيه طائفة من دروع جدلا طالب ومائة سيف من سيوف أبين وريام .

فحاول الرجل ان يتكلم فاسكته قائلا .

وقولي لنائل ان يعد له خمسين بغلا تحمل المؤونة ومعها تلك الناقة التي اهديت الينا من مكة والتي لا نملك سواها .

فصاح قائلا : اسألك يا مولاي بتربة حمير ان تأذن لي في الذهاب فانا اخشى ان يقتلني هذا !!

قال : تبقى ثلاثة ايام ثم تذهب ، ماذا نعطيك بعد يا ابن مفروق اتأخذ ولدنا الهدهاد فتجعله ولداً لك ام تريد ان يسير معك شرحبيل بن عمرو فيكون الى جانبك في ايام الضيق ؟ قل ماذا تريد بعد ولا تخف فمالي كله ابذله لك لتستطيع مذحج ان تفاخر العشائر بان اميرها سيد الامراء !.

فتفجرت الدموع من عيني ذلك الفتى وجعل يتمتم الفاظاً لم تصل الى الاذان.

فقالت بلقيس : امير مذحج يبكي !

ــ نعم ابكي فقد ضيعت الزمان في خدمة ملك لا يعرف قدر الرجال .

وجرد سيفه فوضعه عند قدمي شرحبيل قائلا :

دمي حلال ان لم يكن هذا السيف لك والمذحج الى الابد .

فتناول الامير السيف وقلده اياه وهو يقول :

Amly نهضة العرب

خذه فانه سيف شريف .

ومعنى هذه العادة ان السيف اصبح لشرحبيل وقد وهبه له ليضرب به اعداءه وكانت ساعة اصبح فيها الامير عبداً لابن يعفر ومذحج وسيوفها ملكاً له .

وانقضت الايام الثلاثة وجابر لم يخرج من القصر .

وفي اليوم الرابع خرج من مأرب وتقدمته المؤونة والمال على ان يعود مع جيشه اذا قضت الحاجة .

وكانت بلقيس تقول لابيها :

لقد اشتريت بالمال الذي بذلته لابن مفروق عرش حمير .

* * *

٥١

هذا غلام الملك يا مولاي .

ــ عباد ؟

ــ نعم وهو يستأذن بالدخول .

فابتسم شرحبيل ابتسامه قصيرة لنائل : لقد اذنا له ، ثم قال لباقيس : لقد ارسل اللعين يدعو ابن عمه الى القبر .

فاجابته بابتسامة تشبه ابتسامته ، ثم دخل عباد فقال :

امرني الملك بان ادعوك اليه هذا المساء .

ــ وكيف هو الملك اليوم ؟

فظهرت الكآبة على وجهه وأجابه قائلا :

لا ادري يا مولاي فحـال الملك حـال تعب دائم والم مستمر واخشى ان يفاجئه الموت في هذا الليل .

فقطب حاجبيه وقال : احذر ان تقول هذا مرة اخرى فالموت لا يجسر على الدنو من ذي القرنين .

Amly نهضة العرب

فقال في نفسه : ولكنه يجسر على الدنو منك .
ثم ارخى نظره وهو يقول : بماذا اجيبه يا مولاي ؟
ــ ساكون بين يديه بعد ساعة . ولكن كنت اوثر انابقى الليلة على اناذهب اليه عند الصباح .
ــ ولكنه يلح في طلبه يا مولاي .
ــ عجباً وماذا حدث للملك ؟؟
ــ من يعلم اي خاطر خطر له .
ــ أهو وحده ؟
لقد دخل وثار ذمر البلاط عندما خرجت منه وقد يكون الان عند فراشه !
فقالت بلقيس : لا تتردد في الذهاب يا مولاي فلو لم يكن الملك بحاجة اليك لما ارسل غلامه الساعة .
ــ اذن قل له اني ساجيء .
فخرج عباد ومشى شرحبيل الى غرفته ، ليلبس درعيه اما بلقيس فدعت نائلا والغلمان الثلاثة ووصيفتها نعمى لتعيد تمثيل ذلك الدور العجيب .
وأوصت اباها بان يحذر اعداءه ، وبان يقرأ مظاهر ذلك الكاهن الغدار بل يقرأ ما في نفسه اذا استطاع .
وانصرف الامير وخنجره في حزامه ، وساد قصره بعد ساعة ، ظلام وصمت رهيبان .
وكان ناشر وعتيك في الرواق المؤدي الى غرفة الملك ، فلما وصل شرحبيل هامسه ناشر قائلا :
امستعد انت للموت ؟
فاجابه وشفتاه ترتجفان : كلنا فداء ذي القرنين .
قال : احذر ان تبدر بادرة غضب وانت عنده .
قال : ولكنه سيكون الليلة كثير العطف علي وخفيف الظل .
ــ كماانك ستكون ليناً وصادق الطاعة .

واستأذن شرحبيل ودخل والاميران وراءه وكان وتار ذمر جالساً عند قدمي الملك وليس في الحجرة من الرجال والنساء سواه .

فافتر ثغر ذي القرنين واذن لهم في الجلوس ثم مد يديه الى ناشر فاجلسه وكان يقول :

من كان يظن يا ابن العم ان الملك يمسي عاجزاً عن القعود في فراشه ؟

فقال : انها ايام قصيرة وتزول يا مولاي .

ـ بل تنتهي هذه الايام بانتهاء هذا الليل . لقد دعوناك الان لتنظر النظرة الاخيرة الى ملكك قبل ان يلفظ روحه !!

وكان وجه الملك عندئذ وجه ميت .

قال . دعوتني يا مولاي لتأمرني بمهمة اخدم بها عرشك .

وقال الكاهن والاميران : يعيش الملك .

اما هو فاستطرد قائلا : لقد تركنا العرش لصاحبه ولي عهدنا الذي يحارب الحبشة من اجله والذي يعود بعد ايام ليلبس تاج ابيه وتكونوا انصاراً له كما كنتم انصاراً لنا .

فقال وتار ذمر: ودعوتني انا يا مولاي لتقول لي هذا ؟

ـ اجل ، وللملك رأي آخر يريد ان يقوله وانتم تسمعون . اننا نموت وعمرو بعيد عنا وليس في اليمن من احفاد حمير غير شرحبيل بن عمرو، فاسمع ياشرحبيل، انك نائب الملك منذ الان حتى يعود ولي العهد ولك ان تفعل في اليمن ما تشاء دون ان يكون لاحد نفوذ يشبه نفوذك ورأي فوق رأيك !!

فصاح قائلا : العرش لك ولولدك من بعدك وستملك قواك غداً او بعد غد فلا تحتاج الى شرحبيل وسواه !

قال : اسمع واطع فالملك يتكلم الان .

فسكت ، وقد راى ان يصبر على هذا الاستهزاء ، ولكن وتار ذمر لم يشأ الا ان يمد اصبعه لتتم حيلته وحيلة مولاه ، فقال : لقد جعلته نائبامنذ الان . والعرش لا يحتاج الى نائب والملك حي !.

Amly نهضة العرب

ـ لو لم نحس بمخالب الموت تنشب في هذا الصدر لما فعلنا .

ـ فليكن نائباً بعد ان يموت الملك .

فنظر اليه نظرة غضب وقال : ويلك يا وتار ذمر أتخـالف مولاك في قول يقول وهو يوصي ؟ اننا نعهد لابن عمنا في امر الولاية عندما نشاء فليس عليك الا ان تعطيه كما تعطينـا وتخضع له خضوعك لنا فهو ملكك حتى يعود عمرو كما قلنا . . .

والتفت الى الاميرين الآخرين قائلا : اشهد ان شرحبيل نائب الملك منـذ هذه الساعة والويل لمن لا يعترف به . . .

فقال شرحبيل : الا يجوز لي يا مولاي ان انزل عن حقي لمن هو اعظم مني شأناً وابعد صوتاً و قرب الى البلاط ؟

ـ من هو هذا ؟

ـ وتار ذمر نفسه يا مولاي الذي يبدأ نفوذه بعد نفوذ الملك .

قال : لينظر وتار ذمر في امر هياكله وكهانه . . ان العرش لا يسلم الا الى سليل الملوك الذي هو انت والحق لك وحدك بعد ولي العهد . . . مـاذا تقول ايها الكاهن ؟ ؟

ـ من يجسر على اغضاب الملك ؟ . لقد قلت كلمتي وانا واثـق بانك باق وبان الموت اضعف من ان يمد يده اليك .

ـ بل قلتها وانت تريد نيابة الملك لنفسك !

ـ عفوك يا مولاي فانا لم افكر في هذا .!

ـ اذن فانت تعترف بان شرحبيل مولاك .

ـ نعم .

ـ وستكون عوناً له في كل ما يأمرك به ؟

ـ نعم فهذا ما يريده الملك .

ـ وانت يا شرحبيل اذكر انك ابن يعفر وان العرش عرش اجدادك الذين بنوه بالسيف .

نهضة العرب Amly

قال : لم انس قط ما يقوله مولاي .

ــ واذكر ان لهذا العرش اعداء يصلونه الحرب من وراء الستار وانت تعلم من هم فلا تغمض عينك عنهم .

فكرهت نفسه ان يعترف بهذه العداوة ، فقال :

لا اصدق يا مولاي ان في اليمن اعداء لك .

ــ بل يجب ان تصدق وتكون سياجاً لعمرو الذي سيتولى امر الملك وهــو في فجر شبابه .

فاجابه قائلا : ان الفتى الذي يحسن قيادة الجيوش الى الميادين يحسن في الوقت نفسه الجلوس في كرسي ابيه .

فقال وهو لا يبالي : لقد خبرنا قبل سفره انه سيتزوج بلقيس وانك وعدته بهذا الزواج فقل له عند رجوعه ان يجعل زواجه في العام المقبل .

وقال للآخرين : هذه هي ارادة الملك التي نأمركم بان تنقلوهــا الى ولده . عار على ولي العهد ان يحيي الافراح في البلاط وابوه نائم في قبره منذ ايام ...

وبكى اللعين عندئذ ولا يعلم احـــد اية عاطفة جالت في صدره ، في تلك الساعة

على انه لم يلبث حتى تبسم لخاطر آخر جديد فقال :

سنترك هذا العالم ونحن لا نعرف ابنة عمنا التي ستسمى ملكة .

ــ خير لك ان لا تعرفها يا مولاي فقد تكون على غير ما وصفت لك .

قال : لتهنأ بالملك وليهنأ عمرو بها فهي اهل له .

وجعل يقص عليهم حكايات ماضيه وهو ولي العهد حتى كاد ينقضي الهزيع الثاني من الليل ، وحتى ايقن بان جميع من في البلاط يغطون في النوم .

فاومأ الى الاميرين بان يخرجا قائلا لهما : انصرفا فقد بقيت لنا كلمة نقولهــا لنائب الملك ولكاهن مأرب .

فعرف ناشر وعتيك ان ساعة شرحبيل قد دنت ...

وقاما فخرجا ، فقال :

Amly نهضة العرب

بايع مولاك ولي العهد يا وتار ذمر .

قال : اقسم بالالهة اني سأكون عبداً للملك عمرو بن ذي القرنين .

ـ واقسم انت يا شرحبيل.

فقال : اقسم اني سأكون مخلصاً لعرش الملك .

ومد يده الى حزامه ليرى اذا كان خنجره فيه ...

فقـــال الملك : أذنّا لكما في الذهـــاب الآن على ان تعودا فقـــد نعيش الى الصباح !!

اما شرحبيل فلم يجب ، واما وتار ذمر فقد ابتسم له ابتسامة خفية ثم توارى الاثنان عن نظر الملك الغدار .

* * *

نهضة العرب Amly

٥٢

لم يدخل شرحبيل الى البلاط في ذلك الليل حتى خرج منه عباد يريـد قصر وتار ذمر وعلى وجهه حجاب .

غير انه لم يبق في ذلك القصر غير لحظة فقد تركه من باب آخر لا يطل على السوق ومشى وراءه غلامان محجبان هما مع عباد عصابة السوء .

ثم سار الثلاثة الى قصر شرحبيل وغلام الملك في الطليعة والجميع ساكتون كأنهم سائرون وراء نعش .

حتى اقبلوا على الفناء فرأوا ثلاثة اشباح وقفوا كالتماثيل وراء السور ، بينهم وبين هذه الاشباح بضع خطوات .

فخفق قلب عباد اولا ، ثم جعل يلوم نفسه على هذا الخوف الذي لا سبب له، ورأى باب الفناء مفتوحاً فدخل ودخل رفيقاه .

فابصروا عبداً يحمل سراجاً فقال الغلام :

نحن من غلمان الملك ايها العبد وقد ارسلنا الامير شرحبيل ننقل الى وصيفة ابنته كلمة قالها لنا .

فحنى العبد رأسه ولم يجب ، كأن امراً خفياً صدر اليه من ربة القصر، وتقدمهم الى البهو المظلم ليدعو نعمى .

ثم جاءت نعمى فقالت : من انتم ايها الغلمان ؟

فاجابها عباد وهو لا يضطرب ولا يرتجف صوته :

اذكري امر الملك !

فقالت : عباد ؟؟

ـ نعم .

فصرفت العبد وهامستهم قائله : لقد نامت الاميرة ونام اخوهـا فاحبسوا انفاسكم واحذروا ان يسمع لكم همس .

ثم مشت امامهم في ذلك الرواق الطويل حتى وقفت بباب بلقيس وقالت :

Amly نهضة العرب

ليدن غلام الملك فسافتح الباب .
وكان همسها مسموعاً من الداخل .
فدنا ذلك الغلام وفتحت الباب وهي تقول :
ادخلوا .! !
وكان ظلام تلك الحجرة موحشاً يبعث الهيبة والذعر .
ثم جعلت تنقل قدميها ببطء وهم وراءها حتى امست عند سرير بلقيس.
فقالت : هذه هي فاضربوا .
وتراجعت . ثم اغلق الباب .
فسقطت خناجر الاشقياء على ذلك الجسم الناعم النائم في الفراش ولكن ذلك الجسم كان جماداً فقد مزقته الشفرات وهو في موضعه لم يتنفس ولم تخرج كلمة من فه.
فصاح عباد : خيانة للملك .
وفي تلك اللحظة نفسها ارتفع الستار الاسود وبرزت من ورائه بلقيس وغلمانها الاربعة وهي تقول ، خيانة للملك ؟ ..
وقبل ان ترتفع الايدي ، فتح الباب الآخر الذي يؤدي الى غرفة نعمى وظهر منه نور جعل الليل نهاراً .
ثم اغمدت الخناجر في الظهور .
انها ساعة .صبغت فيها الدماء سرير بلقيس وغرفتها وملأت اصوات الاستغاثة فضاءها وليس من مغيث .
ثم خمدت تلك الاصوات وامسى غلمان الملك تحت الاقدام .
فقالت بلقيس لرجالها كأنها لا ترى شيئاً ولم يحدث شيء .
أحملوا هذه الجثث واطرحوها خارج الفناء دون ان تقولوا كلمة ، وارجعوا الى القصر اما انت يا نائل فافعل ما امرتك به ولا تعد الي حتى يغيب التراب هذه الاجسام .
فطرحت الجثث عند السور كما قالت بلقيس .
ولكن تلك الاشباح التي رآها عباد كانت قد اعدت لها حفرة واحدة نقلتها اليها؟

Amly نهضة العرب

وأسدل الستار على مؤامرة الملك من هذه الناحيه .

ولم تكن هذه الاشباح غير ثلاثة رجال ، من اتباع ناشر اميز ظفار .

* * *

٥٣

وقف كاهن مأرب عند باب الملك وكان ناشر وعتيك قيد ذراعين منه كأنهما ارادا ان يقتلا ابن يعفر علي عتبة ذلك الباب .

اما شرحبيل فمشى خطوتين اثنتين ثم رأى الشفرة تلمع في يد احدهما ، فقال وهو يتظاهر بالخوف : من انت ايها الرجل ؟

فاجابه ناشر قائلا :

فتى من مأرب يجرب ان يغمد خنجره في صدرك يا ابن عم الملك .

قال : الصوت صوت ناشر وانت تمزح .

ــ أجل، ولكن تعودت ان اسفك الدماء بعد كل مزاح، وعاجله بضربة سمع لها صوت . ثم سمع صوت آخر لضربة اخرى وقال الاثنان :

هذا اول رجل رأيناه يلبس درعين وقد كسر الخنجران .

قال : ولكن خنجري لا يكسر وسأجربه الان .

وكان الملك جالساً في فراشه وهو يسمع كل شيء .

فلما قال شرحبيل كلمته الاخيرة ، عرف انه لم يمت ، وان ذينك الامـــيرين يخونانه ويعبثان به وهو غافل عنهما .

فارتخت يداه اللتان يستند اليهما وسقط بين وسائده .

وكان ناشر يقول في تلك اللحظة : قلت لك اننا نمزح مع نائب الملك لنختبر شجاعته في مواقف الخطر .

ــ بل ضربت وضرب ابن روضة ولولا هذان الدرعان لغاص النصـــلان في

Amly نهضة العرب

جسدي وغصت في دمي وخلا لكما الجو .

فقال عتيك : اخفض صوتك فالملك لم ينم وسيستيقظ جميع من في البلاط .. ولكني اريد ان يسمع المالك ويعرف ان امراء البلاط يتآمرون على الرجل الذي جعله نائباً له .

وجرد خنجره وهو يهدد ويتوعد .

فركض عتيك الى حيث يقف وتار وذمر واحتمى به قائلا :

اين خنجرك يا مولاي الكاهن ؟

فلم يقل الكاهن كلمة لان الذعر عقد لسانه .

ثم لحق ناشر بعتيك وهو يقول : عفواً ايها الاميرفلقد اخطأنا في مزاحنا وهذا الكاهن يشهد اننا لم نرد لك سوءاً .

ـ بل كان هذا الكاهن شريكاً لكما فليدافع عن نفسه او فدافعا عنه .

وهم بضربه : فتراجع وتار ذمر الى الوراء ثم لم يجد له ملجأ غير حجرة الملك فدار من وراء شرحبيل ثم وثب اليها وثباً وفتح الباب ودخل .

ولم يتردد المتآمرون في الدخول خلفه .

ثم فعل شرحبيل مثلهما والخنجر في يده .

غير ان الرعب استولى عليهم عندما رأوا ذا القرنين .!

رأوه مستلقياً على وسائده وهو مطبق العينين ، ولكنه لم يكن نائماً ، بل كان قد مات . فرفع شرحبيل صوته قائلا :

مولاي . !

غير ان مولاه لم يجب .

فأعاد قوله وهو لا يصدق ان يد الموت امتـدت الى تبع العظيم الذي كان الموت نفسه يخاف غضبه .

ولكن النائم لم يسمع ذلك القول .

فنظر الى الثلاثة نظرة يأس ، ثم دنا من السرير ووضع يده على جبين الملك وجعل يهز رأسه .

Amly نهضة العرب

ثم ذهل عن حوله واخذ يتفرس في تلك الجثة الخرساء التي كان صاحبها اعظم سيد في العرب.

فقال عتيك وهو خائف :

أمات الملك ؟؟

فأجابه هامساً : لا اعلم فقد يستفيق بعد ساعة !

فابتسم اللعين ابتسامة خبث وهو يقول :

انها يد الموت وهذه هي...

ورفع تلك الوسائد التي تسند الجثة ، فسقط ذو القرنين على الفراش ولم يطرف له جفن .

فقال : لقد مات الملك وانت خليفته يا مولاي .

ـ بل انا نائبه والملك لولي العهد .

ـ أجل يا مولاي وهذا ما اردت ان اقول .

وكان وتار ذمر يتراجع الى الوراء ليستند الى الجدار ، وقد ارتسم الذعر على وجهه. ان ركبتيه كانتا ترتجفان وقد أحس انهما لا تطيقان حمله ·

وقد عرف شرحبيل ان الرجل يكاد يموت من رعبه .

بل عرف ، في تلك اللحظة ، ان كل شيء قد تغير وانه امسى ملكاً . فقال للقوم :

اتذكرون ايها الإمراء آخر كلمة قالها الملك ؟

ففهم عتيك غايته من ذلك السؤال ، فأجابه قائلا : نذكر انك القائم بأمر الملك .

ـ وتشهدون غداً ان الملك امر بهذا ؟

ـ نعم يا مولاي .

ـ وانت ايها الكاهن ؟

ـ فتمتم قائلا : انا اول من يعترف بذلك !

قال : لقد نسينا ما حدث الساعة في هذا الرواق فلا نسألك يا ابن روضة الا

Amly نهضة العرب

عن الغاية التي اردتها من قتل شرحبيل بن عمرو .

فأطرق الرجل وتظاهر بالخوف .

فقال : وانت يا امير ظفار ماذا تقول ؟

ـ كنا نمزح يا مولاي كما قلنا لك .!

ـ ولكنه كان مزاحاً غريباً كما ترى! انك اول عربي يداعب الناس ويمازحهم بخنجره . !

وكان عتيك يرتجف من خوفه . فقال له :

اعترف يا عتيك بما اراد امير ظفار ان يكتمنا اياه والا فنحن لا ننسى مـــا حدث وسنخبر ملكنا عمراً كل شيء .

فقال وصوته يضطرب : عفوك يا نائب الملك .

ـ لقد عفونا فاذكر ما تعلم .

ـ أقسم بهذه الجثة انك ستعفو .

قال : ان نائب الملك يأمرك بان تبوح له بالسر فهل تفعل ؟

فتردد قليلا ثم قال : كنا نحن الاثنين يا مولاي ، آلة في يد رجل قوي قاهر لا يرد له في اليمن امر .

قال : اهذا هو ذلك الرجل ؟

وأشار الى وتار ذمر .

فقال : كان هذا من المتآمرين يا مولاي ، اما ذلك الرجل الذي سلح ايدينا ودفعنا الى القتل فهو هذا !

وأشار الى الجثة .

فتراجع قائلا : الملك ؟ ؟

ـ نعم الملك !

قال : لا اصدق حتى يعترف الاثنان .

فقال ناشر : صدق عتيك يا مولاي .

فأيقن وتار ذمر بأن شريكيه في المؤامرة كانا خائنين وهما من رجال شرحبيل.

Amly نهضة العرب

والا فأي شيء يمنعها من قتله في تلك الساعة وهو عند فراش الملـــك الميت
وليس هنالك من يدافع عنـــه .
وكان يقول في نفسه :
لو لم يكونا من رجال شرحبيـــل لما لبس دوعين .
وخاف المسكين ان يقتله الثلاثة ، ويضعوا جثته حيث اراد الملك ان يضع
جثة ابن عمه .
وزاد خوفه عندما ابصر شرحبيل يدنو منه .
فصاح قائلا : لقد عفوت ايهـــا الامير وانتهى الامر .
ــ أجل ، ولكن لنا كلمة نقولها قبل ان نهب لك الحياة أتريد ان تسمع ؟
ــ نعم يا مولاي .
قال : تحلف بالآلهة انك تطيعنا ما بقيت ، طاعة عمياء ، لاترددفيها ولارياء.
فهم بأن يحلف بآلهتـــه .
فأسكته قائلا : ولكن يجب ان تعلم ان هذه الحياة التي وهبناها لكالان ملك
لنا نسلبك اياها عندما يخطر لك ان تهزأ بنا وتنكث العهد .
فحلف اللعين ، وسمى الآلهة باسمائها عند حلفه .
ثم تظاهر بأنه نسي امراً ، فقال :
من هو ملك اليمن يا مولاي ؟
ــ ملكها عمرو بن ذي القرنين .
قال : واليمنيون رعية له كما كانوا رعيه لابيه اليس كذلك ؟
ــ بلى.
ــ اذن يجب ان اطيعه ولو اراد قتلي .
ــ نعم فالملك يجب ان يطاع .
ــ واذا سألني هذا الملك قضاء امر ثم سألتني انت قضاء أمر آخر فاذاأصنع؟
فأدرك الامير ان الكاهن يريد ان يأخذ منه دون ان يعطيه ، فقال : الملك
قبل كل شيء .

Amly نهضة العرب

قال : رضيت فأنا عبد للملك ثم لـــك .

ــ ولكن بقي شيء آخر .

ــ ماذا يا مولاي ؟

فلم يجبه ، بل قال لامير ظفار : اعطنا يا ناشر قلماً وورقاً فالكاهن الاعظم يريد ان يكتب عهداً .

فدهش وتار ذمر لما سمع ، ولكنه لم يصح من دهشته حتى احضر ناشر القلم والرق ووضعها بين يدي شرحبيل ، فقال :

خذ هذا القلم واكتب ايها الكاهن !

فتناول القلم دون ان يتردد وهو لا يعلم ماذايكتب .

فقال له : ابدأ :

« وتار ذمر كاهن اليمن الاعظم ، وناشر امير ظفار ، وعتيك بن روضـــة امير نخلة ، يعترفون بان الملك ذا القرنين جعل شرحبيل بن عمه نائباً للملك ريثما يعود الملك عمرو من مهرا . »

فكتب الكاهن ما امره به وهو يضطرب .

فاستطرد شرحبيل قائلا : ضع اسمك وليضع الاميران اسميهما .

ففعلوا ذلك والقى وتار ذمر القلم من يده ، وقد عرف انه مغلوب .

لكن الامير لم يكتف بما جرى ، بل كان في تلك اللحظة ملكاً ، في عظمته ومظاهر سلطانه ، وكان يقـــول :

اكتب ايضاً يا سيدي الكاهن .

ــ وهل بقي هنالك عهد آخر ؟

ــ لقد انتهينا من العهود الان فاكتب :

« انا وتار ذمر اعترف بأني كنت شريكا للملك ذي القرنين في المؤامرة في . .

فرفع رأسه قائلا : ما هذا يا مولاي ؟

قال : اعتراف بأنك ساعدت الملـــك في الامر الذي اراده الليلة .

ــ ولكني لم احمل خنجراً كما رأيت ولم ادن منك

نهضة العرب Amly

قال : يكفي انك ارسلت الى الملك غلامك عبادا ليكون آلة اعدام في يده.
ــ لقد امرني بان اجعله من غلمان قصره ففعلت .
ــ وأمرك بان تبعث به الليلة الى قصر شرحبيل ليغمد خنجره وخنجر رفاقه في صدر بلقيس ؟؟
فسقط قلم وتار ذمر وأرخى نظره الى الارض وهو يقول: نعم يا مولاي ذلك امر الملك . !
ــ وما هي غايته من القضاء على بلقيس التي ستزف الى ولده بعد حين ؟
ــ لم يكن يطيق ان يرى ابنة شرحبيل جالسة في عرش حمير !
ــ اكتب اذن :
« في المؤامرة على شرحبيل وبأني بعثت غلامي عباداً ليقتل بلقيس وهي نائمة»
فتردد المسكين في الكتابة .
فقال : خير لك ان تفعل دون تردد في الامر .
ــ وماذا يريد الامير من وراء هذا الاعتراف ؟
ــ ستعلم كل شيء عندما يمسي اعترافك في يدي ..
فتمشى الحقد في عروق الكاهن وجعل يكتب تلك الكلمات والنار تحرق احشاءه.
حتى وضع اسمه في آخر السطور وسلم اعترافه الهائل الى شرحبيل وهو يقول:
لقد أردت هذا يا مولاي فليكن ما أردت .
فوضعه الامير في كمه وقال : نستطيع الان ان نتحدث بما يطيب لك، اتريد ان تعلم غايتنا مما كتبت ؟
ــ نعم .
قال : اما العهد فقد امرناك بكتابته لاننا خفنا ان تقول لاهل البلاط ولليمن كلها ان شرحبيل بن عمرو اغتصب نيابة الملك اغتصاباً . واما هــذا الاعتراف فلكي نضمن اخلاصك لنا لانه قد يخطر لك غداً ان تنسى ما وعدتنا به .
فتجاهل اللعين قائلا : ولكني لم افهم شيئاً .
قال : الا تعلم ان الملك عمراً يحب بلقيس وسيجعلها زوجة له فتصبح ملكة ؟

Amly نهضة العرب

ــ بــلى .

ــ اذن فماذا تصنع عندما نقول لهذا الملك : اقرأ اعتراف كاهنك الذي اراد ان يقتل الفتاة التي احببت ؟

قال : يخيل الي انك تفكر في القضاء على كاهن مأرب .

ــ اجل ولكننا لا نعطي الملك هذا الاعتراف الا اذا عمدت الى الخيانــة ، أفهمت الان ؟

قال : سأكون اشد اخلاصاً لك من الهدهاد .

قال : وسنكون اشد وفاء لك من نفسك . ولكن الا تريد ان تعلم ماذاجرى لبلقيس مع عباد ؟

ــ وهل تعلم انت يا مولاي ماذا جرى لها ؟

ــ يخيل الينا ان عباداً ورفيقيه يرقدون الان تحت التراب .

فاسودت الدنيا في عينيه وجعل يقول : اذا كان هذا فالاميرة ساحرة وقــد تهيأت للأمر قبل حدوثه .

ــ اصبت فقد يكون هنالك شيء من السحر كما ذكرت .

ثم قال للاميرين : اما انتما فلا نخشى ان تسعيا بنا . ان الملك قــد مات الان وليس لكما غرض بالبلاط الا ان تقيما به . اخرج الان ايها الكاهن على ان تعود عند الصباح لنعلن على اهل مأرب موت الملك .

فخرج وهو يتعثر بفشله وحقده وكان يقول في سره : اهنأ بنيابــة الملك يا شرحبيل وابن بالحيلة والدهاء ، ذلك العرش الذي تحلم به ويحلم به الخونــة الذين حولك . ولكنك لا تنس ان وتار ذمر في الوجود ، وانه لا يعبأ بالعهد الذي كتبه والاعتراف الذى انتزعته منه .

وكان قد وثق الوثوق كله ، بان ذا القرنين كان على صواب عندما اراد ان ينجو من ابن عمه .

اما الامراء الثلاثة ، فقد ابتسموا ابتسامة الظفر بعدخروجه ، وجعلواينظرون الى الملك الغائص بين وسائده ، وفي صدر كل واحد منهم عاطفة لم يكن يحسها

Amly نهضة العرب

من قبل .

ثم قال عتيك : ماذا رأيت يا مولاي ؟ أيستطيع عتيك بن روضـــة ان يقرأ الزمان الآتي كأنه يراه ؟

ـ اجل ، ويستطيع ايضاً ان يقرأ لنا من جديد اسرار هذا الزمان .

قال : لقد مات الملك يا مولاي ولم يبق الان الا ان تعد العدة .

ـ وهل يجور زمانك ام يصفو ؟

فهز رأسه قائلا : لقد لمست شيئاً من جوره في هذه الساعـــة وانا اخشى ان يتمادى في هذا الجور .

ـ وكيف ذلك ؟

ـ الم نعف الان عن هذه الافعى التي تنفث سمها في ظلام الليل .

ـ ولكنها ستصبح بدون سم .

قال : انك ستجعل العهود سلاحاً لك .

ـ نعم وهي سلاح امضى من السيف ! .

فضحك وهو يقول : اذن سيكون لك ملك واسع يا مولاي يبدأ في الحجاز وننتهي حدوده عند الحبشة .

قال : أتستخف يا عتيك ؟

ـ اجل يا مولاي وكيف لا افعل وقد بدأت عهدك بالعفو عن اعداء عرشك واطلقت الكاهن الاكبر الذي يستطيع وحده ان يهدم ما تبنيه .

وسكت قليلا ثم قال : وما هو هذا العهد الذي وضعته في كمك يا مولاي ؟ ! انه رق مكتوب ستمحو الايام سطوره غداً او بعد غد ولا يبقى منه غير أثره ..

قال : هات رأيك فيه .

ـ بل هات رأيك انت يا مولاي . اتريد ان تدفع عمراً على خيانة وتار ذمر وتآمره على بلقيس كما قلت ؟

ـ لا ، بل هي كلمة قلتها للكاهن لابعث الخوف الى قلبه واسكت عاطفـــة الطمع والبغض في صدره .

ـــ ولكن هذا الخوف سيزول عندما يعلم ان عمراً ابن ذي القرنـــين لم يبق له تاج وان العرش صار ملكاً لك .

فأطرق الامير مليا وقــد رأى ، مرة ثانيــة ،ان امير نخلة ابعد نظراً منـــه واكثر دهـــاء .

وماذا ينفعه هذا العهد الذي يحمله ، عندما يمسي ابن ذي القزنين طريداً في جبال اليمن لا يخافه الكاهن ولا يخشى جانبه يمني .

ثم رفع رأسه ولبث ساكتا .

فقال عتيك : الم يقم في ذهنك يا مولاي ان وتار ذمر سيضع يده بيـــد عمرو ويمضي الاثنان في أمرهما حتى يظفرا بالعرش او يمـــوتا ؟؟ الا تظن ان وتار ذمر سيستحق رضى مولاه وشكره على هذه المؤامرة التي تهدده بفضح سرها والتي خانه القدر فلم يبلغ غايته منها ؟؟ ان في خياة هذه المؤامرة حياة ولي العهد وفي موتها موتـــه كما سترى بعد حين .

ـــ اذن ترى ان نقتل الكاهن الاعظم وينتهي الامر ؟

ـــ كما اني ارى ان تتهيأ لقتل عمرو عندما يضع قدمه في البلاط .

ففاجأه ناشر بقوله : بل اسأل مولاي ان يحفظ حياته .

قال : العلك تريد ان تصير امينا لسره وهو ملـــك كما كنت امينا له وهـــو ولي عهد ؟ .

فأجابه عتيك قائلا : بل يريد ان تحفظ هذه الحياة لتكون حياة عذاب وشقاء!

قال : وأراك تذكر عاتكة كلما ذكرلك عمرو؟

ـــ نعم يا مولاي وان أنسى ذلك الحادث الغريب الذي جرى في خيمتـــه وعيني تراه .

فمشى شرحبيل الى الباب وهو يقول ليقم احد الحراس بباب الملك ولنذهب الى القصر لنرى ماذا حدث لبلقيس مع غلمان الملك .

فقال امير ظفار : خير لنا ان ننظر في امرنا الساعة من ان نضيع الزمـــان . ان عباداً وشريكيه سبقوا ذا القرنين الى القبر .

Amly نهضة العرب

ــ ولكن يجب ان ننظر في الامر الذي ذكرتماه الان .. فاما ان نقتل وتار خمر او يبقى .

فابتسم عتيك ابتسامة الاستخفاف وقال :

سنقتله ولو امرتنا وامرتنا بلقيس بان نعفو عنه .

ففتح الباب دون ان يجيب وكان يقول في نفسه :

اصاب الاميران واخطأت بلقيس فوت الرجل لا بد منه .

وتبعه الاثنان الى الرواق ، ثم دعا ناشر احد الحراس وقال له : ابق عند باب الملك ولا تنقل من موقفك قدماً وامنع الجواري والغلمان واهل البلاط كلهم من الدخول ... أسمعت ؟

ــ واذا امرني الملك بان ادعو احداً منهم ؟

ــ الملك نائم فلا يستفيق الا عند الصباح ...

واجتازوا الرواق والظلام ينشر ظله والصمت الرهيب يملأ البلاط وفي نفس كل واحد منهم رهبة الموت .

* * *

٥٤

كانت بلقيس ، عندما اقبل ابوها ومن معه الى القصر ، تنظم الاشعار ، مع نعمى ونائلة ، في رثاء عباد .

وقد همت بان تبعث نائلا الى البلاط لينقل اليها اخباره ، في ذلك الليل .

فلما رأت اباها والاميرين ايقنت بان ذا القرنين قد مات ، وبان ذلك المنهاج الذي وضعته مع انصارها الكثار قد امحى ولم يبق منه شيء .

ولم تلبث حتى فاجأتهم قائلة : انقل اليكم خبر موت عباد ، وتنقلون الي خبر موت الملك ..!

Amly نهضة العرب

فقال شرحبيل : من قال لك ذلك يا بلقيس ؟
ـ دلني عليه قدوم هذين الاميرين في مثل هذه الساعة .
فنظر اليها الثلاثة نظرات الاحترام والاعجاب .
ثم قال عتيك : اجل لقد مات الملك وقد تركنا جثتــه واتينا اليك لنسألك سؤالا .
ـ اسأل ..
قال : اتفكرين في الجلوس على العرش ام ماذا ؟
قالت : العرش الان لشرحبيل بن عمرو .
ـ وهل تريدين ويريد الملك شرحبيل بن عمرو ان يثبت عرشه ويهزأ بجميــع من حوله من خصوم واعداء ؟
ـ اجل .
ـ اذن فاعلما ان هنالك اميرين كبيرين يجب ان يموتا وقد ذكرتهما لك قبل هذه الساعة .
قالت : لقد رجعت يا عتيك الى ذكر وتار ذمر وعمرو !
ـ نعم ، وسأذكرهما لك غداً وبعد شهر وبعد عام حتى أرى جثتيهما بعيني لاثنتين .
وجعل يروي لها حكاية الكاهن في تلك الليلة .
قالت : وماذا يقول امير ظفار ؟
فاجابها ناشر قائلا : ألست من انصار الملك شرحبيل بن عمرو ؟
ـ بلى .
ـ أفلا استحق ان يهب لي حياة رجل يمني ؟
ـ بلي .
ـ اذن اسأله ان يهب لي حياة عمرو بن ذي القرنين .
فعرفت بلقيس اية عاطفة املت عليه سؤاله .
فقالت : انت تطلب ان يعيش ، وامير نخلة يطلب ان يموت !!

Amly نهضة العرب

ـ : ولكن امير نحلة يخاف شره وانا لا اعبأ به !

ـ : وبلقيس مثلك لا تعبأ به ... ان حياته في يدك فافعل ما تشاء ..

فقطب عتيك حاجبيه قائلا : اذكري ابتها الاميرة انه وارث عرش حمير وان هذا العرش امسى ملكاً لسواه .

ـ : واذكر انت ان الوارث الضعيف .. العاشق الذي يبيع اليمن كلها بنظرة واحدة تجود بها عليه بلقيس !..

قال : سينسيه العرش غرامه يا مولاتي .

ـ بل ينسيه هذا الغرام ، كل ما علـى الارض من عروش .. فكاد عتيك يضيع هدوءه .. ان هذا الاستخفاف معنـاه القضاء على الملك الذي وضع ابن يعفر يده عليه .. وكيف يسلم هذا الملك وابن ذي القرنين الذي هو صاحبـه ، ينظر اليه ، ويبذل الجهد كله ليسحق القوم الذين اغتصبوه ؟

فقال : لقد رأيتم جميعكم غير ما أراه فافسحوا لابن ذي القرنين مجال الحياة وليعذرني نائب الملك اذا عصيت امره .

ـ ومن هو نائب الملك يا ابن روضة ؟

ـ هو ابوك فقد فوض اليه ذو القرنين امر الملك قبل ان يلفظ روحه .

قالت : ذلك هو الدهاء الذي لا نصدق منه كلمة .

ـ ولكن الملك فعل ذلك وهو يعلم ان الخنجرين سيمزقان جسد ابن عمه وان هذه النيابة لم توجد الا لتموت .. واعاد عليها حديث الملك ثم قال :

اما الزواج فلا يتم في هذا العام وهذه ارادة الملك .

فضحكت قائلة : ومتى يكون ذلك ؟

ـ في العام المقبل لان ذا القرنين لا يطيق ، وهو في قبره ، أن يرى الافراح بعد موته تسود البلاط ...

قالت : مسكين ذو القرنين ان له ولداً لا يحترم وصيته ولا يبالي بالاقوال التي ينقلها اليه رجال ابيه .

ـ لا يـا مولاتي ، ان الولد الذي يخلف اباه ، لا يستطيع ان يجلس على

Amly نهضة العرب

العرش قبل ان ينفذ ارادة الملك الراحل ، تلك هي شروط الملك في حمير منذ اجيال .

ـ اذن ترك لنا الملك عاماً كاملا نتهيأ في خلاله للامر .

ـ بل تركت لنا الاقدار شهراً واحداً نعد فيه العدة قبل ان يعود ولي العهد

ـ ولكنك لم تقل لي كيف تعصى امر نائب الملك .

قال : تهيئون انتم لابن ذي القرنين اسباب الحياة واهيء انا له اسباب الموت ثم نرى بعد ذلك لمن يكون الفوز .

فقال ناشر : اما انا فسأحميهوسأقول له في كل يوم انظر الى اين انتهى ملكك ايها السفاح !

وقالت بلقيس : وأما انا فأوصيك من الان بان تفعل كل ما نأمرك به لئلا تفسد علينا الامر ... وكان الناظر اليها في تلك الساعة يحسب انها ملكة حمـير تصدر لانصار عرشها أوامرها المقدسة ! فحنى عتبك رأسه دون ان يجيب .

وقد عرف انه لا يستطيع ان يخالف الملكة ، في الامر الذي تشاء .. ثم تمتم قائلا : وكاهن مأرب ؟

فأجابته ولهجتها لاتتغير : وهذا يبقى حياً حتى نرى ان موته خير من حياته . والتفتت الى ابيها قائلة :

أتريد ان تلطخ العرش بالدماء يا مولاي ؟

فتردد قليلا ثم قال : اريد ما تريدين يا بلقيس .! وكان جوابـه كما ترى ، جواب رجل ضعيف الارادة ، لا يصلح للعروش .

فقـالت : لقد انتهى الامر من هذه الناحية ، فلنبدأ بالعمل من الناحية الاخرى ، هات يا ابن روضة ... فقام في ذهن الرجل ، انه اذا دار حرل القضية دورة دهاء ، استطاع ان يجعل ترددها حزماً ، ولينها شدة فقال : لمن الملك ؟ لك ام لابيك ؟

فرفعت صوتها وهي تقول : لي انا !

قال : سمعنا وأطعنا .. اذن يتولى نائب الملك اليـوم امر اليمن حتى يعود

Amly نهضة العرب

الجيش من ساحة القتال .
ـ وماذا يصنع قبل ان يعود هذا الجيش ؟
ـ يرسل رسله الليلة الى انصاره في الاقاليم ، وتصبح مأرب بعد شهرين ملجأ لثلاثين الفاً من الرجال .
ـ وبعد ذلك ؟
ـ ثم يجيء عمرو مع جنوده ، فيرى حول البلاط سوراً من اليمنيين يمنعه من الوصول اليه .
ـ ويعلم عندئذ ان الملك خرج من يده وتنشب الحرب .
ـ نعم ، وتعرفين عندئذ الخونة والمخلصين .
قالت : لا يطيب لعتيك الا ان تسفح الدماء في مأرب ويسقط السيف على رأس ولي العهد ورأس وتار ذمر .. انه رأي لم ترد فيه غير الحرب ونحن لا نريد ان نشهر حربا .
وما هي القوة التي تخضع عمراً ؟
قالت : ندعو انصارنا ليقيموا بحرثة التي تبعد عن مأرب ثلاثة ايام وتبقى مأرب كما هي اليوم .
ـ واذا رجع عمرو ؟
ـ يرجع فيرى العرش ويتربع فيه ، ويرى التاج فيعصب به رأسه ، ثم يأمر جنوده بالانصراف الى المخاليف فيخلو لنا الجو .. ثم هامسته قائلة اسمع ماذا يحدث بعد ذلك .. تمر ايام والملك الفتى يستقبل الوفود ويصافح المهنئين وهو يبتسم ابتسامة الزهو والغرور بهذا الملك الواسع الذي تركه ابوه .. ولكنه لا يفتح عينيه ، في صباح يوم ، الا ليرى الرجال يحيطون بقصره كما قلت ، وقد زحفوا من حرثة الى مأرب في ظلام الليل . ثم يبصر حوله امراء اليمن وهم ينحنون له قائلين : لقد اختارت اليمن ملكة من ولد حمير هي بلقيس بنت شرحبيل فلم يبق لك الا ان تنصرف آمنا وتترك العرش الى الأبد .
فصاح قائلا : وتظن بلقيس ، التي تطمع بالملك ، ان الامر ينتهي عند

Amly نهضة العرب

هذا الحد ؟

ــ نعم ، فان عمراً عندما يرى اعداء ابيه يهددونه بالسيوف وليس في بلاطه من الانصار غير وتار ذمر ، تتساقط دموعه على خديــه ، ثم يستسلم الى اولئك الامراء خاضعاً للقوة التي لا ترد ، ويخرج من قصره وهو لا يصدق انه حي ! .

ــ كما ان عتيكاً لا يصدق كلمة واحدة من هذه الحكاية التي تقصينها عليه .

ــ لماذا ؟

ــ لانها حلم ايتها الملكة وانا لا اؤمن بالاحلام !

ــ ومع ذلك فقد اصبح هذا الحلم عقيدة في النفس لا يتغير شيء منهــا ولا تزعزعها الحادثات .

قال : انصح لك يا مولاتي بان تنظري في الامر نظرة اخرى قبل ان يخرج من يدك ويفوت الزمان .

ــ فعلنا ذلك قبل الان ، فلم نجد له وجهاً آخر .

قال : استحلفك لآخر مرة بشرف يعفر ان تعمدي الى السيف خوفاً من ان تخسري كل شيء .

ــ وانا استحلفك بتربة ابيك روضة ان تكف عن هذا وتضع قدمك حيث يضع نائب الملك قدمه ،. ولم تشأ ان تسمع اكثر مما سمعت ، بل زدت غلامها نائلا قائلة له : ادع اخي الهدهاد ثم قالت لابيهــا : اترى يا مولاي ان نبعث رسولا الى مذحج ؟

قال : عند الغوث وجبار وذي مغار من الجيوش اكثر مما في مهــرا فلنترك بني مذحج الان

ثم اقبل الهدهاد ، فقال له ابوه : تركب فرسك غداً ، عند الفجر ، ويتبعك، على بعد فرسخين عبدان من عبيد القصر ينقلان الزاد على ثلاثة بغال .

قال : الى اين يا مولاي ؟

ــ الى مخلاف مغار فجبار بن دوير والغوث بن راهط يقيمان به . وهــذا هو الخنجر الذي تسلمه الى ذي مغار قائلا له : « هذا خنجر ابي فارحل الى حرثــه

Amly نهضة العرب

وامكث بها مع القوم حتى يرد منه امر آخر ولكن اعلم يا بني ان العرش الحميري في يدك الان فكن ذلك الرجل الذي يثق به قومك ولا تنس ان وراءنا عدواً لا يستهان به .

قال : اعرف ذلك يا مولاي .

ـ واحذر ان تتصدى لاحد في رحلتك هذه فالساعة التي تصيبها وانت ذاهب بضيع بعدها نفوذ ابيك وسلطانه .

ـ واذا عرض لي وحش او عدو يا ابي ؟

ـ اما الوحش فسيفك يكفيه مؤونته ، واما العدو فليس لابيك خارج مأرب اعداء ويكفي ان تذكر لليمني اسم ابيك ليتخلى عنك .. واوصيك بالخنجر يا بني ، ان صاحب مغار لا يصدق ما تقوله له الا اذا كان الخنجر في يدك .

قال عتيك : ليذهب مع الهدهاد بعض الرجال .

ـ لا فالرجال الكثار يلفتون نظر القوم ، ونهض قائلا : لنرجع الان الى البلاط قبل ان يعرف اهله ان الملك قد مات . فلم يبق لعتيك الا ان يخضع مكرهاً لبلقيس كما خضع لها شرحبيل وناشر ولكنه كان واثقاً بانها ستخسر العرش .. وعندماهم بالانصراف قال لها : اذكري دائماً يا مولاتي اني نصحتك لك بالعدول عن هذا الرأي ، فلم تجب ، بل ابتسمت لمظاهر اخلاصه ، وكانت تهزأ في سرها بذلك الخوف الذي لا معنى له ..!

• • •

٥٥

عندما كان شرحبيل والاميران يتحدثون ، في تلك الليلة ، عند جثة ذي القرنين بعد خروج وتار ذمر ، كان رجل ، في القاعة المجاورة ، التي هي قاعة سلاح الملك ينصت الى ما يقولون ، ويصغي الى ما يدور بينهم من احاديث واسرار ...

وقد سمع كلما ذكروه عن ولي العهد وكاهن مأرب ... فلما تركو البلاط الى قصر شرحبيل ، خرج من تلك القاعة كما يخرج اللص الخائف ، ومشى وراءهم متحجباً ، بالاشجار والجدر ، كي لا تقع عليه العيون ، حتى دخلوا ذلك القصر ، فوقف عند باب الفناء ينتظر خروجهم منه .

ثم خرجوا بعد ساعة كما رأيت ، وهم يذكرون، حرثة، والهدهاد ، وذامغار وخنجر شرحبيل ، وقد قام في اذهانهم ، ان عاصمة اليمن قد نامت، وليس هنالك من يحصي عليهم الانفاس ...

ثم ارتفعت اصواتهم وهم يقولون : اذا كان الغوث بن راهط وجبـــار بن دوير في مغار ، استطاع القوم ان يبلغوا حرثة ، قبل ان ينقضي الشهر .

وكان عتيك يقول : ولكنهم لا يفعلون شيئاً ولو بلغوها بعد عشرة ايام ... ان التاج لا يثبت على رأس بلقيس ما دام عمرو ووتار ذمر في الوجود ! . والرجل يسمع كل شيء وركبتاه ترتجفان .. وهو يخشى ان يقع على الارض ويسمع القوم صوت سقوطه !

اتعرف من كان هــــذا الرجل ؟ انه وتار ذمر نفسه الذى حكم عليه عتيك بالموت !!

وقد استطاع في الساعتـــين اللتين انصت فيهما الى همس اعدائه ، ان يعرف كل مـــا هنالك من اسرار ، ويلمس بيديه مكر شرحبيل ودهـــاءه ، في وعده ولي العهد بالزواج وخضوعه الكاذب لذي القرنين ، وهو على فراش الموت !

Amly نهضة العرب

ولو قدر احدهم في تلك الساعة ، على ان يبصر ذلك الكاهن العظيم الذي تخافه اليمن كلها ، لابصر رجلا صعلوكاً يبدو الفقر على ثوبه ، وتنطق اطماره البالية بما في داخله من مرارة وألم ، وقنوط ويأس .

كان يلبس لباس اهل اليمن القدماء ، وقد وضع على كتفيه عباءة سوداء يحسبها الناظر من عهد قحطان ، . وكان يعلم ان الموت يكمن له عند كل خطوة يسمع لها صوت ، ومع ذلك فلم يبال ، بل كان جريئاً يقتحم الاخطار ليبلغ الغاية .. حتى انتهى القوم الى البلاط فتغللوا فيه ، اما هو فانصرف الى قصره ، لانه رأى انه لم يبق له اليوم امل بذلك البلاط ، واحيا الليل كله وهو يفكر في امره ، حتى ارتاحت نفسه اخيراً الى رأي آنس فيه الفوز والظفر باولئك الاعداء .. فاغمض عينيه مستلذاً ذلك الرأي ، ولكنه لم يفعل حتى اقبل عبيد ذي القرنين يدعونه الى البلاط .

فقال في نفسه : يريد اللعين ان اشهد له امام اهل مأرب بنيابة الملك . . نعم يا شرحبيل انك اليوم ملك اليمن رضي وتار ذمر او لم يرض ! ! ولكن هذا الملك قصير العمر وسترى وترى بلقيس ان ايديكما لا تصل الى تاج حمير وانا حي .. وضحك في سره ، لبلاهة شرحبيل وابنته في العفو عنه! ! ثم قام فخرج واوصى غلمانه بالا يفتحوا لاحد ابواب القصر . ومر بذهنه ، في تلك اللحظة ذلك المسكين عباد ، ولكن كما يمر السحاب .. ولولا الحاجة اليه ، لما خطر له ان يفكر فيه .

* * *

٥٦

استيقظ جميع من في البلاط لصوت ناشر :

انهضوا ايها الناس فملك حمير العظيم قد مات ...

واي انسان في البلاط يسمع هذا النداء ولا يخرج مذعوراً ؟ ان موت الملك الفجائي يهز اليمن كلها من الشمال الى الجنوب ، ومن الشرق الى الغرب ،فغص

Amly نهضة العرب

رواق الملك بالجواري والغلمان وعرف كل من في البلاط ان شرحبيل يقوم مقام ذي القرنين في ادارة الملك .. ثم اقبلوا جميعهم ينظرون الى ملكهم الظالم الذي صرعه الردى ، وليس في القلوب عاطفة حزن ووفاء ، بل كانت مظاهر الدهشة على وجوههم المختلفة الالوان ، وليس غريباً ان يضطرب القـــوم لموت الملك ، فقد عرف بعضهم انه مريض وان الداء ينهش جسمه الجبار ، ولكن لم يقم في اذهانهم ان هذا الداء سيقوده الى القبر .. فلما هـــدأ روعهم ، امرهم ناشر بان يعدوا السلاح والآنية التي يدفنونها مع الجثة ، تبعاً لعادة الحميريين في دفن الملوك والامراء ، فدخل الغلمان قاعة السلاح ، واختاروا من السيوف الكثيرة سيفـــين قبضتاهما من الذهب كانا احب سيوفه اليه ، ورمحاً لم يكن يفارقـــه في الميادين ، وطائفة من آنية الذهب ، كانت الخمر تتلألأ فيها في مجالس الشراب، ثم وضعت الجثة في قاعة تجاور قاعة العرش ، وخرج الناعي ينعى الملك العظيم لاهل مأرب ولامراء الاقاليم ، فاندفعت مأرب الى البلاط تحمل البخور والعـــود وصنوف الطيب اليمني لتحرقه عند نعشه ، وتهتف لولده الذي سيلبس التاج بعـــده . . وعلى رأس الجموع وتار ذمر ،سيد الكهان تبدو على وجهه دلائل الكآبة ، ولكنها لا تحجب دلائل الخبث والدهاء .

فلما اصبحوا في تلك القاعة، دنا الكاهن من نعش مولاه وجعل يصلي ويخاطب آلهته ، ولو سمع الناس صلاته ، لعرفوا انها كانت لعنة يستنزلها على شرحبيل بن عمرو ومن حوله من انصار ..ثم أجال اللعين نظره بين القوم فأبصر شرحبيل بن عتيك وناشراً ، والى جانبهم بعض الشيوخ من اصحاب المناصب في البلاط فانحنى كما كان ينحني امام الملك ورفع صوته قائلا :

يا اهل اليمن ، اشهد امامكم ان مولاي ذا القرنين ، جعل ابن عمه نائبـــاً للملك ريثما يعود الملك عمرو . . .

فهتف القوم قائلين : يعيش ملك حمير .

ثم قال : وقد امرني الملك بان اطيعه واخضع له فاسمعوا له واطيعوه واعلموا انه ملككم اليوم !

Amly نهضة العرب

فقال عتيك : يعيش شرحبيل ابن عم الملك ..

فردد الناس هتافه وفي اصواتهم نغمات الابتهاج ..

ثم مشى بخطى هادئة حتى دانى شرحبيل فقال :

ألا ترى يا مولاي ان تبعث رسولا الى مهرا يحمل الى الملك عمرو نعي ابيه ؟

قالها الداهية ليعرف ما في نفسه ...

فأجابه قائلا : ان النعي يا سيدي الكاهن لا يرسل الى الميادين ..

ــ ومتى تأذن في دفن الجثة ؟

قال : ضعوا الطيب في اوعيته واحرقوا البخور ..

ــ وهل تريد ان يطوف الناس في مأرب كما يفعلون كل ما مات ملك ؟

فاستغرب شرحبيل هذا السؤال وقال له :

وما الذي يمنعنا ان نفعل هذا ؟ اتظن ان وكيل العرش الذي هو سليل حمير يرضى بان يدفن ملك عربي كما يدفن ذو القرنين . وهل قام ابن يعفر ليغير عادات اليمنيين في دفن ملوكهم ؟؟ انها كلمة لا نعرف اي خاطر خطر لك عندما لفظتها شفتاك !!..

قال : عفوك يا مولاي فقد ظننت .

فقاطعه قائلا : ماذا ؟

ــ لا يا مولاي لم اظن شيئاً ولكنه سؤال تعجلت فيه وانا لا اعلم ما وراءه ..

فقال عتيك : اي انه لا يعلم يا مولاي ما هي الغاية من سوأله .

فحول شرحبيل نظره عنه وقال : الطيب يا قوم ..

فلأت رائحة الطيب اليمني تلك القاعة الواسعة .. ثم قال : والبخور ...

فتصاعد الدخان في الفضاء والناس ساكتون .. وعندما عبقت القاعة بالبخور والطيب ، دنا شرحبيل من النعش ووراءه وتار ذمر والامراء وجثا عند قدمي الجثة وتمتم يقول : اعاهدك يا مولاي الملك على الوفاء للعرش الذي تركت ...

ولم يقل « ولولدك الذي اصبح ملكاً .. »

وفعل الآخرون مثله ، وتلك كانت عادة الامراء اصحاب الشأن والنفوذ في

نهضة العرب
Amly

اليمن ، فعرف وتار ذمر عندئذ ، ان « ولي العهد » قضى عليه ، لان شرحبيل ومن معه لم يذكروه في ذلك العهد الذي رددوه .

ثم حمل شرحبيل سيفي الملك ، وحمل ناشر رمحه ، وعتيك آنية الذهب ، وداروا بهذه الاشياء حول ماكهم ثلاث دورات ، وكانوا يقسمون في كل دورة انهم سيكونون اوفياء لصاحب التاج الحميري ! ثم عـادوا الى مواقفهم ، وبقي الكاهن بالقرب من الجثة يتمم صلاته ، والناس يرددون تلك الصـلاة بخشوع وإيمان حتى مرت الساعات وهم يصلون .

فخرجوا عندئذ من البلاط والنعش على اكف الامراء وطافوا في جميع احياء مأرب ، طوافاً صامتاً لم يرتفع فيه صوت وانتهى طوفهم عند الظهر ، الى تلك القبور العظيمة التي يرقد فيها التبابعة العظماء . .

وحجبت جدر القبر ذا القرنين عن عيون شعبه ، وسدل الستار .

ثم عاد شرحبيل الى البلاط يصافح وفود المعزين حتى غربت الشمس ولم يبق في قصر تبع غير سكانه .

ونام شرحبيل في تلك الليلة ، وهو يحلم بالتاج تلمع جواهره على رأس بلقيس . .

* * *

٥٧

لم يتردد وتار ذمر في امره ، ولم يضيع ساعة واحدة ، بعد رجوعه الى القصر دعا غلمانه وقال لهم : سأترك القصر الساعة وقد لا اعود الا بعد شهرين ، فاذا خطر لاحدهم ان يسألكم عني فقولوا : ذهب الى الحجاز . . . ولم يزد على ما قاله كلمة ، بل خرج من الباب وثباً واخفاه الظلام عن العيون . . ولسور مأرب بابان ، من الشمال والجنوب ، فاتجه الى الباب الشمالي وتجاوزه الى الخلاء ، والحراس

Amly نهضة العرب

يعجبون لخروجه وحيداً في ذلك الليل ، على انه لم يكن وحده ، بل كان هنالك وراء السور ، رجلان لهما قامتان طويلتان وصدران عريضـــان ،وبالقرب منهما بغلة سوداء ترعى العشب .

ويعلم الناظر الى ذينك الرجلين، انهما من اولئك الرجال الاشقياء الذين يطيب لهم القتل ويستلذون الدماء ... فلما ابصرا وتار ذمر ، عمدا الى البغلة فأعداها للركوب ، فعلا الكاهن ظهرها وهو يقول : تقدماني الى الطريــق الاخر الذي يؤدي الى مغار !

فقال احدهما : لقد وصفت لك هذا الطريق يا مولاي .

قال : لا بأس فالذي يمشي بقدم ثابتةوعزيمة جبارةالى غاية لا يبالي بالشدائد والاخطار . ثم قال : ألم تذكر لي انه اقرب من الطريق الاخر ؟

ــ نعم يا مولانا

ــ اذن فامشيا واعلما اننا نريد ان نسبق رجــلا خرج من مأرب في هــذا الصباح والويل لكما اذا كان هو السابق .

فسبق الاثنان البغلة ، وهمزها الكاهن الاعظم فاندفعت وراءهما في ذاــلك الطريق الوعر الذي تكثر فيه اصناف الحيوان .. وانقضى الليل كله وهم يمشون، ووتار ذمر لا يأذن في الراحة ولا يعبأ بتعبه وتعب رفيقيه .

ثم طلعت الشمس وهم ينحدرون من جبل عال الى واد بعيد الغور يلتقي في ساحته طريقان .

فقال الشقيان : سترى صاحبك يا مولانا في هذا الوادي .

قال : لنلبس اذن هذه الثياب التي تحملان ، ولنضــع العمائم على الرؤوس والوجوه .. وقفز الى الارض فلبس ثوب فلاح يمني ولبس الاثنــان مثله ، ثم خاطبهما قائلا : ان الفتى الذي نتبعه لا يخرج من مأرب الا مع بعض عبيده ، فيجب ان يقتل هؤلاء العبيد وتحفظ حياة الفتى كما اوصيتكما في الليل الماضي .

ــ ولكن مهمتنا لا تنتهي الا بعد شهر !

ــ اجل ، تقيدانه.. ثم تحملانه الى احدى مغاور هذا الوادي وتمكثون فيها

Amly نهضة العرب

انتم الثلاثة حتى يمر شهر كامل .
ـ وبعد ذلك ؟
ـ تعيدان اليه السلاح الذي سلبتماه اياه ثم ينصرف آمنا الى حيث يشاء ...
وانا الآن اعيد ما قلته امس ، اذا خطر لكما ان تفكا الاسير قبل الموعـد الذي ذكرت فقد ختمتما الملك وانتما تعرفان قسوته الـتي لا تذكر معها قسوة ابيـه ذي القرنين .
ثم قال : وعندما يعود الملك من مهرا ، ترجعان الى مأرب فاعطيكما ضيعتين كما وعدت ، ويهب لكما الملك قبضتين من الذهب تعيشان به كما يعيش الامراء
فقالا : ليمت كل من يخون الملك، ولكن لماذا لا تأمرنا بقتل هذا الرجل؟
فاكتفى بان يقول : لاني اريد ذلك .
ثم كف فجأة عن الكلام ، فقد ابصر في اسفل الوادي فتى يقـود فرسه ، فقال لهما : اي ورب اليمن هذا هو . وانحدر معهما ماشياً حتى توسطوا الوادي فرأوا ذلك الفتى جالساً على صخر وكان ينتظر عبديه .. فهامسهما وتـار ذمر قائلا : اتعرفان هذا الوجه ؟
ـ ومن لا يعرف الهدهاد بن شرحبيل .
قال : ابدأ بما امرتكما به واسألاه اذا كان معه أحد العبيد ،وتنحى اللعين مع بغلته وجلس بعيداً وهو مطمئن ، فتقدم الاثنان قائلين : ابن الامير شرحبيل ؟
فأجابهما الفتى وهو يبتسم : اجل فمن انتما ؟
ـ فلاحان من فلاحي مأرب كما ترى ، وانحنيا فقبلا ركبتيه .!
فقال : الى اين ؟
ـ الى مغار .. وانت يا مولانا ؟
ـ الى واد يبعد بضعة فراسخ عن هذا الوادي يكثر فيه الصيد .
ـ وكيف يذهب الامير الهدهاد الى الصيد وحده ؟
ـ تقدمت عبدين من عبيدي الى هذا الموضع وسيصلان عند المساء .
فجلس الشقيان عند قدميه وهما يظهران الخضوع والاحترام .

Amly نهضة العرب

اما هو فابتسم ابتسامة اخرى وقال :

من هو ذلك الفلاح الآخر الذي يداعب بغلته ؟

ــ رجل غريب عن مأرب رأيناه في قمة الجبل .

ــ واي غرض لكما بمغار ؟

ــ نطلب اسباب العيش في كل بلد ننزل فيه .

ــ وما هذه العمائم التي جعلتموها انتم الثلاثة على الوجوه ؟

ــ نتقي بها حر الشمس ..

ونهض احدهما فوضع يده على كتفه !

فقال : ويلك ..

ولكنه لم يتم كلمته حتى وضع الآخر يده على كتفه الاخرى وقال له : لاتعمد الى الشدة والعنف ايها الامير فنحن لا نريد قتلك !!

فحاول الفتى ان يجرد سيفه ، فمنعته الايدي القوية من تجريده ، وقيد الحبل في لحظة ، ذراعيه اللتين كانتا ترتجفان .

فصاح قائلا : انا ابن الملك ايها الشتيان !

فقال احدهما هازئاً : ابوك نائب الملك في مأرب ونحن ننوب عنه في هـذا الوادي فامش او نحملك .

غير ان الفتى الشجاع لا يستسلم الا اذا اكرهته القوة ، فجعل يضربهما بقدميه حتى تلاشت قواه وسقط على الارض .

فحملاه الى موضع بعيد في هذا المضيق ثم عاد احدهما الى وتار ذمر يصغي الى اوامره ، فقال له :

سأتولى أنا امر حراسته .

ــ ونحن ؟

ــ تقيمان هنا حتى يجيء العبدان ..

ونهض فذهب الى الحراسة ومكث رفيقاه بأول المضيق حتى رأيـا العبدين مقبلين وهما يقودان ثلاثة بغال .

Amly نهضة العرب

فكمنا لهما ، وعندما وصلا جعلا يطعنانهما بخنجريهما حتى ماتـا ، ثم حفرا للجثتين حفرة تحت الطريق وقذفا بهما اليها وغطيا دماءهما بالرمال ! وقادا البغال الى المضيق فاخذا الزاد الذي تحمله واعدا لهما مغارة في الصخر يمكثان بها مع الاسير ... جرى كل ذلك ووتار ذمر لا يقول كلمة ، غير ان عينيه – من وراء العمامة – كانتا ترسلان الى الهدهاد نظرات الحقد ..

فلما هيأ الاثنان كل شيء ، اومأ اليهما بحمل الفتى الى المغارة ، ثم هامسهما قائلا : اذا اردتما ان تعيشا فاحفظا ما قلت .

ولم يشأ ان يتمادى في النصح ، بل ركب بغلته وخرج من ذلك الوادي الذي جعله مقاماً للهدهاد وهو يقول في نفسه : لقد اردت يا شرحبيـل ان تعفو عني فعفوت عن ولدك ... ولكن قتله تحير لك من هذا العفو .

وجعل يخاطب بغلته قائلا : اما ان تبلغي مهرا بعد عشرة ايام او تموتي ، ولم تمر ساعة حتى مد الظلام رواقه المخيف .

* * *

٥٨

كان الملك عمرو ، او ولي العهد ، قدشفي من جرحه، والجيش يهم، بعد شفائه بالرجوع الى مأرب .. ولم يكن عمرو يصدق ، متى يشفى هذا الجرح ، ليعود الى البلد الذي تقيم به حبيبة قلبه ، وفاتنة لبه .. وقد قال لذي تبع : ليتهيأ القوم فسنترك مهرا بعد ثلاثة ايام تخفق فوقنا رايات الظفر والفخار .

قالها في اليوم الذي خرج فيه من خيمته ، الى الخلاء ، بعـد ذلك الشفاء ، ولم يسأل احـداً عن ابيه ، بل لم يخطر له، كما علمت ان يفكر في ذلك المسكين الذي انشب الداء مخالبه في عنقه ، قضى نهاره خارج المعسكر ، وهـو يحس انه اصبح قادراً على الركوب ، وذو تبع معه لا يفارقه .

Amly نهضة العرب

فلما كان المساء لجأ الى خيمته ، واستلقى على فراشه يبتسم لامله ، وللغرام الذي يتغلل في صدره ، حتى جن الليل ، فقيل له ان بالبـاب رسولا من مأرب يحمل اليك اخبارها ولا يريد ان يذكر اسمه او يظهر وجهه . فخفق فؤاده لذكر مأرب ، مأرب ، مهد عزه ، ومهد حبه ، مأرب الجميلة التي ستدعوه ، في يوم لا يعرفه الى الجلوس في عرشها الذهبي الذي ملأ بلاد العرب ، بل الشرق كله ، عظمة ، وجلالا ، وهيبة ، ثم قال لحراسه : ادخلوه ولا تسألوه عن اسمه .

فمثل بين يديه رجل بثياب فلاح ، تضطرب يـداه من التعب ، وترتجف ركبتاه . .

وفي الخيمة معدي كرب ، وذو تبع ، وعبد شمس ، وغيرهم من القـواد ، فاجأه بقوله : رسول من مأرب كما يقولون ؟ فاجابه الرجل بصوت هادىء نعم يا مولاي .

ــ ومن ارسلك ؟

ــ اني رسول نفسي ايها الامير !

ــ ونحن نرى انك تخاف ان تظهر للامير وجهك . . .

ــ اجل يا مولاي فقد يكون هذا الوجه مظهر شؤم .

فخيل الى القوم انهم يعرفون هذا الصوت .

فقال الامير : احجب وجهك واذكر ما قدمت لاجله .

ــ لا افعل يا مولاي حتى يخرج هؤلاء الامراء ! فاومأ الى القوم بالانصراف دون ان يتردد ، ولكن امر ذا تبع بالبقاء ثم قال: هذا امين سرنا ونحن لانكتمه امراً فهات ما عندك الان .

قال : ان السر الذي احمله اليك لا يذكر الا للامير وحده .

ــ ولكن صاحب همدان لا يخرج من هنا وسنأمر حراسنا بان ينتزعوا سرك على الرغم منك .

فتردد الرجل قليلا كأنه يستعرض ماضي الهمداني ومواقف اخلاصـه في البلاط ، ثم عمد الى عمامته ، فانتزعها وجثا على ركبتيه قائلا :

Amly نهضة العرب

مولاي الملك ! فاستوى الامير جالساً في فراشه وقال : وتار ذمر ؟ !

ــ نعم وتار ذمر نفسه يا مولاي .

فتراجع ذو تبع الى الوراء وقد استولت عليه الدهشة والاستغراب ، ولكنه لم يلبث حتى عاد الى رشده خوفاً من ان تنم عليه المظاهر ، فيفضح نفسه ، ويضيع الماضي بكل ما فيه .

وكان عمرو يحدق الى الكاهن وقلبه يكاد يخرج من صدره لشدة خفقانه ، ثم استطاع ان يقول :

ماذا حدث في اليمن حتى يترك كاهنها الاعظم قصره ويجيء الى مهرا بثوب فلاح ؟! ويظهر انه لم ينتبه لتلك الكلمة التي خاطبه بها وتار ذمر عندما جثا على ركبتيه .

فقال الكاهن : جئت انقل الى مولاي الملك خبر موت الملك ... فلمعت عينا ذلك المغرور وشعر عندئذ بأنه آله اليمن مالك رقاب اليمنيين واموالهم وان الكلمة التي تلفظها شفتاه تكون قضاء ، فقال : ومتى كان ذلك ؟

ــ منذ بضعة عشر يوماً يا مولاي ، فأنهضه واجلسه عن يمينه وهو يقول : حدثنا بما جرى واذكر لنا قبل كل شيء سبب قدومك انت !

ــ أأقول كل ما اعلم يا مولاي وانا آمن ؟

ــ أجل .

وكانت الابتسامة البادية على ثغر الملك الفتى ، تقوم مقام الدموع التي يذرفها الولد البار عندما يحمل اليه نعي ابيه .

فقال : قدمت لاقول لمولاي الملك ان في مأرب رجالا يريدون ان يسلبوه ملكه ويستأثروا به !! فاحمرت عيناه ، ومد يديه الى الامام قائلا :

ويل لك ، خبر لك ان تقول خربت اليمن !

ــ نعم يا مولاي ، ستخرب اليمن ان لم تكن ذلك الملك القوي الذي يصون ملكه بسيفه ويبعث بأعدائه الى القبور .

ــ ومن هم هؤلاء الاعداء ؟

نهضة العرب Amly

ــ امير ظفار ، وامير نحلة ، على رأسهما شرحبيل ابن عمك الذي هو اليوم نائب الملك !

فاستند امير همدان الى سيفه كي لا يقع على الارض ، ثم رأى ان يقعد عند الفراش ويتظاهر بالاصغاء وهو غاضب ، اما عمرو فقد خشي ان يتمزق جرحه ويقذف بالدماء فيضطر الى البقـــاء في مهرا ويضيع تاجه ، فلجأ الى الهدوء وقال :

احذر ان تخدعنا بكلمة واحدة ايها الكاهن ، فوتربة حمير لئن كان كل ما تقول كذباً لنجعلن جثتك مئة قطعة على سور مأرب ولنهدمن هيا كل اليمن كلها فنمحو كل اثر لك ولكل من ينتمي اليك !

قال : أقسم بتربة ذي القرنين ، ورأس ولده الملك اني لا اقص عليك غير ما سمعت ورأيت ..

قال : أبدأ بنـــاشر فنحن نريد ان نعلم كيف تخطر الخيانة لهذا الرجل الذي احطناه بعطفنا وملأنا قصره في ظفار مالا ونعماً .

ــ لا اعلم من امره يا مولاي غير مظهر واحد هو انه يجاري شرحبيل وعتيكاً في هواهما ويحيي الليالي معهما بالهمس والاسرار .

ــ وماذا يريد شرحبيل وعتيك ؟

ــ آه يا مولاي انهما يريدان ان ينزعا التـــاج عن رأسك ليضعاه على رأس بلقيس فاهتز الملك فوق فراشه وجعل يقول : اخطأت ايها الكاهن فلبلقيس تاج يشبه تاج زوجها الذي هو الملك !

ــ لو كان الامر كما تقول لما تآمر الثلاثة على حياتك وحياة كاهن اليمن الماثل الان بين يديك .

قال اتصدق كلمة مما تسمع يا ذا تبع ؟

ــ وكيف استطيع ان اصدق يا مولاي والرواية رواية عرش وتاج بطلتها بلقيس التي ستكون زوجة لك ؟!

قال : لننظر في الامر من وجه آخر ، قل يا وتار ذمر ، من جعل شرحبيل

Amly نهضة العرب

ناثباً للملك ؟

ـ ابوك يا مولاي .

ـ وكيف فعل ذلك وهو لا يحبه ولا يطيق ان يراه ؟ فكره ان يقص عليه خبر المؤامرة التي دبرها ذو القرنين وكان شريكاً له فيها ، ان الآية تنقلب اذا دب الشك في صدر عمرو ، وما الذي يريده وتار ذمر ؟ كان يريـــد ان يكتم مولاه هذه الاسرار ، ليوغر صدره على شرحبيل ومن معه ، فيدخل عاصمـــة ملكه ثائراً غاضباً ويبدأ بالتقتيل والتدمـــير دون ان يسأل احـــداً او يسمع لاحد ...

وتدور الدائرة ، في ذلك ، على شرحبيل وبلقيس وعتيك وناشر ويخلو له الجو ، اي ان عمراً يلبس التاج ، ويكون هو سيد اليمن لا يرد له امر .

فقال : من يعلم اي خاطر خطر للملك في تلك الليلة .

ـ وكنت حاضراً ؟

ـ نعم يا مولاي وقد طلب الي ابوك في تلك الساعة ان اخضع لابن عمه كما اخضع له واطيعه كما اطيعه .

ـ الم يقل ابي شيئاً غير هذا ؟

ـ بلى ، لقد امرنا بان نقول لك ان تجعل زواجك بعد عام لئلا تهزأ العرب بملك حمير ، وكان قوله هذا وصية، فلم يضطرب العاشق ، لكل ما قاله وتارذمر مثل اضطرابه لهذه الكلمة التي كانت جرحاً فوق جرح .

ان لطمع بلقيس وشرحبيل بالعرش ، اذا صح هـــذا الطمع دواء ، هو السيف ، ثم يتزوج بلقيس بعد ذلك ، بقوة السيف نفسه ، ولكن وصية ابيـــه ليس لها دواء ، ولا يجوز ان يكون ملكاً وهويدوسهابقدميه، ولم يهدأ اضطرابه الا عندما قال ذو تبع : يجب ان يشهد بهذا اثنان من الامراء يا مولاي .

قال : أيشهد شرحبيل ايها الكاهن ؟

فاطرق ملياً ثم قال : لا اعلم .

ـ وماذا حدث بعد ذلك ؟

Amly نهضة العرب

ـ مات الملك ، فخرجت من حجرته الى قاعة السـلاح ، وكنت وانا في تلك القاعة اسمع عتيكاً يقول : يقتل ولي العهد ووتار ذمر فيسلم العرش !

ـ وشرحبيل ؟

ـ اما شرحبيل فلم يكن يريد ، على ما ظهر لي ، ان تبدأ بلقيس عهد ملكها، بالقتل وسفك الدماء !

ـ وهل اراد امير ظفار ما اراده امير نحلة ؟

ـ خيل الي انه اراد ذلك .. فتغلل الشك الذي يخافه الكاهن في نفس ملكه، فقال : اذن فشرحبيل ابن عمنا قد عفا عنا كما تقول : فهدت الحيرة على وجهه، ثم قال : نعم ..

ـ وانت لست واثقاً بان ناشراً اراد لنا الموت ؟

ـ بلى ... اراده ... يا مولاي .

قال: لقد خيل اليك ذلك ونحن لا نثق الا بما تثق به... ومن بقي في الساحة؟ بقي عتيك امير نحلة وهذا لا نعبأ به ولا نخافه اذ لا يستطيع وحده ان يسلبنا هذه الحياة . وكانت لهجته لهجة استهزاء، فتمشت قشعريرة الخوف في عروق وتار ذمر وصاح قائلا :

ولكن بقي امر آخر يا مولاي هو انهم اذا كانوا قد عدلوا عن قتلك فقد ارادوا ، مع هذا العدول ، ان يحولوا بينك وبين التاج الذي خلق لك !

ـ وكيف يستطيعون ذلك ؟

ـ اسمع يا مولاي ، ان ذلك الحديث الذي بدأوا به في تلك الساعة لم ينته عند جثـة ابيك بل انتهى في قصر شرحبيل بالاشتراك مع بلقيس ، وفي ذلك القصر وضعوا خطتهم وأرسلوا الى مغار يدعون انصارهم الى مأرب ليمنعوك من الدخول الى البلاط .

ـ وكنت تسمع ايضاً ما قيل في ذلك القصر ؟

ـ بل سمعت ما كانوا يقولونه وهم خارجون منه ، وعرفت ان الهدهاد ابن شرحبيل كان رسولهم الى مغـار وهو يحمل الى الانصار خنجر ابيـه الذي هو

Amly نهضة العرب

رسالة السر .

فد عمرو عنقه وهو يصغي الى تلك الحكاية الجديدة ، واستطرد الكـــاهن قائلا ،وهل تعلم يا مولاي ماذا صنعت ؟؟ شهدت في اليوم الثاني مأتم ذي القرنين ثم خرجت من مأرب ، عندما بسط الليل جناحيه ، وبت اركض بغلتي ومعي رجلان حتى لحقت بالهدهاد الى وادي عجف .

قال : وقتلت الهدهاد ؟

ــ لا يا مولاي ، بل قتلت عبديه ،وجعلته ضيفاً على عجف يحف به الاجلال والاحترام حتى يمر الشهر وترجع انت الى مأرب فتجلس في عرشك .

ــ ومن يضمن بقاءه في الوادي الذي ذكرت .

ــ الرجلان اللذان اخترتهما لهذه الغاية .

ــ وهل تعرف من هم انصار شرحبيل ؟

ــ كنت اسمع اباك يقول : ان الغوث ابن راهط ، وجبـــار ابن دوير ، وذا مغار انصار له ، فوضع رأسه بين يديه وغاص في لجة التفكير .

انه نبأ خطير يحمله اليه الكاهن الاعظم من بلاد قومه ، يموت ابوه ! ويغتصبون عرشه ولا يبالون به ؟! وهل يعده شرحبيل بابنته امس ، ليخونه اليوم . ويسلبه الملك الذي اعدته له الآلهة من قديم الزمان ؟ ومن يصدق ، ان بلقيس الفتانـــة الحسناء تجسر على حمل التاج ورجال اليمن الاشداء لا يجسرون على حمله .

وطال سكوته وتفكيره ..غير ان وتار ذمرا راد ان يستغل الموقف ، فاخرجه عن سكوته قائلا :

لا تتردد في امرك يا مولاي فانا اخشى ان يغفل الرجلان عن حراسة الهدهاد فيصل الى مغار قبل ان تخرج انت من مهرا فيسبقك الاعداء الى مـــأرب ، فرفـــع رأسه وهو يقول : صدقت فمهرا ابعد من ذلك الاقليم ويجب ان نرحل غداً عند الصباح ... أخرج الآن وسنأمر الحراس بان يعدوا لك خيمة تأوي اليها الليلة .

قال : أرجو من مولاي الملك ان يأذن لي في ارجاع العمامة الى وجهي .

Amly نهضة العرب

ـ لماذا ؟

ـ لان لي غرضاً بذلك يا مولاي .

ـ افعل ، وتهيأ للرحيل قبل طلوع الشمس .

ـ ولكن لم اعلم يا مولاي على اي شيء عولت .

ـ وعلى اي شيء يعول الملك الذي يريد اعداوءه ان يستأثروا بعرشه ؟؟عولنا على القتل والهدم والتخريب حتى نجعل اعداءنا موطئاً لحوافر الخيل .

فبدت على وجهه دلائل الفرح الوحشي وخرج من الخيمة وقد اخفى وجهه، وقد تقدمه الحراس ليعدوا له فراشاً .

فقال الملك لامين سره : قل لحاجبنا ان يدعو للقواد ، ففعل ذو تبع ما امره به ، ولم تمر ساعة حتى كان القواد جميعهم بين يديه وهم ينظرون الى وجهه المتجهم المكفهر .

وقلب ذي تبع لا يهدأ في داخله ، وقد خطر له ان يفسد على الكاهن الاعظم امره ، ولو كان وراء ذلك ، الموت .

• • •

٥٩

دعوناكم ايها القواد لنقص عليكم ما قصه علينا الرسول الذي رأيتم ، ان الملك ذا القرنين قد مات !

وكان يخاطبهم وهو ملك .. فعقدت الدهشة السنتهم ، ثم انطلقت هذه الالسنة بعد قليل فخروا ساجدين وهم يهتفون : ليعش الملك .

غير انه لم يبال بذلك السجود ، بل كان يقول : انكم تهتفون لملك يتآمر عليه بعض امراء اليمن ويحاولون ان يغلقوا في وجهه ابواب مأرب الى الأبد .

فقال عبد شمس : لا يجرؤ على هذا غير شرحبيل بن عمرو .

نهضة العرب Amly

ــ اصبحت فشرحبيل ابن عمنا يحمل راية العصيان .

ــ ولكنه لا يستطيع ان يخطو خطوة الى الامام ونحن احياء ، وفي ايدينا السيوف التي لا ترتوي من الدماء .

لقد كان ابوك الملك يقول ان ابن عمه يطمع بملك حمير ونحن لا نصدق قوله ، وكان شرحبيل يظهر الطاعة وابوك يهزأ بطاعته ويعلم انها طاعة كاذبة .

فاجابه ذو تبع قائلا : لو كان يطمع بالعرش لنفسه لهان الامر وقلنا ان الرجال في كل زمان يحلمون بالعروش ، ولكنه يريده لابنته كأن وارث الملك لا وجود له ، وكأن ابنته خير من جميع اليمنيين !

قال : أيجعلون العرش الحميري لفتاة ؟

ــ هكذا يقول رسول الملك .

قال : اخشى ان يكون في الامر خدعة يا مولاي .

فقال ذو تبع : لقد خطر لي منذ ساعة ما خطر لك ...

فقال الملك وقد استيقظ غرامه : وهل تظنون ان هذا الفلاح الذي قص علينا اخبار مأرب يمشي الى مهرا بضعة عشر يوماً ليكذب ، ويخدع مولاه ؟

فقال معدي كرب : يجوز ان يكون هو نفسه مخدوعاً يا مولاي ، فاعاد عليهم ما سمعه من وتار ذمر ثم قال : وماذا ترون الان ؟

فقال امير همدان وكان اجرأهم جميعاً . ارى ان يرجع الجيش الى مأرب كما تعود ان يرجع من الميادين دون ان يعمد الى الشدة والعنف .

واذا كانت جوش الاعداء قد سبقتنا اليها ؟

ــ واين هي هذه الجيوش يا مولاي وذلك الفتى الذي ارسلوه اليها اسير في صحف يحرسه رجلان .

ــ ثم ماذا ؟

ــ ثم يلجأ الملك الى قراءة الاسرار ، من وراء الستار فيضرب حين تدعوه الحاجة الى الضرب ، ويغفر عندما يرى ان مصلحة العرش في هذا الغفران ، فالتفت اليهم قائلا : اهذا ما تريدونه ايها القواد ؟

Amly نهضة العرب

ــ نعم يا مولانا فخير للملك ان يدخل عاصمة ملكه دخول ظافر بعدوه ، من ان يدخل دخول ثائر على رعيته .

ــ اذن فليعلم الجيش الليــلة انه راحل غــداً ، وعليكم ان تقولوا له ان في مأرب عدواً آخر يجب ان يظفر به ، وكانت جلسة الشورى قصيرة كما رأيت، فقد صرفهم جميعهم ليفكر في حبيبته ، ويعتبها على هذه الخيانة التي نقلوا خبرها اليه ، ويخاطبها باحلامه ، كأنها باقية على عهده ، لا تطمع الا بغرامه والجلوس معه على العرش ...

* * *

خرج ذو تبع الى خيمته والنار تتأجج في صدره ، وقــد اراد ان يمضي في الامر الذي خطر له م حتى يكيد وتار ذمر او يخيب امله .

ودعا حاجبه وقال له : ألم تقل لي ان لك في الجيش أخاً قطع ذو القرنين يده اليمنى وهو ولي عهد ؟

ــ نعم يا مولاي ولكن القواد لم يجعلوه جندياً لانه لا يستطيع ان يخوض المجال ويحارب بيسراه .

ــ واين هو الان ؟

ــ مع اولئك الرجال الذين يمشون وراء المؤونة .

ــ ولكنــه يستطيع على الاقل ان يحمل الى مأرب رسالة يملأ صاحبهــا راحتيه مالا ويجعله من غلمانه .

ــ ومتى تريد ان ادعوه اليك ؟

ــ في هذه الساعة ، ولكن قل لي ، أيعرف اخوك الاخلاص والوفاء للقوم الذين يثقون به ؟

ــ اجل يا مولاي ولولا وفأوه لما خسر احدى يديه .

ــ اذن فليحضر دون ان يعلم أحد اني ادعوه ، فخرج الحــاجب ولم يلبث حتى عاد ومعه اخوه ، فابصر امير همدان ، كهلا ربعة ممتلىء الجسم ، ذا عينين

Amly نهضة العرب

تطل منهما الجرأة والاقدام ، ويلمع فيهما الذكاء ، فأشرق جبينه وقال : خبرني اخوك انك تحمل الحقد والبغض في صدرك منذ اعوام لذي القرنين ! فنظر الكهل الى اخيه نظرة عتاب .

فقال : لا تخف فأنا مثلك احمل هذا البغض ، اتعرف لماذا دعوتك ؟فأجابه وهو يبتسم : دعوتني لتسألني رايي في غزو الفرس او فتح الحبشة !! أجل يـا مولاي انا اعلم لماذا يدعو الامراء مثلك ، الصعاليك مثلي ، في ظلام الليل ... يدعونهم ليجعلوهم رسلا ويبعثوا بهـم في المهمات . فضحك قائلا : أحسنت فسأجعلك رسولا الى مأرب على ان تكون اخرس اصم بعد ساعة وتترك مهرافي هذا الليل .

قال : ابعث بي الى حيث تشاء الا البـلاط فانا لا ادخله ولو قتلت ، فأراد الامير ان يفاجئه بتلك البشرى التي تطيب لها نفسه فقال : ولكنك تستطيـع ان تروح وتجيء في البلاط لان الملك قد مات وليس في بلاطه ما تخشاه .

فركـع يقبل قدميه ويقول : اني عبدك منذ الان فافعل بي ما يفعله المولى بالعبد ...

قال : اتعرف شرحبيل بن عمرو ؟

— واعرف الهدهاد وبلقيس وكل غلام من غلمان ابن يعفر .

قال : سيترك الجيش هذه الارض عند الصباح راجعاً الى مأرب ، وتتركها انت الليلة كما قلت لك ، فهل تعلم متى تصل انت ويصل الجيش ؟

— يريد مولاي ان اكون السابق اليس كذلك ؟

— بلى

— اذن فاعلم ان الجيش لا يصل الى مأرب الا بعد ان يمر علي وانا فيهـا اربعة ايام ...

قال : سيعطيك شرحبيل من الذهب ما لا تحلم به .

— يكفي اني سأعود الى مأرب وليس في البلاط ملك يظلم الناس ويقطـع ايديهم يسمونه ذا القرنين .

قال : اما الرسالة التي ساسلمها اليك الان فسيبقى امرها سراً لا يعرفه احد ، أتعدني بهذا ؟

ـ اعدك يا مولاي بان هذا السر سيموت كما مات الملك .

فايقن ذو تبع عندئذ ، ان البغض الذي يضمره الرجل لآل ذي القرنين ، جعله من اتباعه المخلصين له ، ولم يبق الا ان يكتب رسالته ، وقام فكتبها ، ثم ناوله اياها ووضع في يده شيئاً من المال وهو يقول له : سنلتقي في مأرب بعد ايام ، فاكتفى الرجل بان يقول : سنلتقي في مأرب ، ثم قبل يده وتغلل في الظلام ...

* * *

٦٠

كان شرحبيل ، قد اعد في مأرب كل شيء : المال ، والمؤونة ، والسلاح ، في سراديب قصره ، والعقيدة الثابتة ، والايمان في صدره وصدور من حوله من الرجال ، وكانت بلقيس تتهيأ للجلوس في ذلك العرش العظيم ، الذي جعله حمير الجبار مفخرة من مفاخر ذلك الزمان ، ثم تصفو لها الحيـاة ، وتزف الى ذلك الحبيب النبيل ، الذي وهبت له الآلهة ، جمال الوجه ونبالة الاخلاق ، واذا اجتمع الجيش جيش الانصار في «حرثة» كما علمت ، فليس في اليمن قوة تستطيع ان تبعدها عن ذلك العرش .

على ان هنالك امراً واحداً كانت تخشاه ويخشاه القوم هو ان يتردد الغوث وجبار في الزحف الى مأرب، فيخسر المتآمرون قوة لا يحل محلها غير بني مذحج، ومذحج في ذلك الوادي البعيد لا تعلم من امر المؤامرة شيئاً ، ولكن الغوث نفسه اقسم لشرحبيل انه سيكون عند حسن ظنه به ، فلم يبق مجـال للخوف ، ولتهنأ بلقيس فقد فتحت لها الجنة ابوابها وفتح لها المجد ذراعيه !

اما مأرب ، فقد كانت هادئة ، لم يتغير فيها شيء بعد الملك، ولم تتم مظاهر

Amly نهضة العرب

المتآمرين فيها ، على شيء ... بلى هنالك شيء جديد ، هو ان الارض ابتلعت وتار ذمر فلم يقف القوم له على اثر ! وقد بذل عتيك جهده كله ليعرف مقره ، فلم يفلح ولم يزد غلمان قصره على قولهم انه ذهب الى الحجاز ، وخبره حراس السور ، انهم رأوه خارجاً منذ ليال ، فقام في ذهنه ، ان الرجل لجأ الى موضع يحفر لهم فيه الحفائر ويمهد الاسباب ليوم عصيب ، وجاء الى شرحبيل وناشر يقول لهما :

اقسم انه ذهب الى مهرا ، ليوغر صدر ولي للعهد ، ويخبره ما رآه ...

ولكن القوم لا يصدقون ان الكاهن الذي هو في قومه نصف ملك يكلف نفسه مشقة السفر الى ذلك الساحل النائي ليكون نماماً وساعياً ، وبلقيس ايضاً لم تصدق ما سمعت ... حتى مرت الايام الكثيرة وهو غير موجود ، وكاد ينقضي شهر كامل والهدهاد لم يعد ، ولم يصل الى شرحبيل خبر منه ، ولم يخطر لاحد من القوم ، انه اسير في واد موحش ، بفضل ذلك الرجل الذي ذهب الى الحجاز .

وبدأ القلق والاضطراب يتغللان في النفوس ، وكاد اليأس يقوم مقام الامل في الصدور !

فبينما هم في قصر شرحبيل ، في احدى الليالي ، وقد كثرت الاراء والظنون، اقبل ذلك الكهل واسمه « رعين » يستأذن في الدخول ، فتسابق الغلمان يقولون لمولاهم : رسول من مهرا !

فنهض الجميع يستقبلون ذلك الرسول ... ثم عادوا الى مجالسهم وعين بلقيس تنظر اليه ، وقلبها يخفق ، ذعراً .. وغراماً .. وقد دلها القلب ، على انه رسول الحبيب .. ثم قال شرحبيل : اذكر اسم من ارسلك .

— امير همدان يا مولاي . فحبست بلقيس انفاسها .

ثم قال : وكيف تركته ؟

— انه يطوف في الجيش يا مولاي كالاسد يطوف في اودية اليمن ، فتنهدت الاميرة ، ووضعت يدها على صدرها تسكت قلبها المضطرب . . ان ذا تبع حي .. فلتسقط السماء بعد ذلك على الارض ، وقبل ان يقول الامير

Amly نهضة العرب

للرجل كلمة اخرى مد يده الى كمه ، فقال له : أتحمل رسالة منه ؟

ـ نعم يا مولاي .

ـ وهل انتهت الحرب بفوز الجيش اليمني ؟

ـ نعم يا مولاي وفرت الحبشان .

ـ ومن قتل من القواد ؟

ـ القواد جميعهم احياء يا مولاي ، غير ان ولي العهد قد جرح وشفته الآلهة ولولا امير همدان لخسر حياته عندما جرحوه ... فتمتمت شفتا عتيك الفاظ اللعنة ... واخرج رعين عندئذ رسالته » فأوما شرحبيل الى ناشر بأن يقرأها فقرأ :

« الى الامير شرحبيل بن عمر ... « وتار ذمر في مهرا ... ولي العهد يعرف ان اباه قد مات وانكم جميعكم ستغصبونه العرش لتجاس فيه الاميرة ... ولدكم الهدهاد في مضيق عجف يحرسه رجلان فارسلوا من يفكه ويقتل حارسيه قبل ان نصل الى مأرب ... ليبتعد الانصار اليوم عن مغار وليرجع كل امير الى مخلافه فالامل قد خاب ... استقبلوا عمراً كما كنتم تستقبلون ذا القرنين وتهيأوا للجواب عن كل سؤال ... الشك موجود في صدره على رغم مساعي الكاهن النمام والحب ينمو في قلبه على مر الايام ... حامل الرسالة من اخلص الناس فأحسنوا اليه واجعلوه من الغلمان ... وهو يقول لكم متى نصل الى مأرب ... اذا استطعتم ان تحفروا قبر وتار ذمر فافعلوا فلا راحة لنا وهو حي ... ولا تشردوا في أموركم ساعة واحدة ..»

فاصفرت وجوههم وجعل الواحد منهم ينظر الى الآخر وقد استولى عليه الذهول ... لقد تهدم البناء العظيم الذي شيدته المخيلة ... واستيقظ النائم فاضمحلت تلك الصور الخلابة التي كانت احلاماً ... هذا عرش بلقيس تتصدع أركانه ... وهذا تاجها ، بين ليلة وضحاها ، بين اليقظة والحلم ، يتدحرج تحت الاقدام ، نعم .. ولكن بلقيس لا تسقط اذا سقط العرش ، ولا تستسلم الى الضعف عندما تدور الايام ويتغير الزمان ... كانت كبيرة عندما يكفهر الجو ،

نهضة العرب Amly

كما هي كبيرة عندما يصفو ، وليس بين الشدائد التي تعرض لها شدة تستطيع ان تضيع لها الرجاء .

انظر ... لقد اصغت الى رسالة الحبيب بهدوء وصبر ، ثم جعلت تقول لابيها وللقوم : ان الاقدار تخدم اليوم عمرا وتخدمنا غداً ، ولكنهم لبثوا ساكتين ... فأعادت قولها وهي تبتسم ، ثم قالت لرعين : قم ايها الرجل وادع غلامي نائلا. فدعاه ، فقالت له : اتعرف مضيق عجف ؟

ــ نعم

ــ ان مولاك الهدهاد أسيرفيه ، فخذ ما تشاء من العبيد وما تشاء من السلاح ، واقتـــل في ذلك المضيق من تراه من الرجال على ان يصبح حراً ، اذهب الان وليذهب معك هذا الرجل فهو من رجال القصر .

قال : ومن هو آسره يا مولاتي ؟

ــ رجلان لا اعرفهما ، فحنى رأسه وهم بالانصراف ، فقالت : ولكن لا ترجع انت الى مأرت ، بل ترسل مولاك مع العبيد اليها ، ثم تسير الى مغار فتدفع الى سيدها الذي تعرفه ، كتاباً أكتبـــه الساعة وتقص عليه خبر مولاك الهدهاد أفهمت ؟؟

ــ أجل يا مولاتي ، فقامت فكتبت :

من شرحبيل بن عمرو الى الامير ذي مغار :

عندما يصل كتابي اليك ، اصرف الغوث وجباراً الي مخلافيهما مع الرجـــال الذين يقودان ، ولا تتردد انت في المجيء الى مأرب » . وناولت اباها ما كتبت قائلة له : اكتب اسمك يا مولاي ، فقرأ الامير ذينك السطرين ووضع اسمـــه ، وخرج رعين ونائل ليختارا الرجال .

فصحا عتيك من ذهوله قائلا : يجب ان نعلم متى يصل جيش مهرا .

فعاد رعين يقول : بعد اربعة او خمسة ايام .

قال : اتحسن الضرب بالخنجر ، بيسراك ؟

ــ كما تضرب انت بيمناك يا مولاي .

نهضة العرب Amly

ــ سنرى اذن كيف تضرب الرجلين اللذين ستزورهما ، والتفت الى بلقيس وقال : لقد ارادت الاقدار ان ننظر في امرنا من جديد فقولي الان ما تشائين .

ــ بل تقول انت ما تشاء ايها الامير فالرأي لك .

ــ لقد تعلمت يا مولاتي الا اقول كلمة بعدالان ،طلبت قتل ولي العهد ووتار ذمر فهزأتم بي وهذا يكفي .

قالت : اقسم لك اني لا اخالفك في امر بعد اليوم ..

ــ وتعدني انت بذلك ايها الامير ؟

فاجابه شرحبيل قائلا : لك ان تفعل ما يطيب لك .

فقال : هات الرسالة يا ناشر ، وأخذها وجعل يقرأها سطراً سطراً ثم قال:

ماذا بقي من رسالة امير همدان ؟؟ لقد انتهى الان أمر الهدهاد وذي مغار وبقي ان نستقبل عمراً كما نستقبل أباه ... وونحفر لوتار ذمر القبر ... بل بقي ان نتهيأ للجواب عن كل سوأل ... أجل سنعرف كيف نستقبل مولانا الملك ، ونحفر القبر لمولانا الكاهن ، ونتهيأ لكل شيء .

ثم جعل يصف لهم حال عمرو ، وغضبه ، وثورة نفسه ، وانتقل بعد ذلك الى وصف غرامه حتى انتهى الى قوله :

ومهما يكن امر تلك الثورة وهذا الغضب فغرام مولانا الملك يضمن لنـــا الفوز ، « وذلك الحب الذي ينمو في قلبه » سيخمد النار .

وأخذوا يتهامسون ويتشاورون ، حتى طابت النفوس ، واطمأن الجميع الي ذلك المنهاج الذي وضعوه والذي يبلغون به الغاية .

وكان الليل قد انقضى ، فرجع ناشر وعتيك الى البـــلاط ، وآوى شرحبيل وبلقيس الى فراشيهما يناما ن حتى تطلع الشمس .

* * *

٦١

كانوا ثلاثة عبيد وغلامين ... وهم يحمـــلون انواع السلاح كأنهم ذاهبون الى حرب ، ومضيق عجف طويل لكنه ضيق وسهل ، فلم يتوغلوا فيه حتـــى ابصروا الهدهاد وحارسيه ، على كثيب صغير في بطن الوادي ، وكان ذلك عند الظهر ، فصاح نائل : مولاي الهدهاد .

وقال الآخرون : مولانا .. ثم انقضوا والسيوف في الايدي وبدأوا يضربون قبل ان يعمد الرجلان الى الدفاع .

وكان الامير الفتى مقيد اليدين ، فلما فكوه ، تساقطت دموعه على خديـــه وقال لعبيده : عودوا الى مأرب وقولوا لابي اني ذهبت الى مغار لاحمل خنجره الى القوم ..

فقال نائل : بل تعود انت بأمر مولاي واذهب انا .

ــ وماذا تحمل ؟

ــ احمل هذا الكتاب ، ولكن اين فرسك يا مولاي .

ــ اكلته السباع ولولا هذه المغارة التي جعلوها بيتاً لي لما وجدتم لي في هذا الوادي اثراً .

قال : لقد احضر رعين فرساً آخر هو هنا .

ــ من هو رعين هذا ؟

ــ يمني ، كان في مهرا ، في خدمة امير همدان وقد اقبل يحمل منه رسالة الى ابيك ستقرأها بعد رجوعك .

قال : الا تحتاج الى خنجر مولاك ؟

ــ لا ، فقد امرت بان احمل هذا الكتاب ليس غير . قالها ، ومشى الجميـــع الى الطريق ، ثم غادرهم نائل ذاهباً في مهمته ، وعـــاد الآخرون الى مأرب ، والهدهاد كأنه في حلم يكاد لا يصدق ما جرى له ، وهو لا يعلم مـا الذي جناه

نهضة العرب Amly

وما هي الغاية من اسره ! .

وقد ترك القوم جثتي الرجلين طعاماً للوحش والطير ، وكان الهدهاد يسألهم عن ذلك الرجل الثالث الذي كان يأمر حارسيه بما يشاء ، والعبيد ساكتون لا يعرفون من هو .

فقال رعين : لقد كتب امـــير همدان يقول ان الفضل في اسرك يعود الى وتار ذمر .

فوضع يده على جبينه قائلا : لقد ذكرت الآن تلك القامة ، فهي قامته ، وتلك البغلة السوداء فهي بغلته .. واين هو اليوم ؟

ــ ذهب الى مهرا وهو عائد مع الجيش .

فقال في نفسه : لقد سعى ونم فلم يبق لبلقيس امل بما فكرت فيه فالويل له ، وقضى الوقت كله وهو مطرق لا يرفع رأسه ولا يخاطب احداً حتى دخلوا القصر بعد نصف الليل وابوه والقوم ينتظرون وصوله ، فعانقه ابوه وهـــو يقول : لا تذكر ما جرى فقد عرفنا كل شيء ؛ ولكن ألم تر وتار ذمر في عجف ؟

ــ لم أر له وجهاً يا مولاي فقد كان الثلاثة في ثياب الفلاحين تستر وجوههم العمائم وكان احدهم بعيداً ولكنه صاحب الامر .

فقالت بلقيس : اسأل امير نحلة سوآلين خطرا لي امس .

قال : الاول ؟

ــ من خبر وتار ذمر ان هنالك موآمرة على العرش ؟

قال : لقد اعددت لنفسي جواب هذا السؤال قبل الان .

ــ ما هو ؟

ــ هو ان الرجل خرج من حجرة الملك بعد موته وجعل يصغي الى مـــا نقوله ونحن فيها .

ــ وكنتم تذكرون ولي العهد والعرش في تلك الساعة ؟

ــ اجل ، وذكرنا ايضاً هذا اللعين الذي عفوتم عنه .

ــ وكيف استطاع ان يعلم مهمة الهدهاد وهذه المهمة لم تذكر الا همساً ، في

Amly نهضة العرب

هذا المكان ؟ !

ـ بل ذكرت ايضاً عندما خرجنا منه نحن الثلاثة في تلك الليلة، وكنا نتحدث بهذا ونحن ذاهبون الى البلاط .

قالت : اتظن انه سمع ما تحدثتم به ؟

ـ اجل ولولا ذلك لما عرف شيئاً الا اذا كان احدنا يخون الآخرين والآخرون لا يعلمون ! . فابتسمت قائلة : الناس الذين يملأ الايمـان قلوبهم لا يخونون ... ولكن اتستطيع ان تعلم اية عاطفة احس بها وتار ذمر في حفظه حيـاة الهدهاد وقد كان قادراً على قتله ؟

ـ لقد عرف ان الامير شرحبيل اراد ان يحفظ حياته فحفظ حيـاة ولده وهي مأثرة له ...

ـ بل كانت له غاية اخرى هي ان نفس ملكه عمرو ستثور فيـأمر بقتل شرحبيل وولديه في ساعة واحدة ، وهذا ابلغ جزاء يرضي حقد الكاهن النذل .

قال : اصبت فتلك كانت غايته وسنرى من يكون القتيل هو ام شرحبيل .

قالت : افعلوا بعد مجيء الملك ما عولتم على فعله وعلي الباقي ، ثم ناولت اخاها رسالة الهمداني قائلة له : اقرأ هذه وانظر في الامر .

فقرأها وقال : ان لم نستطع ، بالحيلة والصبر ، ان نفسد على ابن ذي القرنين أمره ، ونبلغ الغاية من عرشه ، فخير لنا ان نترك اليمن ، ونعيش في صحراء نائية لا نرى فيها احداً من الناس ! فلمعت عيناها وهي تقول : اسمعتم رأي الهدهاد ؟ انه رأي اخته ، وستكون الحيلة والصبر سلاحاً لنا في حربنا مع الملك .

ثم قالت : اما الان فلم يبق الا ان تحسنوا استقبال ملككم الظافر الذي قهر عدو ملكه وتكونوا من اهل الطاعة وستعالج بلقيس امر هذا الظافر بقوة الغرام.

فقال ناشر : واذا خطر لهذا المجنون أن يأمر بقتلنا جميعاً عندما يعصب رأسه بتاج ابيه ؟.

ـ وهل تظن انه يفعل بنا ما فعله بعاتكة ؟

Amly نهضة العرب

ــ من يعلم فلهذا الفتى ساعات يصبح فيها كالنمر الجريح لا يعبأ باحد .
قالت : اذكر ما ورد في هذه الرسالة .
قال : اتعنين الحب الذي تضطرم ناره في صدره ؟
ــ نعم فهو السلطان القوي الذي ليس لنفوذه حد .
قال : ما احسست زماني كله ان لعمرو عاطفة .
ــ أخطأت فقد قرأت عاطفته في عينيه ، وخيل الي ان قلبه ينوب عن لسانه، في وصف هواه .!

فقال : لتفعل الاقدار ما تشاء فاما ان نموت كلنا او نبقى . وناموا تلك الليلة وقد عرف كل واحد منهم ما يجب ان يقول ويفعل .

* * *

٦٢

لم يرسل الملك عمرو ، الى وكيل عرشه ، واهل عاصمته ، نبأ بوصوله ، كما هي عادة الملوك ، في مثل هذه الحال .

كأنه كان يريد ان ان يفاجىء المدينة بالجيش ، ويتبين ما على الوجوه من الوان ، وما وراء الافق من مظاهر الخيانة التي وصفت له ، ولكن اهل مأرب رأوا الجيش ، فنقلوا الى البلاط خبر قدومه ، وهم متحيرون في أمر هذاالرجوع الفجائي ، وكان الجيش يبعد مقدار فرسخ واحد عن مأرب ، فخرج من في البلاط ، من امراء وعبيد وغلمان ، يتقدمهم حراس الملك بالحراب ، وانضمت اليهم طوائف كثيرة من السكان ، حتى امسوا جميعهم جيشاً يقابل جيشاً ، وينشد له اناشيد النصر ..!

وامر شرحبيل فزين في لحظة واحدة ، باب السور ، وابواب القصر ، وتدلت فوقها الاغصان النضيرة الخضراء .

Amly نهضة العرب

ثم وقفت الصفوف كلها خارج السور ، وعندما اطل الملك ، هتف شرحبيل وهتفت وراءه : يعيش ملك حمير ، وردد الهتاف ثلاث مرات ، ثم ارتفعت الاصوات بالاهازيج ، وكان وتار ذمر عن يمين عمرو ، وذو تبع عن شماله ،وقد خلع الكاهن عنـــه ثوب الفلاح ، وبــدا بثوبه الذي يعرفه اليمنيون ، والقواد الآخرون يتقدمون الفرق الظافرة ، التي تتلالأ سيوفها وحرابها كما تتلالأ البهجة والغرور في العيون .

فلما ابصر الملك شرحبيل ، واميري نحلة وظفار ، ورأى الثغور المبتسمة ، والوجوه الضاحكة الطافحة بالبشر التفت الى كاهنه وهمس قائـــلا : اى ملك يصدق ان الخيانة تملي على هؤلاء القوم ما نراه ...؟

فأجابه اللعين قائلا : ان الخيانة في الصدور يا مولاي وليست على الوجوه .

فقال ذو تبع : دع عنك هذا الان ايها الملك فستعرف كل شيء ، ودنــا الامراء منه ، فترجل ، ومد اليهم يده يقبلونها ويقولون : لقد اصبحت ملكنــا بعد موت ابيك فهـــذه سيوفنا نلقي بها عند قدميك ونعاهدك على الاخلاص للعرش ..!

فابتسم وهو يقول: لقد عرفنا ان والدنا الملك قد مات ونحن في مهراة .خذوا سيوفكم فانتم ابطال حمير وحراس الملك ! ولم يشأ ان ينظر الى تلك السيوف . .

فاطبق ذو تبع شفته وجعل ينظر الى شرحبيل كأنه يسأله ان يغض طرفه .

ثم صافحهم بدوره ، وانثنوا الى وتار ذمر يصافحونه والايدي ترتجف ...

وكان شرحبيل يقول : لم نعلم يا مولاي انك ستقدم اليوم .

ـــ وكيف خرجتم من مأرب وانتم لا تعلمون ؟

ـــ لقد قال لنا الناس انهم يرون جيشاً فأقبلنا الان .

قال : اردنا ان نرجع دون ان يعلم احد .

ـــ لماذا يا مولاي ؟

ـــ لاننا لا نحب ان نعكر على الناس صفو يومهم ! .

فتجاهل قائلا : الناس يعدون قدوم الملك نعمـــة من السماء ، ومع ذلك

Amly نهضة العرب

فكيف عرف وتار ذمر انك رجعت ؟
قال : كان وتار ذمر في مهرا يا ابن العم .
ــ ولكن غلمانه يقولون انه في الحجاز .. وقد خيل الي انه عاد الى قصره في الليل الماضي ، ثم ركب اليوم بغلته ليستقبل الملك ، فضحك اللعين ولم يجب.
ثم قال شرحبيل : أهو الذي نقل اليك يا مولاي خبر موت ذي القرنين ؟
ــ اجل وكان يجب ان توجه انت الى مهرا احد الامراء ليخبر الملك .
قال : أأرسل الى مولاي خبر الموت وهو يحارب اعداءه ؟
ــ بل ترسل الى مولاك تقول له وهو في الميدان انه صار ملكا .
ــ لقد كنت يا مولاي في مهرا قائداً وولي عهد ، فخفت ان يضطرب لذكر الموت قلب ولي العهد ، ويتضعضع فكر القائد ! .
فاشرق جبين الهمداني لجواب شرحبيل وهامس مولاه مرة ثانية قائلا له : ألا ترى يا مولاي ان هذا الحديث يفضح السر ؟
ــ بلى ، فقد انتهينا منه الآن .. كيف انت يا ناشر ؟
ــ كما تعلم وترى يا مولاي . اخلاص صادق لآل البيت الحميري العظيم ، ووفاء للعرش لا ينطبق صدر عبد على مثله !
ــ هذا ما كنا نعلمه قبل الآن . وانت يا عتيك ؟
ــ اما انا فسأقضي ايامي كلها في طاعتك ، كما قضيت ماضي في طاعة ابيك وكما قضى ابي ايامه في طاعة جدك .
فخطرت له تلك المؤامرة وهم بان يبوح بها على مرأى ومسمع من اهل مأرب والجيش دون ان يبالي باحد ، ولكنه عاد فذكر انه لم يتوج ، وان الحكمة تقضي عليه بالصبر ريثما يتربع في العرش ، ومشى على رأس موكبه ساكتاً لا يقول كلمة ، حتى دخل بلاطه ودخلت صفوف الناس وراءه وهي لا تكف عن الهتاف والدعاء ، ولم يتردد في الذهاب الى قاعة العرش ، والجلوس في كرسي ذي القرنين .
فعمد ناشر وعتيك الى التاج فدفعاه الى وتار ذمر ، فوضعه هذا باسم الالهة

Amly نهضة العرب

على رأس الملك ، واقبل الامراء ، وشرحبيل في المقدمة يسجدون للفتى المستهتر الذي رفعته الاقدار الى سماء اليمن ، ويقسمون من جديد انهم سيكونون حراساً لعرشه ، وتبعتهم طوائف الناس ففعلت كما فعلوا . ثم تراجعت الى الساحات والاسواق لتجعل ذلك اليوم عيداً تقدسه اليمن في كل عام . ولم تمر ساعتان حتى خرجت جميع الصفوف ولم يبق في ذلك القصر العظيم غير وتار ذمر والامراء .

وكان عتيك ، قبل ان ينصرف القوم ، قد خبر امير همدان كل شيء ، ونقل اليه حديث بلقيس ورأيها في الفشل الذي فوجئوا به .

فقال : اذن فوتار ذمر حفر قبره بيده وهو يظن انه حفر قبور الاخرين .

ـ وكيف ذلك ؟

ـ سيجازيه الملك بالموت .

ـ ولكنك لا تستطيع ان تعلم اي خاطر يخطر لهذا الملك عندما تفضح الاسرار .

ـ بل اعلم انه في يد بلقيس تفعل به ما تشاء ...

ـ وهل تجول في صدر هذا المغرور عاطفة حب ؟

ـ بل تختلج في ذلك الصدر عواطف هي الغرام المبرح الذي لم يحس مثله من قبل .

ـ غير ان العرش في نظره اعظم شأناً منه .

قال : لا تخف فهو أعجز عن ان يفعل أمراً ونحن احياء ، وخلت القاعة كما علمت ، وأتت الساعة التي يعرف فيها الملك ، اعداء عرشه والمخلصين له .

* * *

Amly نهضة العرب

٦٣

افتتح الملك عمرو عهد ملكه بالنظر في المؤامرات ... وكـــان وتار ذمر ، وشرحبيل ، والامراء الثلاثة ، عن يمينه وشماله ، وليس في القاعة من الغلمان غير اولئك الحجاب الذين يحرسون بابها بالحراب .

فقال عمرو لشرحبيل والتاج على رأسه :

الا تصف لنا يا عم تلك الليلة التي مات فيها مولانا ذو القرنين ؟

ـ اظن ان وتار ذمر وصفها لك يا مولاي .

ـ بل وصف لنا شيئـــاً آخر سنسألك عنه الان ، قل يا عم أكنت حاضراً عندما أغمض الموت عيني الملك ؟

ـ لا يا مولاي ، بل كنت في تلك الساعـــة ، اصارع الموت بالخنجر ، وأنا في الرواق وكـــان ابوك يصارع داءه وهو في الفراش ، فاصفر وجه الكـــاهن وارتجفت شفتاه ... لقد كـــان يظن ان عمراً لا يدخل عاصمة ملكه حتى يـــأمر بضرب اعناق الثلاثة الذين يخونونه دون ان يسمع لاحدهم كلمة .

أجل ، هكذا كان يظن وهو في مهرا ، ولم يقم في ذهنه قط ، أنه سيعمد الى اللين ، وهو القاسي الذي لا يعرف ليناً ، والى الحكمة وهو المغرور الذي يهزأ بالحكماء .. وقد قال شرحبيل كلمته وهو ينظر اليه .

فأجابه الملك قائلا : اي رواق هذا ؟

ـ رواق الملك نفسه يا مولاي ، فقد دعاني اليه في تلك الليـــلة ، وهؤلاء في غرفتـــه وأمرنا بان ننقل اليك وصيته بشأن الزواج ، ثم عهد الي في نيابة الملك ريثما تعود ...

ـ وبعد ذلك ؟

ـ اشار بالانصراف يا مولاي ، ولم اكن اعلم اني اخرج لأرى الموت فاغر فاه ، وفاتحاً لي ذراعيه الهائلتين ... فعرف عندئذ ان هنالك اسراراً لم يذكرهـا

Amly نهضة العرب

له وتار ذمر ، فقال : اذن كان الموت عند باب الملك ؟!

ـ اجل ، فقـــد رأيته بعيني يلمع على شفرتين حادتين يحملها عتيك وناشر ، ورأيت وتار ذمر واقفاً ينتظر ان تسفح الدماء والابتسامة على شفتيه !

ـ أي ان الثلاثة كانوا يريدون قتلك .؟

ـ وكان الملك يصغي الى صوت الاستغاثة ثم الى حشرجة الموت .. فتظاهر عتيك وناشر بالخوف وخفضا رأسيهما ينظران الى الارض ، فالتفت الملك الى الثلاثة قائلا : ماذا تقولون ؟ فتلجلج صوت عتيك وهو يقول : لا نستطيع الا ان نعترف بما جرى يا مولاي .

ـ وفعلتم ذلك بامر الملك ؟

ـ نعم وهذا ما املاه عليه وتار ذمر نفسه ، فاكتفى الملك بان يقول : انه امر الملك ، وليس في اليمن من يجسر على ان يعرض له ، ولكن كيف نجوت من الخنجر يا شرحبيل ؟

ـ كنت البس درعين يا مولاي .

قال : انس ما مضى فحسبك انك نجوت .

ـ لقد نسيت يا مولاي وهذا عتيك وناشر يشهدان لي .

ـ كما انهما يشهدان عليك .

ـ بماذا يا مولاي ؟

ـ بانك اردت الاستئثار بالملك بعد موت ابن عمك !

ـ انا ؟

ـ نعم انت ...

ـ وكيف افعل ذلك وللملك ولي عهد والملك له وحده ؟

قال : تذهب حياة ولي العهد كما ذهبت حياة ابيه ، وعندك رجـــال كثار يعرفون كيف يقتلونه على رأسهم هذان الاميران الخائنان ، واشـــار الى عتيك وناشر ... فرفع الاثنان رأسيهما وصاحا قائلين :

لتقتل الالهة من يفكر في قتل الملك الذي لا نريد ملكاً سواه ، اما هو فكان

Amly نهضة العرب

يقول وهو هادىء :
ألم يطلب اليك عتيك قتلنا وقتل وتار ذمر قبل ان نلبس تاج الملك ؟
ــ انها حكاية غريبة تقصها علينا يا مولاي .
ــ بل هي حكاية جرت كما تقول عنـــد سرير الملك الميت وكان وتار ذمر يسمع ما تقولون وهو في قاعة السلاح . فوقف عتيك وقال : ليبق الكاهن وامير همدان في هذه القاعة وليخرج ناشر وشرحبيل اذا اراد الملك ...
ــ لماذا ؟
ــ لاني اريد ان اروي لمولاي كل ما حدث وهما لا يسمعان .
قال : اخرجا ، ثم قال عتيك : أتأذن لي في القول الان ؟
ــ افعل .
قال : لقد كانت هذه الرواية رواية نمام كاذب اراد ان يوغر صدرك على المخلصين لك ليخلو له الجو وهذا النمام هو هذا ...
ــ ويلك انه كاهن اليمن !
ــ ليكن اعز مقاماً من الملك فانا لا اعبأ به وسأبوح لك يا مولاي بكل شيء ولو خسرت حياتي بعد ذلك .
ــ قل ما تعلم فقد تخسر هذه الحياة ..
ــ بل يخسرها هذا الكاهن الذي تآمر عليك بالاشتراك مع مولاي ابيك ... ألم تكن لك يا مولاي رغبة في بلقيس ابنة عمك وقد عرف ابوك ووتار ذمر هذه الرغبة قبل سفرك ؟
ــ بلى
ــ اذن فاسأل كاهن اليمن عن ذلك الاخلاص الذي اوحى اليه بان يرسل غلامه عباداً ليقتل تلك للفتاة التي احببت ..
فغضب قائلا : احذر يا ابن روضة .
ــ وماذا احذر يا مولاي وانا اقسم برأسك اني صادق . لقد تآمر ذوالقرنين ووتار ذمر على شرحبيل وابنه يقتلانهما في ليلة واحدة ليكيدا ولي العهد ويحرماه

نهضة العرب Amly

الاميرة التي اراد ان يجعلها ربة قصره وسيدة قومه .

قال : أفعلتها يا وتار ذمر ؟ فتردد قليلا ثم قال : تلك هي ارادة الملك .

فقال عتيك : نعم وكانت ارادة الملك ايضاً ان نقتل شرحبيل فلم نقتله رفقاً ببلقيس التي احبها مولانا واحبته وستكون له أتعرف يا مولانا ماذ فعلنا ؟ لقد عمدنا الى شفرتين مكسورتين ضربناه بهما ونحن نعلم انه يلبس درعين ولم نذكر له حتى هذه الساعة كلمة عما فعلناه .

ــ ومن يضمن لنا انك لا تكذب ؟

ــ لقد مكثت في بلاط ابيك بضعة اعوام لم ير مني في خلالها غير الطاعة والوفاء والصدق والاباء .. ومع ذلك فستسأل ناشراً عما اقوله لك الآن .

فنظر الى الكاهن وقال : ألم تكن تعلم يا وتار ذمر اننا نحب بلقيس ونريد ان نجعلها ملكة ؟

ــ بل كنت أعلم يا مولاي انك تريد ان تجعلها حظية لك لتقهر أباها الذي هزأ بابيك . !

ــ وكنت تستطيع ان تعفو عن هذه الحظية ، خدمة لولي العهد .

ثم قال : وماذا صنع عباد يا عتيك ؟

ــ قتل في قصر شرحبيل يا مولاي مع الغلامين اللذين كانـــا شريكيه ، بامر مولاه .

قال : يظهر ان غلمان شرحبيل لا ينامون .

ــ لا اعلم يا مولاي كيف حدث القتل ، ولكني عرفت ان وتار ذمر اوصى عباداً بان يهشم بخنجره جسم بلقيس ويرمي بها الى الكلاب في سوق مأرب .

فاصفر جبين الملك واخذ يتفرس في ذلك الكاهن الذي استخف به .

وقال عتيك ايضاً : وكان يقول لابيك خير لك ان تقتل بلقيس من ان يخرج الملك من يد ولدك الى ايدي ابناء شرحبيل وفي هـــذا القول اغواء يعرفه الملك ويعرف الغاية منه .

فقاطعه وتار ذمر قائلا :

Amly نهضة العرب

كذبت فالملك نفسه كان يقول لي ذلك وكان يكره ان تصبح بلقيس سيدة العرب .

ـ وكنت انت تجاريه في هواه ولم يخطر لك ان تخدعه في مؤامرته كما خدعناه أو تسأله الرحمة بالفتاة العاشقة التي لا ذنب لها في هذا العشق ، فامتــلاء صدر الملك غيظاً ومد يده الى سيفه قائلا :

لا نعلم على اي رأس يسقط هذا السيف بعد قليل .

فقال عتيك : قلت انه سيسقط على رأس الخائن ولو كان اعز الناس عليك

وقال الكاهن : الخائن هو الذي يرغب في قتل مولاه .

فقال الملك : اكنت ترغب في قتلنا يا ابن روضة ، كما يقول ؟

ـ بل كنت ارغب في قتل هــذا الرجل يا مولاي ، وقد قلت لشرحبيل ، عندما اعترفت له بذنبي ، وذنب ناشر ، ان يطلب اليك بعد رجوعك ان تكفي اليمن شره .

فاجابه وتار ذمر قائلا : بل قلت له ان العرش لا يثبت وولي العهد حي .

ـ بل قلت ان عرش ولي العهد لا يثبت وانت حي ، فأسكتهما الملك قائلا: سنسأل ناشراً عن هذا وسنعرف بعــد قليل كل شيء ... ولكن قل لنا يا ابن روضة ماذا فعلتم في قصر شرحبيل بعد موت الملك ؟

ـ ذهبنــا اليه مع صاحبه يا مولاي لننقذ بلقيس وكان امر عباد ، في تلك الساعة قد انتهى .

ـ وما هو السبب الذي قضى بخروج الهدهاد من القصر عند بزوغ الفجر؟

فابتسم قائلا : اما هذا السبب فقد لا يريد الملك ان اذكره الان .

ـ بل نريد ان تذكر الساعة كل ما تعلم ... وبدا الغضب في عينيه .

فقال : لقد خرج الهدهاد بامر ابيه ذاهباً الى مغار .

ـ صدقت ، وماذا يصنع فيها ؟

ـ يحمل الى اميرها خنجر شرحبيل ليعطيه ذلك الامير بعض المال ، فقهقه ضاحكاً وهو يقول : يخيل الينــا ان الفقر عض شرحبيل بن عمرو وجار عليه

الزمان فجعل يسأل المحسنين من العرب ان يعطوه .
ـ لا يا مولاي فشرحبيل من اغنياء مأرب ولكنه لا يستطيع ان يعطي كما تعطي الملوك !!
قال : لم نفهم شيئاً من حكايتك .
ـ ستفهم كل شيء يا مولاي ... اتعرف امير مذحج ؟
ـ جابر بن مفروق ؟
ـ نعم، فقد جاء الى مأرب وهو محتاج ، وقد ظفر بمذحج عامر بن الطرب وطلب الى ابيك الملك ان يكفيه مؤونة قومه .
ومتى جاء هذا الرجل ؟
ـ منذ ايام يامولاي ، وكان ناشر في البلاط وهو الذي استأذن له ومثل معه بين يدي ابيك .
ـ واعطاه ما تعود ان يعطي امثاله .. ثم ماذا ؟
ـ لم يعطه شيئاً يا مولاي ، بل امر ناشراً بان يدعو اليه شرحبيل ابن عمه ، ففعل ، ولعله اراد ان يمتحن اخلاصه على هذه الصورة ، فطلب اليه ان يعطي جابراً ضعف ما كان يعطيه هو في كل عام يشتد به الضيق !
ـ اذن فقد خرج جابر من البلاط صفر اليدين .
ـ نعم غير انه عرف ان للملك غاية في رده ، فتبع شرحبيل الى قصره وهو راض، وذو مغار في ذلك القصر، ولكن شرحبيل لم يكن قادراً على اعطاء مذحج ضعف ما كان يعطيها الملك فسأل صاحب مغار ان يرسل اليه مالا يرده اليه في العام المقبل ، وتعاهدا ، على ان يكون الهدهاد رسول ابيه ، وان يكون خنجر شرحبيل رسالته اليه .
ـ ولم يرد في ذلك الحديث ، يا عتيك ، ذكر حرثة ؟
ـ بلى يا مولاي ، فقد وعد ذو مغار ، بان ينقل هذا المال الى حرثة ، مع فريق من جنوده ، ثم ينقله شرحبيل بدوره منها الى مأرب !
ـ ولكن وتار ذمر خبرنا غير ذلك ، ماذا سمعت ايها الكاهن ؟

Amly نهضة العرب

ـ سمعت ان انصار شرحبيل يقيمون بمغار حتى اذا ذهب اليهم الهدهاد حاملا خنجر ابيه زحفوا الى حرثة .

قال : لم ار قط يا مولاي رجلا يكذب مثل هذا الرجل وله وقاحته ، أكنا نعلم من قبل يا مولاي ان وتار ذمر يسمع ، من قاعة السلاح ، وفي قصر شرحبيل، ما نتحدث به ؟

ـ لا ـ وهل خطر لنا ، ان مولانا الملك سيسألنا ؛ بعد رجوعه من مهرا مثل هذا السؤال ؟

ـ لا ـ اذن ارجو ان تأذن لناشر وشرحبيل في الدخول ، ثم تستعيد هذه الحكاية منهما فتعلم من هو الكاذب ، بل اطلب اليك امـراً آخر يا مولاي ، ارسل من تشاء من الرجال الى مغار اليوم لترى اذا كان فيها جنود لصاحبها او اسواه ، ثم افعل بعد ذلك ما تريد ان تفعله .

فاراد الملك ان يمعن في الاختبار فقال : بل ننتظر رجوع الهدهاد من مغار فنرى ما له .. ونسأله عما رآه .

ـ ولكنه لم يذهب اليها يا مولاي ، فتظاهر بالاستغراب قائلا : أنسيت ما قلته منذ لحظة ؟

ـ قلت انه لم يذهب لان شقيين من اشقياء اليمن سلباه ما معه وجعلاه اسيراً لهما في مضيق عجف .

ـ وهو باق الى الان في ذلك المضيق ؟

ـ لا ، فقد عاد الى مأرب منذ يومين ، وخبرنا ان بعض رجال بينون رأوه ففكوه ، فرجع الى ابيه يجر اذيال خيبته .

فرأى الملك عندئذ ، ان عتيكاً صادق فيما رواه ، ولكنــه لم يشأ ان يصدر حكمه ، قبل ان يسمع اقوال الاميرين واقوال الهدهاد نفسه ، في تلك الساعة ، وكان وتار ذمر يهم بالكلام ، فاومأ اليه بان يسكت ، وصدره يغلي من الغضب، ثم امر حجابه بان يدخلوا ناشراً وشرحبيل ، فدخل الاثنـان فقال : علينـا بالهدهاد يا عم .

Amly نهضة العرب

قال : ليرسل الملك اليه احد الغلمان .

ــ متى رجع من مغار ؟

ــ كان في عجف يا مولاي وعاد منذ يومين .. فاشرق جبينه قائـلا : يا غلام ادع الهدهاد . وساد الصمت قاعة العرش حتى اقبل . وعند الهدهاد ، من الدهاء ، ما عند ابيه ، فهو لم يضع قدمه عند العرش حتى جثا على ركبتيه ، وقبل ثوب الملك .

فانهضه قائلا : كنت تظن يا ابن العم ان هذا العرش سيكونلابيك بعد موت ذي القرنين ، ثم لك !!

ولم يذكر بلقيس ... فاجابه الفتى دون ان يتردد : بل كنت اظن ايهـا الملك اني سأغصب سابور تـاجه ثم ازحف من ارض فارس الى الشام فأقذف بجنود قيصر الروم الى البحر .. اي شأن لابي بالعرش يا مولاي ؟

قال : اذكر ان الحظ لم يكن عوناً لك في ذهابك الى مغار .

قال : اذكر ذلك يا مولاي واكاد ابكي شرف ابي الذي لوثته الاقدار .

ــ شرف ابيك ؟

نعم ، فقد وعـد ، باسم الملك ذي القرنين ، اميراً من امراء اليمن ، بان يرسل اليه مالا يطعم به قومه ، فخانته الحادثات .

فقال في نفسه : صدق عتيك وتربة الملك .

ثم قال له : لقد سمعنا هذه الرواية الان .

قال : ان ابي كان قد امرني بان اكتمها جميع الناس ، ولكن الملك اراد ان يسمعها الساعة فالملك قبل ابي وسابوح له بكل شيء ، فجعل يقول ، وقداعجبه هذا التملق : انه حديث اهل الشرف والاخلاص ... ولكن اية صلة لحرثـة ، بوعد ابيك ؟

ــ خفت يا مولاي ان انقل المال ، مع عبدي ، فتسلبني اياه احدى العشائر ، فأراد ذو مغار ان يرسل معي بعض الجنود الى حرثه ، يحرسونه لي .

ــ وهل تعلم من هو الامير صاحب هذا المال ؟

Amly نهضة العرب

ـ جابر بن مفروق .

فقال : اجلس ، وليذكر لنا ناشر بعض ما ذكره عتيك .. لمـاذا ضربت شرحبيل يا امير ظفار ، بخنجرك المكسور ؟

ـ لاني لم ارد قتله يا مولاي ، فهو والد بلقيس ، وبلقيس امينة ولي العهد وامله ...

ـ ولكن لولا الدرعان اللتان تحفظان ظهره وصدره لخر مضرجاً بدمه .

ـ لقد كنا نعلم يا مولاي انه يلبس درعين ، ومع ذلك فالذي يضرب الصدر ليصيب الدرع ، يستطيـع ان يضرب الرأس والوجه والعنق فيقتل عـدوه ، ولكننا لم نفعل ذلك يـا مولاي بل اكتفينا بما جرى ليعلم الملك ان شرحبيل طويل العمر ...

ـ وما هو الحديث الذي جرى عند جثة الملك ؟ فوضع الفتى يده على جبينه كأنه يستعرض ذلك الموقـف الذي ذكره الملك ، ثم قال : كنا نتحدث بامر العرش يا مولاي .

ـ اذكر كلمة واحدة مما تحدثتم به .

قال : كان عتيك يقول : ان الخطر يكمن تحت قوائم عرشك اذا بقي وتار ذمر في الوجود .

ـ وكيف انتهى الامر بعد ذلك ؟

ـ بان نقص عليك ما فعله مع بلقيس فترى رأيك فيه ، فأطرق الملك ساعة طويلة يفكر في امره ، وقد عرف امير همدان ، من اختلاج عينيه ، ان صدره سينفجر بعد ذلك الاطراق .

وكان وتار ذمر خائفاً ، وكلما هم بان يبرىء نفسه ، تقف الالفـاظ ، من اضطرابه وخوفه ، عند شفتيه ، لقد عرف المسكين في تلك اللحظة ، ان أعداءه الوباء ، وانهم تهيأوا لكل امر قبل وصول الملك ، فمن الصعب ان يخـرج من موقفه ظافراً ، ولكنه عاد فذكر قوته في اليمن ، ومنزلته في الدولة ، وقام في ذهنه ان الملك لا يجسر على ان يعرض له في شيء ، الا اذا أراد ان يجعل عرشه

Amly نهضة العرب

على شفير الهوة .

ولبث ساكتاً حتى يخرج الملك عن سكوته ، غير ان الملك لم يأذن لاحد في الكلام ، بل رفع رأسه وقال لناشر : من هو الكاهن الذي يخدم الالهة في ظفار ؟

ــ هو سرح ابين يا مولاي .

ــ وهل هو كهل ام فتى ؟

ــ في ربيع العمر يا مولاي .

فقال : اكتب اليه باسم الملك ان يتعجل في مجيئه الى مأرب .

قال : سيأتي يا مولاي ليظهر خضوعه وطاعته .

ــ ولكن لا نريد ان نصبر حتى يجيء .. اكتب اليوم فنحن نريد ان نرسله الى مغار ولا نثق الا بالكهان . فابتسم عتبك ابتسامة خفية واجابه قائلا : ليذهب وتار ذمر بنفسه اذا اراد الملك .

قال : سنرسله في مهمة اخرى اصعب من هذه . ثم رفع صوته وقال : انصرفوا الان واعلموا ان الملك نسي كل شيء . اما انت يا ذا تبع فابق فنحن بحاجة اليك ، فقام الامراء وهم يقولون في انفسهم : لقد ارسلت الينا الاقدار ملكاً آخر يشبه ذا القرنين ، في كل شيء .

ولم يستطع احدهم ان يعلم ما يضمره الملك من خير وشر .

* * *

٦٤

ماذا رأيت يا ذا تبع ؟ . قالها الملك وعيناه ترسلان النار .

فقال ذو تبع : اخشى ان اذكر ما رأيت فيغضب الملك .

ــ ولكن نأمرك بهذا فلا تتردد ولا تكتمنا شيئاً .

Amly نهضة العرب

قال : رأيت مكراً وخبثاً وسمعت كذباً .

ـ ممن ؟

ـ من هذا الرجل الذي يتولى امر الكهانه في دولة حمير .

ـ اتظن انه يخدع الملك ؟

ـ بل اقسم برأسك انه لم يرد الا ان يفسد عليك امر ملكك .

ـ وتثق ببراءة شرحبيل ورفيقيه !

ـ كما اثق بالشمس التي ترسل اشعتها الى هذه القاعة .. لقد تبينت الصدق يا مولاي في حديث عتيك ، ثم لمسته في اقوال الهدهاد وناشر وكدت اخرج عن حلمي وانا بين يديك واصفع هذا الكاهن اللعين الذي يهزأ بمولاه ويعكر عليه صفو ملكه .

ـ اما نحن فقد خيل الينا ان بلقيس تطمع بالعرش !

ـ وهل سمعت يا مولاي ان المرء يطمع بشيء هو له ؟ الا تعلم بلقيس ، ان العرش هو لولي العهد وان ولي العهد سيصبح زوجها وسيدها ، ويصبح له الملك ولها ؟ أتؤثر ان تلبس التاج ملطخاً بالدماء وهي قادرة على لبسه ابيض طاهراً لا اغتصاب في امره ولا اكراه ؟ ان هذا الطمع يا مولاي لا وجود له الا في صدر وتار ذمر الذي يريد ان يبعد جميع الناس عن عرشك ليثب هو الى هذا العرش حالما تساعده الاقدار .

قال : لا تجاوز الحد في ظنونك يا ذا تبع .

ـ ولكن وتار ذمر شر الناس وستعلم يا مولاي انه لا يحبك الا على قدر حاجته اليك والى النفوذ الذي يستمده منك .

قال : لنترك الان وتار ذمر فقد نسيناه ونحن لا نريد ان نفكر فيه بعدا لان، بل قل ان هذا الرجل غير موجود وان في مأرب كاهناً آخر يخدم الالهة ويعنى بامور اليمنيين ... أفهمت ؟

ـ نعم يا مولاى .

ـ ولننظر في امر آخر يهتم له الملك اهتمامه لنفسه .. أتعلم ماذا قيل لنا في

مهرا عن بلقيس ؟
ــ وماذا قيل يا مولاي
ــ قالوا ان لبلقيس عاشقاً غير عمرو بن ذي القرنين ، وانها تبذل الجهد كله لتتربع في العرش وتجعل عاشقها زوجاً للملكة ..
فخفق قلب الفتى واجابه قائلا :
يجب ان يكون العاشق اجمل اهل زمانه لتؤثره الاميرة على اجمل فتيان اليمن وأعظمهم مقاماً .
قال : لعلها خدعت بغير الجمال .
ــ اذا كان هــذا يا مولاي فقد استهوتها العظمة والشرف وليس في العرب رجل اعز منك واشرف نسباً .
ــ اذن فالرجال الذين يعيشون في ظلنا لا يسمعوننا غير الاكاذيب !
ــ اتعني جميع من حولك يا مولاي ام وتار ذمر نفسه ؟
ــ هو وسواه فقد قل وجود المخلصين في هذا الزمان ... الا يخطر لك ايها الهمداني ان الملك يعرف ما في صدور رجــاله ، من حب وبغض ، وصراحة وخبث ، واخلاص ورياء ، فخاطب نفسه قائلا : يخطر لي انك لا تعرف شيئاً ايها الملك ولا تبالي بشيء .. وقال له :
بل اعلم يا مولاي انك تعرف ما تعرفه الالهة والويل لمن يظهر لك الطاعة وهو يضمر العصيــان .. ولكن كيف ذكروا لــك يا مولاي ما ذكروه عن بلقيس وانت تعلم اي خفقان يخفق قلبها على الغرام ؟! .
قال : الملك لا يعلم من امر بلقيس الا ما تصفونه له .
قال : يظهر انها تكاد تذوب غراماً يا مولاي !
ــ ومن قال لك ذلك ؟
ــ عتيك امير نحلة .
ــ اليوم ؟
ــ نعم في هذا الصباح عندما كان الناس يهتفون لك في هذه القاعة ويجثون

Amly نهضة العرب

عند قدميك ..

ــ اعد علينا قوله .

ــ لقد بكت بلقيس يا مولاي عندما نقلوا اليها ان اباك الملك اوصى بجعل الزواج في العام المقبل .! فأطل هواه من عينيه وجعل يقول : ما سمعنا منذ تركنا مهرة ،خبراً يعيد البهجة الى القلب مثل خبرك اتقول ان امير نحلة قص عليك هذا؟

ــ اجل يا مولاي وكان ابوها يقول لها : لقد جعلني الملك شاهداً فلا حيلة لي في رد وصيته .

قال : سنستعيد هذا القول من فم شرحبيل نفسه ، ولكن ماذا نستطيع ان نفعل بوصية الملك والامر كما ذكرت ؟

ــ لا تستطيع اليمن كلها ان تفعل شيئاً يا مولاي .. ان الكلمة التي ينطق بها الملك المائت تخرج من فم الاله .

ــ واذا رأينا ان نمحو ، بامرنا ، هذه الكلمة ؟

ــ يثور الكهان والامراء في جميع الاقاليم ، بل تثور العرب كلهـــا من الشام الى الحبشة ، وتردد الالسنة في كل قطر ان الملك عمـــراً بن ذي القرنين انتهك حرمة ابيه .

قال : سنفعل ذلك ولا نبالي اذا رضيت بلقيس .

ــ ولكنها لا ترضى يا مولاي فأبوها من الاشراف بل هو من سلالة حمير ، وسليل الملوك لا ينتهك حرمة الملوك !

قال : يصعب على الملك ان يصبر مكرها على امر ، وهو سيد اليمن .

ــ اما انا فأرى ان تصبر يا مولاي،لان بلقيس لك ، وستبقى على عهدك ما بقيت لا يغيرهـــا شيء .. ألم ينقل اليك ما فعله سابور قاهر العرب ، بعد موت ابيه ؟ لقد لبس تاجه ، ثم خرج وهو متوج الى القبر ، واقسم لابيه النائم تحت التراب انه سيحترم وصيته ويفتك باعدائه .. وافعل انت مثله يا مولاي ،اخرج الى قبر ذي القرنين وخاطب الملك الذي يرقد فيه قائلا له :

ليعلم العالم كـــله اني اقدس الكلمة التي لفظتها شفتاك قبل ان يغمض الموت

عينيك واني سأكون جلاداً لاولئك الرجال الذين هم اعداء العرش .. افعل ذلك يا مولاي ليهابك القوم ، وتعلم اليمن ان عمراً الذي خلف اباه ، لا ينسى شيئاً .

فسكت الملك سكوت تردد وضعف وقال له : لم يقل لنا احد ان ولي العهد يزور قبر ابيه ، بعد ان يصبح ملكاً .. سنفعل ذلك يا ذا تبع .. سنفعله اليوم .. وسننظر ، بالاشتراك مع شرحبيل والاميرين الاخرين في امر الزواج .

ــ ولا تنس مولاي ان تشاور وتار ذمر .

ــ قلنا لك ان وتار ذمر غير موجود .. وهذا ما اراد ان يعرفه امير همدان فقال :

ان للكاهن رأيه في الوصية يا مولاي .

ــ ولكن الملك يستطيع ان يستعين برأي سواه ..

ــ وهل وثقت يا مولاي باخلاص شرحبيل ؟

لم نثق بعد باخلاص واحد من الامراء ، كلهم خونة يبتسمون لنا برياء ، ولولا هذا الزواج الذي يعلل شرحبيل نفسه به ، لكان اول رجل يشهر السيف في وجه مولاه ، وينفخ في صدور قومه ، روح العصيان ، فقال وهو لا يريد ان يغضبه : وناشر وعتيك ؟

ــ اما ناشر فلا نشك فيه ، واما عتيك فقد قضى ايامه في البلاط وهو ساكت ، والناس لا يعرفون عنه الا ما يعرفونه عن الاموات ... ومع ذلك فقد كان يطيب له ان يرى شرحبيل على العرش . وجعل يهز صولجانه ويقول : اما وتار ذمر فالويل له .. وكاد ذلك الصولجان يصبح في يده قطعتين لشدة غضبه . فلم يعبأ الفتى بذلك الغضب ، بل كان يريد ان يقرأ جميع اسراره ، ليتدبر رفاقه الامر ، ويحتاطوا له من جميع نواحيه ولو كان غضب الملك ناراً قاتلة .

لقد عرف ذو تبع هوى ذلك العاشق وعاطفته ، ودرس حياته في خلال الشهرين اللذين قضاهما معه في مهرة فهو قادر بقوة هذا الدرس ، ان ينتزع الاسرار من صدره ، دون ان يبدو على وجهه اثر واحد من اثار رغبته . كان هادئاً في طلبه ، هادئاً في حديثه ، وذلك الاخلاص البادي في عينيه ، يدفع الملك

Amly نهضة العرب

الى الوثوق به . فلما ابصر غضب مولاه ، قابله بابتسامة هي ابتسامـــة الخضوع والاستسلام وقال : اذن قضي على كاهن اليمن .

ــ اجل وعندما تنتهـي منه يجيء دور سواه .

قال : لقد ثبت لك يا مولاي ان اولئك الامراء ابرياء فمن هو هـــذا الرجل الذي استحق غضب الملك ؟

ــ هو عتيك امير نخلة ، الذي سمعنا عنه ما نكره ، ونحن لا نعلم عن ماضيه ما يمحو حاضره . !

ــ ولكنك لم تجد عليه ذنباً يا مولاي ، نعم سأضرب عنقه بهـــذا السيف عندما يأمرني الملك بذلك ، غير اني اخشى ان يخلق موته للعرش اعداءهم اليوم انصار له . . أنسيت يا مولاي كيف كان ابوك يجاري اعداءه ويتملقهم وهو واثق بانهم لا يحبونه وليسوا اوفياء لملكه ؟ اكان ابوك يخاف الابطال في ساحات الوغى وهو الذي خاض الميادين ظافراً يبسم له النصر في كل مكان يضع فيـــه قدمه ؟ بلى يا مولاي كان يخاف شيئاً هو الثورة تستعر نارها في الاقاليم ثم تمتد الى مأرب وتسيل دماء اليمنيين .

فقاطعه قائلا : اي انك تخشى ان تخرج نخلة عن الطاعة ويجرد ابناؤها السيف . . .

ـ نعم يا مولاي وقد يخرج غيرهم كما يخرجون وتخفق اعلام الثورة في كل الفضاء . . .

قال : احذر يا ذا تبع فانت تدافع عن الرجل .

ـ بل ادافع عن الملك الذي ابذل دمي في سبيل هنائه وظفره باعدائه ، مرني يا مولاي بالموت تجد اني لا اتردد في اقتحام غمراته ليكون مولاي الملك راضياً ويمسي عرشه ثابت الاركان يهزأ بالحادثات . ثم قال : اتريد يا مولاى ان اخرج الساعة الى الرواق فاقتل شرحبيل وعتيكاً وامسح السيف بثوبيهما ؟

ـ بل نريد ان تقتل عتيكا وحده اذا طاب لك القتل الان .

فنهض قائلا : أأفعل ؟ ومد يده الى سيفه .

Amly نهضة العرب

فابتسم وقال : لقد عرفنا من قبل انك تتصدى للموت حتى لا تصل يده الى مولاك كما فعلت في ميدان مهرة .. انك وفي للملك وطائع له .. ولكنك لم تخف ان يموت وتار ذمر وهو الكاهن الاعظم ، كما خفت ان يموت عتيك وهو أمير !

ـــ ان وراء عتيك مخلافاً فيه الجيوش يا مولاي .

ـــ ووراء وتار ذمر كهاناً يملأون المخاليف .

ـــ ولكنهم لم يكونوا قط من رجال السيف .

ـــ بل كانوا اصحاب نفوذ يوغرون الصدور عندما يشاؤون .

ـــ اما النفوذ يا مولاي فلا يملك احد منه شيئاً وانت ملك حمير ، الا تعلم يا مولاي ان هؤلاء الكهان يأخذون نفوذهم من صاحب السلطان الاكبر الذي هو الملك ؟.

اذن نأمر بقتل وتار ذمر ولا نبالي ؟

ـــ اذا اراد الملك ان يفعل فهذا السيف يخمد اصوات الكهان الى الابد ، ومع ذلك فـــأنا اضمن لمولاي انه لا يرتفع لاحدهم صوت بعد موت سيدهم وتار ذمر .

قال : سنأمر بقتله بعـــد حين وليبق عتيك .. انك انقذت حياتنا من سيف ذلك الحبشي فنحن ننقذ لك حياة من تشاء .. ولكن لاتنس ان تضمن اخلاص صاحبك اذا اردت ان يعيش .

قال : وهبت لي حياته يا مولاي ؟

ـــ اجل فليتآمر على الملك ما طابت له المؤامرات ، ونهض عن العرش وهو يقول : نسألك الان عن الحب الذي يملأ هذا القلب ، الا يستطيع ان يرى من يحب ؟

ـ وكيف لا يستطيع ذلك والعالم كله بين يديه ؟

ـ واين نرى بلقيس وهي في قصر ابيها لا تخرج منه ؟

ـ في هذا القصر نفسه يا مولاي ؟

ـ ولكن يقولون ان الملك لا يزور احداً .

Amly نهضة العرب

ـ بل يزور من يشاء عندما يشاء .
ـ وهل تجيء بلقيس الى البلاط اذا دعوناها اليه ؟
ـ لا اظن يا مولاي فالاميرة مثل بلقيس لا تدخل بلاط الملك الا عندما يصبح هذا البلاط ملكاً لها كما تعلم ، وما الذي يمنعك يا مولاي من الذهاب الى قصر شرحبيل وشرحبيل ابن عمك وهو سيد النبلاء ؟ فاستند الى عرشه قائلا : ادع شرحبيل وناشراً فقد نسينا الان كل شيء وسننظر في امر هذا الحب ليس غير .
ـ وهل عولت على الصبر الى العام المقبل يا مولاي .
ـ سنصبر اذا كان لا بد لنا من الصبر . . فخرج الفتى الى الاروقة ، لينقل الى الامراء بشرى الحكم بالموت على وتار ذمر ، والعفو عن عتيك ، ورغبة الملك في تأجيل الزواج ، وقد عاد الامل الى صدور القوم عندما سمعوا تلك البشرى ، ومشى شرحبيل وناشر وراء الأمير ليمثلا من جديد بين يدي الملك المستسلم لهواه ، وكانت الابتسامة في تلك الساعة تغمر ثغره المقدس وقد صبغ الغرام وجهه بلونه العجيب الفتان .

* * *

٦٥

قرأ ذو مغار كتاب شرحبيل الذي يحمله نائل ، والدهشة تملأ نفسه ، وهو لا يصدق ان امل ابن يعفر بالملك قد ضاع ، وكيف يضيع ذلك الامل وقد هيأ له القوم كل شيء ؟ بل كيف تخسر بلقيس العرش وقد كادت الايدي القوية ان ترفعها اليه ؟؟ ان في القضية اذن واحداً من امرين ، اما ان تكون هنالك خيانة فضحت الاسرار ، واما ان تكون قوة غريبة جديدة ، خلقها القدر لعمرو بن ذي القرنين ووهبها له الزمان !

Amly نهضة العرب

ولولا ذلك لما تراجع شرحبيل ومن معه من الميدان ، ولما خطر لبلقيس ، وهي التي لا يلوى لها عود ، ان تترك الساحة .

وكانت مغار ، في ذلك الحين ، تغص بالانصار ، من براقش وبينون وما حولها من مخاليف ، على رأسهم جبار والغوث ، ينتظران قدوم الهدهاد ، فتحير ذو مغار في موقفه ، أيقول للناس انصرفوا وقد تركوا اهلهم وارضهم وتهيأوا للحرب ، ام يزحف ثائراً غازيا ليسحق الجالس على العرش ولا يسأل عن شيء! ولكن امر شرحبيل صريح لا ابهام فيه ولا الغاز ، وليس من الرأي ان يخالف الرجل الذي عاهده على الوفاء ، فيما يرد عليه منه ، فقال للغلام : ماذا جرى يا نائل في مأرب ؟

— لا تسألني عما جرى يا مولاي فانا لا اعلم شيئاً ، ولكني رأيت ان السحب السوداء تحجب وجه الافق .

قال : اذكر ما رأيت .

— رأيت مولاي الهدهاد اسيراً في عجف !

— ابن شرحبيل ؟

— نعم يا مولاي وكان ابوه قد ارسله اليك حاملا خنجره ومعه عبدان له . وقص عليه حكاية انقاذه من ذلك المضيق وذكر له تلك الرسالة التي حملها رعين من مهرة ، فقال : ليس في مهرة من يكتب الى شرحبيل غير ذي تبع ؟

— اجل يا مولاي فقد كانت الرسالة منه ويخيل الي ان يد وتار ذمر في كل ما جرى .

قال : اصبت فتلك آثار الكاهن الاعظم الذي لا يطيق ان يرتفع في اليمن رأس قبل رأسه . ودعا الغوث وجباراً فقال لهما : لقد استولى عمرو على عرش ابيه وانتهى الامر . فذعر الغوث قائلا : ومتى رجع من مهرة ؟

— انه لم يرجع بعد ولكن خائنا من مأرب مهد له سبيل الظفر باعدائه وهو بعيد ...

— ومن هو هذا ؟

Amly نهضة العرب

ـ كاهن اليمن الاعظم الذي كان عوناً لذي القرنين والتفت الى نائل قائلا: أعد حكايتك ، فأعادها الغلام ثم قال : ولكن سمعت مولاتي بلقيس تقول لامير ظفار : اصبروا فسيخسر ابن ذي القرنين العرش بعد قليل، فقال جبار بن دوير: وماذا نصنع الان يا ذا مغار فناوله رسالة شرحبيل وهو يقول : يعود الجيش الى المخاليف التي خرج منها وانصرف انا الى مأرب كما ترى في رسـالة ابن يعفر ، فقرأها قائلا : وبعد ذلك ؟

ـ ومن يعلم ماذا يحدث بعد ذلك ، ان السر في مأرب ، وسأحمل لليكما منها انهيار هذا الفشل الذي فوجئنا به .

قال: اخشى ان يتزوج الملك بلقيس، فتسكت مطامعها ومطامع ابيها وتدور الدائرة على اولئك الانصار الذين حملوا السيف للدفاع عنهما !

قال : لو استطاع ابن ذي القرنين ان يهب لبلقيس تاج سابور لما رضيت به، انها تريد ان تكون هي الملكة ، ويكون الفتى الذي تختاره زوجاً لها خاضعاً لسلطانها كما يخضع له كل يمني .

ـ وهل انت واثق بهذا ؟

ـ نعم واضمن لكما ان الحادثات لاتستطيع ان تمحو حرفاً واحداً مما كتبه شرحبيل بن عمرو .

ـ اذن فنحن باقون على عهده حتى يرد علينا خبر آخر منه .

ـ وماذا تفعل اذا سكتت المطامع التي ذكرت ؟

ـ تستيقظ في صدري وصدر الغوث مطامع اخرى لا تسكت .

ـ أتجرد السيف يا جبار في وجه الملك ؟

فأجابه الغوث قائلا : بل نجرده في وجه كل يمني ، يطيع ابن ذي القرنين ولو كان شرحبيل نفسه !

ـ اي ان براقش وبينون لا تعترفان بعمرو ؟

ـ لا ، وسيخرج من براقش علم العصيان ثم يخفق في كل فضاء حتى يصل الى مأرب وهو يظلل الالوف من رجال الحرب ... اتظن ان بني سعد ينسون شرفهم

Amly نهضة العرب

الذي داسه الملك قبل موته ويعترفون بولده ملكاً ؟

ــ ولكن تعدني انك لا تفعل شيئاً قبل ان اعود .

ــ اعدك بهذا وليعلم شرحبيل اننا خصوم له اذا اصبح هو عوناً لملكه .

ــ قال : وسيكون ذو مغار نفسه خصماً له اذا فعل ذلك .

ــ اذن فقد تعاهدنا من جديد ... متى تعود انت ؟

ــ من يعلم فقد امكث بمأرب شهراً كاملا أعود بعده حاملا ارادة الامير التي لا تتغير بعد ذلك ، ثم قال لنائل : أما انت فخبر مولاك ان الغوث بن راهط لا يعترف بالملك اذا هو اعترف به ولا يضع قدمه في مأرب الا يوم يزحف عليها على رأس رجاله ليحطم العرش المخضب بدماء الابرياء .

قال : اذا اعترف مولاي بابن ذي القرنين كان اعترافه هزءاً به ودهاء يتبعه السيف الذي لا يغمد !

ــ ومع ذلك فلا تنس ان تقول له ما ذكرت ، وقل لبلقيس ان الضعف لا يبني الملك الذي تطمع فيه ..

ــ ان بلقيس لا تعرف ضعفاً ، ولكن بقاء مولاي الهدهاد في عجف تحت رحمة الرجلين اللذين اشتراهما وتار ذمر هو الذي ابقى العرش لصاحبه .

قال : يبقى هذا العرش اليوم ثم يسقط غداً !

ــ اجل يا مولاي وهكذا كان الامراء يقولون قبل خروجي من مأرب وهم في قصر مولاي شرحبيل ، فأراد ذو مغار عندئذ ان يسبر غور الغوث وجبار فقال : ستبذل براقش وبينون الكثير من المال ايها الامير .

ــ وكيف ذلك ؟

ــ سيرجع الجيش اليوم ثم يتهيأ للحرب من جديد وهذا هو البذل .

ــ ولكن الذي يحارب الملوك لا يسأل عن الذهب ... ان في براقش وبينون من المال ما لا يوجد مثله في بلاط ذي القرنين .

فقال لنائل : انقل ايها الغلام ما سمعت ، ولتثق بلقيس بان الغوث وجباراً هما الرجلان اللذان سيرفعانها الى العرش .

Amly نهضة العرب

فقال جبار : والآن ؟ فأجابه قائلا : اما الان فلم يبق الا ان ينصرف الجند.

ـ اليوم ؟

ـ نعم اليوم فقد يخطر لعمرو ، عند وصوله الى مأرب ان يرسل الى مغار من يحمل اليه اخبارها .

ـ وهل تظن ان شرحبيل أراد ذلك ؟

ـ اجل وهذا معنى رسالته التي قرأت .

فنهض الاميران وهما يقولان : ليبعث الملك من يشاء فهو لا يجد في مغـار جندياً واحداً بعد هذا اليوم ، وخرجا ، ثم تبعهما ذو مغار ونائل ، وطافت الغلمان بين الصفوف تحمل امر الاميرين بالرحيل ، في ذلك الليل ، ولم يطلع صباح اليوم الثاني ، حتى كان الجيشان في طريقهما الى براقش وبينون ، ولم يبق في مغار ، غير رجالها الاشداء ، فقال ذو مغار عندئذ لرسول شرحبيل : ارجع انت الان وقل للامير اني ذاهب اليه ، فانصرف نائل ، وفي تلك الساعة نفسها كان الامير يتهيأ للرحيل الى مأرب ، لينظر مع القوم من جديد في امر الحرب .

* * *

٦٦

عندما اصبح الامراء في قاعة العرش ، نهض الملك قائلا لهم : امكثوا هنـا فسأعود بعد ساعة ! قالها ولم يتردد في الخروج .

فقال ناشر : ان في خروج الملك الان سرا من الاسرار .

فقال ذو تبع : ليفعل ما يطيب له ولتكن حياته كلها اسراراً فنحن لا نعبأ بما يصنع .

فهم بان يخرج وراءه ليتبين امره ، فمنعه الفتى قائلا :

لا تمازح الاسد يا ناشر فهو لا يحب المزاح . ولكن الملك لم يلبث حتى عاد

Amly نهضة العرب

وهو يقول لشرحبيل : لقد ثبت لنا الان يا عم - من ناحية واحدة - انك تحب الملك وتطيعه . ولكن بقيت هنالك ناحية أخرى لم نعلم عنها شيئاً .

ــ ما هي يا مولاي ؟

ــ سنقولها لك بعد حين !

ــ بل أسأل مولاي الملك ان يذكرهـــا الساعة لاثبت له امام امرائه اني اشد وفاء له من جميع اليمنيين !

ــ ولكننا سنعرف هذا الوفاء دون ان نسألك .

قال : كلمة واحدة يا مولاي .

فابتسم وقال : يريد الملك ان يسمع باذنه ويرى بعينه ، جميـــع ما جرى في مأرب وهو بعيد عنها .

ــ اجمع اهل مأرب كلهم تعلم كل شيء .

قال : لقد جرت بعض الحادثات خـــارج مأرب فأطرق ملياً ثم قال : يخيل الي اني عرفت ما اراده مولاي . أتأذن لي في القول ؟ ــ افعل .

فقال : بقيت مغار التي قيل للملك ان فيها اعداء عرشه أليس كذلك ؟

ــ ثم ماذا ؟

ــ وقد احببت ان تبعث اليها احد رجالك لترى اذا كان وتار ذمر صادقاً فيما نقله اليك . فابتسم مرة ثانية ولم يجب .

فقال : ولكني اقول لك من الان انه كاذب وسيرى رسولك الى مغار ان صاحبها من اخلص الناس لمولاه !

ــ اما نحن فنخشى ان يجد فيها جنوداً .

ــ وماذا تصنع الجنود في ذلك الخلاف يا مولاي؟ أتظن ان شرحبيل المتمرد يجمع جيوشه في ذلك البلد النائي الذي تفصل الجبال والاودية بينه وبين مأرب ؟ وهل يطيب لي يا مولاي ان اجعل انصاري في اقصى اليمن ، وانا اريد ان اخلع مليكي عن عرشه كما يزعم وتار ذمر ؟ ! اني اسألك يا مولاي ان تجود علي بوعد لا اسألك سواه .

نهضة العرب Amly

قال : اسأل ما تشاء .

ـ اطلب ان يضرب الملك عنقي في ساحة قصره اذا كان في مغار جيش !

ـ بل نفعل غير ذلك يا عم . .

ـ وانا خاضع وراض بما تفعل ، ولكن اذا لم يجد رسولك جيشاً ؟

فادرك الملك معنى طلبه فقال : نضرب اذن عنق رجل آخر .

فقال : هذا ما التمسه من مولاي الملك فاما ان اموت او يموت وتار ذمر الكاذب الذي سعى بي . فالتفت الى ذي تبع وناشر وقال لهما : أتسمعان ؟

فقال الهمداني : وهل تعد يا مولاي بقتل وتار ذمر اذا ظهر كذبه ؟

ـ لقد وعدنا الان وانتهى الامر .

ـ اذن لم يبق الا ان يختار الملك كاهناً سواه فهو سيموت .

ـ اي انك واثق بكل ما يقوله شرحبيل

ـ نعم يا مولاي فابن عم الملك لا يكون خائنا .

ـ وماذا يقول ناشر ؟.

ـ مثلما قال ذو تبع يا مولاي وأزيد عليه ان وتار ذمر يريد ان يستأثر بنفوذ البلاط ليكون سيد اليمن .

ـ بقي ان تقول انه يطمع بتاج حمير !!

ـ لقد كرهت ان اقول هذه الكلمة يا مولاي .

قال : كـان الكاهن الاعظم ملكاً صغيراً يعيش في ظل ملك آخر هو ذو القرنين افلا يرضى بأن يبقى كما كان ؟

قال : تأبى نفسه ان يظل بدون تاج !

ـ ولكنه سيلبس تاجاً لم يلبس مثله ملك . . . ثم قال : اتركوه الان فسيأتي يوم نتحدث فيه بأمر الكهان . . . وقال لشرحبيل : اتأذن لنا يا عم ان نسألك عن بلقيس ؟.

ـ ان في سؤال الملك نعمة لآل شرحبيل !

قال : انسيت بلقيس انها عاهدت ولي العهد على الوفاء ؟.

Amly نهضة العرب

ــ وهل تستطيع يـــا مولاي ان تنسى ملكها الذي شرفها بحبه . انها كانت تلعن الحبشة التي سعرت نار الحرب وقضت بذهاب ولي العهد الى مهرة !!

قال : لقد وعدها ابن ذي القرنين بالزواج وهو ولي عهد ، ولم يعلم انــه سيعود من مهرة وهو ملك ، وحاول عندئذ ان يكون ملكاً في غرامه فلم يقدر ، فقال :

ولكن وصية ذي القرنين محت ذلك الوعد واكرهتها على الصبر عاماً آخر لم يكن لنا رأي فيه ... ماذا تقول يا عم ؟

ــ ليس لاحد ان يقول كلمته في هذا الامر غير الملك .

ــ ألم تذكر لبلقيس هذه الوصية ؟

ــ بلى يا مولاي ؛ واذكر انها بكت عندما نقلت اليها حديث ابيك وكان بكاؤها بكاء عاشقة برح بها الغرام !

فقال في نفسه : لقد صدق هؤلاء في كل ما يقولون .. واطرق ملياً ثم قال : لقد رأينا ان ننسى وصية الملك ونتزوج بعد شهر فهل ترى انت ما نراه ؟

ــ يقدر ان يفعل الملك ما يشاء دون ان يكون لاحد رأي ، ولكني اخشى ان تستخف بنا العرب وتقول : لقد انتهك ملك حمير حرمة ابيه !

ــ اذن فالملك يفعل ما تراه بلقيس وسنذهب اليها في الليل عندما ينام من في البلاط .

قال : سمعتها تقول يا مولاي انها لا تطيق البقاء في مأرب بعد وصية الملك!.

فجعل يتفرس فيه وهو يقول : والى اي بلد ترحل !

قال : قد يطيب لها ان تسير الى الحجاز وتمكث به سنة .

ــ وماذا تصنع في بلاد لا تعرف من اهلها أحداً

ــ تزور البيت الذي زرته قبلها مرتين :

ــ ولكن نساء العرب لا يفعلن ما تقول .

ــ الا تستطيع المرأة العربية ان تسجد لآلهة الكعبة كما يسجد الرجال وتنذر لها النذور كما ينذرون .

Amly نهضة العرب

ـ ومن يذهب معها الى ذلك القطر ؟

ـ انا والهدهاد يا مولاي ..!

ـ ولا يبقى في القصر احد ؟

ـ يبقى العبيد والغلمان ليس غير .

قال : اما الملك فلا يأذن لها في هذا .

قال : اشكر مولاي الملك وأسأله ان يمنعهــا من الذهاب ، فاهتز الهمداني لهذه الحكاية الجديدة التي لم يذكرها له عتيك ، .. ولكنه لم يشأ ان يقول كلمة خوفاً من ان يعثر لسانه فيفضح نفسه ، غير ان الملك لم يقف عند هذا الحد ، بل كان يقول : نصبر عاماً آخر على ان تبقى بلقيس في مأرب ، واما ان ترحل عنها الى الحجاز فهذا لا نسلم به .

فقال شرحبيل : ايريد الملك ان اتقدمه الى القصر الآن ؟

ـ لا ، بل تذهب معنا وسيتقدمنا احد الحجاب . . . وكان ذلك دهاء من الملك، فقد اراد ان يفاجىء بلقيس بذكر المؤآمرة وحديث الغرام ، وفاته انها سيدة المتآمرين وان القوم اشد دهاء منه . وقد عرف الامراء ما يعنيه ، فسكتوا وهم يهزأون ببلاهته التي يظنها دهاء . ثم قال ذو تبع : من هو رسول الملك الى مغار ؟

ـ انه معدي كرب وسيترك البلاط عند الصباح .

قال : رسول امين صادق لا يذكر الا ما يراه .

ـ وهل يطيق الملك ان يكون في بلاطه غير الامناء ؟ ان هذا الشهر يمر وسترى بعده كيف ينحي الملك الخونة ويقرب المخلصين .. ولمعت عيناه فاصبحتا مثل عيني الذئب .. وارتسمت على جبينه دلائل القسوة الوحشية التي كان يراها الناس على جبين ابيه. فايقن القوم بان ظلم الولد سينسيهم ظلم الوالد ، وان صدر ملكهم الجديد لا ينطبق على عاطفة انسان ! ! ولكنهم كانوا مكرهين على احتمال ما يرون ويسمعون والظهور بمظهر الاوفياء المخلصين ، وهم الأعداء المتآمرون .

مسكين ملك حمير ، كان غريباً في بيته ، وعدواً بين رجاله . وهو يظن انه

قادر على تقريب الاصدقاء وابعاد الخونة عن العرش ! . وكان واثقا ، كما قرأت : بذلك الامير الهمداني ثقته بنفسه ، يستشيره في شؤونـــه ويطلعه على اسراره ، و مير همدان اشد اعدائه خطراً وابعدهم عن الوفاء له ! على ان وثوقه بالاخرين الذين حوله ، كان قلقا واضطرابا ، بل كان وثـــوق الذئب « بابناء عمه » .. بل هو وثوق الرجل الذي يعد جميع المظاهر مظاهر كذب ورياء .

وقد اعمى القدر بصيرته فلم ينظر الى ذي تبع نظره الى هؤلاء ، ولم يقم في ذهنه انه سيد المتآمرين . وكانت نفسه في ذلك الحين ، نفساً ثائرة ! . ثائرة على ابيه ذي القرنين الذي قتل قبله بوصيته ، وعلى وتار ذمر الذي هزأ به ، بتلك الروايات الكاذبة التي قصها عليه ، وعلى شرحبيل بن عمرو الذي جعلته الالهة أبا لبلقيس ! وعلى ذلك الغرام نفسه ، الذي يمنعه من ارسال صواعق غضبـــه الى الرؤوس ، بل كان ثائراً على جميع اليمنيين الذين لا يعدونه الها ، وكانت نفسه ظمآنة الى الدماء . دماء المجرمين ، دماء الابرياء ، كأنه يريد ان يبدأ عهد ملكه بالترويع والقتل .

اجل ، لولا تلك العاطفة التي كان يسميها غراما ، لكان في قسوته وحشا ضاريا يفترس كل من يدنو منه ، وليس في ذلك شيء من الغرابة ، بل الغريب ان ذلك الفتى الطائش ، استطاع ان يخفي ما في نفسه ، ويكتم رجال بلاطه ، تلك الثورة التي تجيش في صدره .

كان يبتسم كأن شفتيه ألفتا الابتسام . وكان هادئا كأن الهدوء من طبعه ، واللين شيمة له . !

ولم يخطر لآلهة اليمن ، ان تنزع الحجاب عن ذلك الهدوء الكاذب ليتبين الناس ما وراءه . . . انه هدوء الليث يتحفز للوثوب . . . وانه سكون يتقدم العاصفة ! . ذلك هو الملك الجديد الذي عصب رأسه بتاج حمير ، وذلك هو اليمني الذي يجلس مع الآلهة على عرش واحد .

لقد قال له وتار ذمر ان شرحبيل وعتيكا يسعيان لينحيـــاه عن العرش ، فصدق اولاً ذلك القول ، ثم تغلغل الشك في قلبه . . ثم لمس كذب وتار ذمر

Amly نهضة العرب

يديه . . .

ولكن يكفي ان يصبح شرحبيل وعتيك متهمين ... بل يكفي ان يظن وتار ذمر ، وهو يمني ، ان في اليمن رجلا يجسر على التفكير في اغتصاب العرش .

ألم تكن تلك التهمة الكاذبة من الذنوب التي لا تغفرها الالهة !! وهل يجوز في نظر الملك العادل ... ان يبقى المتهم حيا ، وان يكن بريئا ، لا !! فوتار ذمر يجب ان يموت ، وشرحبيل وعتيك يجب ان يموتا !! ثم يبعد ناشر عن البلاط فهو فتى لا خير فيه !

ولكن الحكم لا ينفذ بشرحبيل الا عندما تصبح بلقيس داخل البلاط ، وتملأ قاعاته أنسا وبهجة !.

واما الآخرون ، فليرحل بعضهم عن مأرب ، وليحصد السيف البعض الآخر ولو ثارت اليمن ، تلك هي الفكرة الهائلة التي خطرت للملك عندما قال كلمته . وقد امتزجت تلك الفكرة بعاطفة غرامه ، كما رأيت ! غير ان تلك السحابة ما لبثت حتى اضمحلت، ورأى القوم ذلك الجبن المكفهر ،يزهو ويعود الى اشراقه. ثم سمعوه يقول : ايطيب لك يا امير ظفار ان ترافق الملك الى قصر شرحبيل في هذا الليل ؟

قال : افعل ما يأمرني به مولاي الملك .

— ولكن الملك يخشى ان تطعنه بخنجرك من الوراء ... فملأ الرعب قلب الرجل وهو يقول : ان الملك يريد ان يمازح عبده واصدق المخلصين له .. أليس كذلك يا مولاي ؟

— بلى يا ناشر بلى ، لقد اردنا المزاح ... ومع ذلك فنحن لا نخافك ولا نبالي بما تضمره لمولاك .

قال : يعلم الملك اني لم افكر الا في طاعته ، ولا اضمر له الا ما يضمره الجندي الشريف لقائده البار .. فأومأ اليه بالسكوت قائلا لشرحبيل : ليبق ناشر فلا حاجة لنا اليه وليذهب معنا ذو تبع فهو الذي انقذ حياة الملك في الميدان والملك لا يطيق ان يفارقه .. لقد جعلناك يا ناشر حارساً للبلاط حتى نعود ...

Amly نهضة العرب

اسمع . جعلناك جارساً ولم نجعلك نائباً لنـــا !! وهذا معناه ان نائب الملك يفكر كثيراً في العرش ونحن لا نريد ان تمتد الافكار الى العروش .! فرفـــع شرحبيل رأسه وقال : ألم يقل الملك اني بريء مما نسب الي ؟

ـــ اجل ولكننا نردد قول وتار ذمر الذي سعى بالابرياء .

فلم يشأ شرحبيل ان يجيب بـــل كان يقول في نفسه : الويل للرجال الذين يعيشون في ظلك يا ابن ذي القرنين . ثم ذكر الملك حديثه مع امير همدان فقال: انهضوا . فسنزور قبر ذي القرنين قبل ان تغيب الشمس ، فاجابه ذو تبع قائلا : صبراً يا مولاي حتى يتهيأ الحراس ورجال البلاط .

فقال : بل نزور قبره غداً بعد ان نسمع رأي بلقيس .. ولكن لا !! لنـــذهب الساعة ولنترك الحراس

وتقدمهم خارجا من القاعة وهو لا يلتفت الا الوراء فتبعوه وقد خفضوا الرؤوس وهم يتبادلون النظرات ، ويبتسمون ابتسامات السخرية والاستخفاف، حتى جاوز الباب الخارجي ولا موكب له ، ولا حراس حوله ، كأنه رجل من رجال البلاط ذاهب الى الصيد !

وكان القبر وراء القصر ، على قمة تشرف على مأرب من الجنوب ، وحوله طائفة من الحراس يحملون الحراب .

وتلك هي عادة من عاداتهم ، يجعلون الجنود عن جانبي القبر من الشرق والغرب ويقف قائدهم في الجانب الشمالي ، ويبقى الجنوب ممراً للامراء ، يفعلون ذلك شهراً كاملا ، ثم يعودون لينام الملك وحده في حفرته ، فلما دنا عمرو من الضريح رفع الجنود حرابهم الى العـــلاء ، ثم جثو على ركبهم امام الههم ، والعيون تنظر الى الارض .

فوضع الملك سيفه عند الباب ، كما اشار عليه شرحبيل ، وهامس ذا القرنين قائلا : نقسم اننا سنغمد هذا السيف في صدور اعدائك وسنلقي الرعب في قلوب الرجال الذين يترددون في الطاعة والخضوع لولدك .

والتفت الى الامراء وهو يقول : لقد حلفنا الان يميناً لم يحلف مثلها ذوالقرنين عند قبر ابيه ولا نزيد كلمة .

فهامسه ذو تبع : والوصية يا مولاي ؟

فقال وقد رفع رأسه : لا نذكر هذه الوصية قبل ان نرى بلقيس . فخاف الفتى ان يعدل الملك عن رأيه ، فقال له : خير للملك ان يذكرها الساعة لتردد مأرب هذه اليمين التي حلفت .

فتناول سيفه وقال : ليس في اليمن كلها من يجسر على ان يقول كلمة ! نحن اليوم نفعل ما نشاء رضيت اليمن ام لم ترض . أليس لعمرو بن ذي القرنين ، هو وارث التابعة وملك سبا وريدان وحضرموت ، ان يخاطب اباه بما يشاء ؟

فسكت الامير على غل وقلبه يضطرب في صدره ، اما هو فمشى راجعاً والزهو في بردتيه ، فلم ير القوم الا ان يمشوا مطرقين خلفه ، كما فعلوا عند مجيئه .

وكان الناظر اليه في تلك الساعة ، يحسبه في عيد .

* * *

٦٧

أملى الدهاء على الملك ان يفاجىء بلقيس في ذلك الليل ، بتلك الزيارة التي لم يذكرها لها احد ، حتى انه ابى ان يرسل اليها احد حجابه كما هي عـادة العظماء والملوك ، وقبل ان يغادر البلاط وضع يده على كتف ناشر قـائلا له : ابق مع عتيك الليلة ولكن لا تتآمر على مولاك .

وهكذا بدأ بالقاء الرعب ، دون ان يكون واثقاً بخيانة رجاله ، ودون ان يشك في امين سره الاول ورفيق صباه .

فقال ناشر : الا ترى يا مولاي ان القتل خير لي من هذا ؟ فضحك وقال : وهل تظن ان الملك لا يعرف الرجال الذين يستحقون القتل ويستحقون الحياة ؟.

Amly نهضة العرب

ابق .. واحذر ان يمسك سيف الملك عندما يخرج من غمده ! وخرج ولم يأذن له بالجواب ، وكان يمازح شرحبيل وذا تبع وهو يمشي بينهما الى ان امسوا في فناء القصر ، فقال لشرحبيل : قل لاحد عبيدك ان يخبر بلقيس وكان غرضه الا ترى بلقيس اباها قبل ان يراها هو .

ان الشك الذي تشتعل ناره في داخله لا يزول الا اذا سمع كل شيء من فم بلقيس . ففعل شرحبيل ما امره به ورفع صوته مخاطباً احد عبيده : قل لولدي ان مولانا الملك في القصر !

ولكن دهاء الملك المغرور لا يذكر مع دهاء بلقيس ، فلم ينقل اليها العبد خبر وصوله حتى عرفت غايته من هذه المفاجأة ونادت اخاها الهدهاد قائلة :

تهيأ لاستقبال تبع !.

ولم تشأ ان تقول للعبد كلمة فقد احست ان حبيبها يرافق مليكه وهذا ما تريد ان تسأل عنه ، ثم ركضت ركضاً الى قاعة الجلوس فرأت الملك واقفاً بين ابيها وذلك الحبيب ، فتلعثم لسانها بالدعاء له كأن الغرام يعقد ذلك اللسان ، اوكأنها لم تستطع ان تدفع تلك الروعة ، روعة اللقاء .

وارتجفت ركبتا ملك حمير عندما رأى ذلك المظهر الغريب الذي يدل على الجنون بالعشق ! .. ومد يده المضطربة ليهز يدها . ويلمس ذلك الهوى الجاري مع دمها ولكنها لم تلتفت اليه ، بل سجدت عند قدميه قائلة : مرحباً بمليكي الظافر الذي رقصت لظفره قلوب اليمنيين .

فانهضها قائلا : لقد اظفرتنا بلقيس باعداء اليمن ! وجعل يحدق اليها وهو يكاد يفترسها بعينيه .. ثم قال :

أكنت تظنين يا بلقيس ان عمراً يعود من مهرة وهو ملك ؟ فاجابته وهي تبتسم : الالهة ارادت ان تنظر الي .. ولكن يكفي انك عدت حيا يا مولاي .

ورفعت نظرها الى حبيبها قائلة له : اذكر ايها الامير انك صاحب همدان وقد زرت هذا القصر من قبل مع ولي العهد !

فقال الملك : اصبت يا بلقيس انه ذو تبع الهمداني وهو الذي انقذنا من

Amly نهضة العرب

الموت ولو لم يفعل لخسرت حمير ملكها .

فقالت : سلمت يد الامير المخلص للملك ، ودخل الهدهاد في تلك اللحظة وفعل كما فعلت اخته ،فأمره الملك بالنهوض ثم جلس وأومأ اليهم فجلسوا وجعل يقول ، وهو لا يعلم ما يقول : يقسم الملك بتربة ذي القرنين ان عينه لم تقع على مثل بلقيس ... وخرج غرامه عندئذ من صدره فملأ وجهه وعينيه ، وجعل لصوته نغمة اشد وقعاً في النفس من صوت المزمار .

فقالت دون ان تتردد : وانا اقسم برأس ابي اني لم ار احداً يشبه مولاي الملك .!

ــ ولكن ... قيل لنا انك تؤثرين عليه فتى آخر لا نعرف من هو ! فنظرت اليه وفي عينيها العتاب واللوم ثم قالت : لا اصدق يا مولاي ان ملك حمير نفسه يقول هذا القول .

ــ ومع ذلك فقد سمعناه ونحن نعيده الان .

ــ لقد كذب قائله .

ــ لو كنت تعرفين قائله كما يعرفه الملك لما خطر لك انه من الكاذبين .

ــ من هو يا مولاي ؟

ــ هو هذا .. وأشار الى ذو تبع !

فأيقنت انه يعبث بها ، ولكنها تظاهرت بالغضب قائلة : ومتى كان امير همدان يعلم الاسرار ويقرأ ما في القلوب يا مولاي بل كيف يجوز له ان يتحدث بأمر بلقيس وهذا الامر لا يعني غير الملك الذي له وحده ان يسأل عن ابنة عمه ..

ــ ولكن نحن الذي سألناه .

ــ اذن يأذن لي الملك ان اقول انه من الوشاة الذين لا يطيقون ان يروا المخلصين حول ملكهم .! فقال له : ماذا تقول يا ذا تبع ؟

ــ مولاي الملك يتولى عني امر الدفاع ، قالها الامير وهو لا يجسر على الابتسام فقالت : بل تدافع انت عن نفسك وتذكر الان ، ذلك الفتى الذي آثرته انا

Amly نهضة العرب

على مولاي ..! فتحير الامير في امره وجعل ينظر الى الملك والملك لا ينظر الا الى وجه بلقيس الذي يطفح جمالا ، غير ان الاميرة لم تسكت عند ذلك الحد ، بل كانت تقول : اما ان يعرف صاحب همدان بأنه كـان واشياً او يذكر اسم الرجل .

قال : لا افعل الا اذا امرني مولاي ، فاجابه الملك قائلا : اسكت فقد علم الملك ما أراد ان يعلم .

قالت : ولكني لا ارضى بهذا .

ـ اما الملك فقد رضي بما سمع وانتهى الامر ، فأطرقت ، وخيل الى الملك ان الدموع تتـلالأ في عينيها الصافيتين ، فقال والفرح يملأ نفسه : اتبكين يا بلقيس ؟

ـ وكيف لا ابكي يا مولاي وقد بدأ الوشاة ينفثون سمهم ويختلقون الاكاذيب ليبعدوا عني الرجل الذي احببت .

ـ ان امراء اليمن جميعهم اضعف من ان يغيروا رأي الملك .

ـ ولكنهم يعكرون الجو والملك ساكت عنهم وهذا يكفي .

ـ وماذا تريدين ان نصنع ؟

ـ اسأل مولاي الملك ان ينحي هؤلاء الكذبة .

قال : امير همدان بريء وقد نقل الينا رجل آخر ما خبرناك اياه الان وزاد عليه انك تطمعين بالعرش ، وانك أرسلت اخاك الهدهاد الى مغار ليدعو انصار عرشك الى حرثة ، ومنها الى مأرب ليفصلوا بيننا وبين التاج . فامست تلك الفتاة الفتانة لبؤة جرحت عزتها وانتهكت حرمتها ، وجعلت تنظر اليه بعينين ملتهبتين يلمع فيهما الغضب والكبرياء ، ثم قالت : اي عرش هذا الذي اطمع به ايهـا الملك ؟؟

فقال هادئاً : عرش حمير !

ـ ولكن عرش حمير لي ... لي انا ... ولا تستطيع فتـاة من العرب ان تسبقني اليه . ! فكاد الملك يفتح ذراعيه ليضمها الى صدره ، ان ذلك الجواب

Amly نهضة العرب

كان في نظره ، ابلغ وصف للهوى الذي تتأجج ناره في قلبها العاشق ، ولكنه تجاهل ليسمع من فمها كلمات الحب ، فقال :

اذن فانت تعترفين بما قيل .

ــ نعم اعترف بأني لا اريد ان يكون العرش لسواي ، ولكني لم اطمع به ولم افكر فيه ، بل احببت صاحبه . وطمعت بان اقيم بقصرة ، اسمع صوتــه العذب ، واری وجهه الوضاح كل يوم ، واكون له جارية صادقة مخلصة لا تبالي في حياتها الا بما يرضيه .، اتريد ان تسمع يا مولاي اعترافــاً آخر؟.. اني طمعت بالعرش ، لا لاتربع فيه ، بل لاصونه من اعدائه الذين يكيــدون له ، واطرد من البلاط اولئك الخونة الذين لا يحبــون الملك الا اذا كانت لهم وراء ذلك الحب اغراض وغايات ، وسكتت قليلا وهي ترسل الزفرات ، ثم قالت :

وكيف تستولي الفتاة مثلي على العرش الحميري اذا طمعت فيه ، أبالجيوش وانا في قصر ابي لا جيوش لي ولا قوة ، ام بالسلاح أضعه بين ايدي الجن فتحطم العروش وتغتصب التيجان ؟ ان الرجال الذين يسمع لهم الملك لا يصلحون لخدمة الملوك بل يجب ان تسفح دماؤهم على مرأى ومسمع من الناس ليهاب اليمنيون ملكهم ويعلموا ان الموت جزاء الذين ينمون ويكذبون .. فتمادى في تجاهله قائلا:

من هم هؤلاء الرجال الذين تذكرين ؟ .

ــ لا اعرف احداً منهم غير صاحب همدان الماثل بين يديك . ! اليس هو الذي قال لك ان لي جيوشاً في مغار ؟

ــ لا ، بل خبرنا اعظم رجل في اليمن بعد الملك هو وتار ذمر سيد الكهان .

ــ بل قل ايها الملك سيد الكذبة .

ــ ولكن الا تذكرين لنا غاية الهدهاد من ذهابه ؟

ــ بلى اذكرها .. انها غاية رجل شريف امره ابوك الملك بان يبــذل كل ماله في سبيل الاخلاص له ، ففعل .

قال : كفى لقد صدقنا الان والويل لكاهن مأرب .

ــ ولكنني اريد ان اقص عليك حكاية الهدهاد .

Amly نهضة العرب

ـــ لقد قصها علينا هو نفسه وقصها سواها ، فأخذت تهز رأسها وتقول : هذه اول خطوة يخطوها بعض المقربين الانذال . اني خائفة يا مولاى .

ـــ تخافين ماذا ؟

ـــ ان يسعى بي وبأبي وتار ذمر مرة اخرى فتضيع حياتي وحياته ، واستغل من غرامي الموت ، كما يموت المجرمون .

ـــ انت ؟ . نعم انا ، فالذي قدر ان يصرف عني وجه الملك في المرة الاولى يقدر ان يوغر صدره علي في المرة الثانية .

ـــ بـ هو اعجز عن ذلك يا بلقيس . لقد قال لنا كلمة لا يستطيع ان يقول سواها بعد الان وسيعرف الملك كيف يجازي الخونة ويكافيء المخلصين ، ثم هم بان يبوح لها امام القوم بما يجول في صـــدره ... ثم تردد في امره ، ولم يشأ ان يتمادى قبل ان تشرح له هواها ويسمع من فمهـــا نغمات ذلك الهـــوى ، فقال لشرحبيل : يريد الملك ان يحدث بلقيس حديثاً لا يسمعه احد ، فنهض القـــوم فخرجوا وقد خلا الجو للاثنين ، فقال : ايطيب لك الان يا بلقيس ان ننظر في امر الزواج ؟

ـــ قالت : لينس الملك اليوم هذا الزواج اذا شاء . . ـــ لماذا ؟

ـــ لان اباك ذا القرنين اوصى بان تموت عواطف العاشقين في هذا العام . . ورفعت يدها لتمسح دموعها الكاذبة .

فايقن في تلك الساعة ، بانها بكت ، عندما نقلوا اليها خبر الوصية كما قالوا له، فأجابها وهو يبتسم : ذو القرنين يوصي ، وعمرو يمحو وصيته .

ـــ ولكنك لا تقدر يا مولاي فوصية الملك امر تلفظه الالهة كما تعلم وكل كلمة يقولها عند موته تقدسها العرب .

ـــ غير اننا نغضب الالهة والعرب اذا رضيت بلقيس ولا نبالي .

ـــ مولاي ؟.

ـــ نعم ان رضى بلقيس قبل رضى الالهة .

ـــ وهل تأمر بان يكون الزواج بعد شهر ؟

Amly نهضة العرب

ــ بل نأمر بان يكون الليلة ، بل الان ، فقولي كلمتك .

فقالت في نفسها : لقد انت الساعة التي نستأثر فيها بارادة هذا المغرور وعقله ثم قالت له : أما انا فلا اريد الا ان اصبح زوجة لك .

ــ ومتى تريدين ذلك ؟

ــ اريده الساعة ... وصبغ دم الخجل وجنتيها ، ثم اخفت تينك الوجنتين بيديها وجعلت تقول: ويل لي لقد اغضبت آلهتي ونسيت نفسي .. لا يامولاي. اني لا اريد الا ما اراده ابوك .. فلتكن مشيئته وليختنق غرامي في صدري عاماً كاملا ولو كان وراء ذلك القبر .. فحاول ان يجيب ، فاسكتته قائلة :

لا تزد يا مولاي فبلقيس لا تستطيع ان تغضب آلهتها وتجعل ملكها مضغة في الهواء العربان .

ــ ولكن الملك لا يعبأ بهذا كما قلت لك الان ، فلترقد تلك الوصية في حفرة ذي القرنين الى الابد .

ــ بل تجعل تنفيذها فاتحة ملكك ليقول الناس ان ابن ذي القرنين طعن قلبه بيده ولم يشأ ان يغضب روح ابيه .

قال : ليس لي طاقة على الصبر يا بلقيس . فهزت رأسها قائلة : وماذا تفعل بلقيس اذن ؟ ان هذا الغرام الذي تضطرم ناره في الاحشاء ليس في صدر عاشق شيء منه .. انه غرام قاتل يـــا مولاي تمر الايام والاعوام وهو باق لا تغيره الحادثات ، ومع ذلك فسأصبر .. كما يصبر الظمآن يجف المـــاء من حوله ، وكما يفعل اليائس من حياته ، عندما يجور الزمان .

فخدع الملك . ومن لا تخدعه تلك المظاهر الخلابة ، تعالجها فتاة مثل بلقيس فقال : اتحبيننا يا بلقيس مثل هذا الحب ونحن لا نعلم ؟.

ــ وهل حسبت يا مولاي ان حبي يشبه حب اولئك الرجال الذين قربتهم اليك قبل ان تتربع في العرش ؟. الا تعلم يا مولاي ان بلقيس اذا احبت ذاب قلبها مع هذا الحب وبذلت نفسها في سبيل الحبيب ؟.

قال : ان قلباً تخفق فيه هذه العاطفة لا يستطيع ان يصبر .

نهضة العرب Amly

ــ ولكن عظمة الملك ومجده قبل عاطفتي ، ولا تلمع العظمة ، ويتلالأ المجد، الا اذا احترم ملك حمير وصية ابيه .

قال : العام اطول مما تظنين .

قالت : تقدر يا مولاي ان تقضي ايامه باللهو والصيد حتى يذهب ، فتبسم لنا الحياة التي يعبس وجهها اليوم .

ــ وانت ؟

ــ اما انا فقد كنت منذ ايام بين عاملين ،عامل الشرف وعامل الغرام ، وقد انتصر شرفي على غرامي ، الآن .. لقد كدت انسى ، في هذه شرف مولاي ، فأرضى بأن أزف اليه وتداس ارادة ذي القرنين ، ولكني عـــدت الى نفسي ، وخطرت لي تلك الفكرة القاسية ؛ التي خطرت لي ليلة اغمض الموت عيني ابيك العظيم .؟

قال : ما هي ؟

فقالت وهي تتنهد : هي ان ارحل عن مأرب .

فذعر الملك وقال : لقد سمعنا اليوم من شرحبيل هذه الكلمة.. أترحل بلقيس عن مأرب ويبقى الملك فيها ؟

ــ بل ترحل والملك راض ، وكأن بلقيس لا وجود لها في اليمن !

قال : هذا حديث لا يريد الملك ان يسمعه .

قالت : لقد نذرت للآلهة يا مولاي وانتهى الامر .

قال : يظهر ان الالهة لا يطيب لها الا ان تتصدى للملك في غرامه كأنها لا تجد في اليمن احداً سواه .

ــ وما حيلة بلقيس في امر لم يكن لها فيه رأي ؟ لقد اراد ابـــوك ان اشقى عاماً كاملا فليكن ما اراد وليس للملك ان يمنعني من الاستسلام الى امر فيـــه حياتي وهناؤه .

ــ لا يهنأ الملك الا بالقرب من بلقيس .

ــ سينغص هذا القرب عيش الملك ، اني لا اطيق ان ابقى في مأرب وانا لا

استطيع الدخول الى البلاط .
ـ ولكن الملك يجيء كل يوم الى قصر بلقيس .
ـ وهذه هي اللوعة والالم يا مولاي ، اتريد ان اراك ساعة ، في كل يوم ، تحجبك جدر البلاط عن عيني ساعتين ؟ ام تريد ان تقضي ايامك كلها في قصر شرحبيل وانت ملك اليمن الذي لا ترحل الوفود من بابه ولا يستطيع ان يترك قاعة جلوسه الا اذا جن الليل ، اعلم يا مولاي اني سأعيش بالذكرى ، وانا بعيدة عنك ، وسأتعزى بذرف الدموع حتى يمر العام فأعود اليك .

وكانت في تلك الساعة، اعظم عاشقه عرفتها التواريخ .. النار على خديها .. والغرام في عينيها .. وألحان الحب الكثير الفياض تخرج من شفتيها .. فتستهوي العاشق المغرور .. واما عمرو ، فلا يستطيع قلم الوصاف ان يكتب عنـــه شيئا ، لقد كانت حاله حال ملك يجود بتاجه ليسمع كلمة ، ويبذل ملكه في سبيل تلك الساحرة التي جعلته اسير الهوى .

وقد احس في ذلك الحين ، انه ملك لا سلطان له ولا قوة ، بل احس انه عبد ذليل خاضع لبلقيس ، حسناء اليمن .

اجل ، ان ذلك الملك الجائر ، الذي تغذي نفسه فكرة الانتقـــام ، والذى يلتهب صدره عطشاً الى الدماء ، كان بين يدى بلقيس غلامـــاً سهل المراس ، مستسلماً الى عاطفة الحب الذى يخفق عليه قلبه ! ولكنه اراد ، عـــلى رغم ذلك الاستسلام ، ان يثبت وجوده بالاصرار على القول انه لا يأذن لها في الرحيل .
غير ان بلقيس لم تعبأ باصراره ، بل كانت تقول : سأذبح في هذا العام مئـــة ذبيحة للآلهة ليبقى الملك لي .
قال تستطيعين ان تفعلي ذلك وانت في مأرب .
ـ بل اذبح ذبائحي وانا عند كعبة العرب في مكة !
قال : لا تنسي انك من النساء ، والقوم في الحجاز لا يأذنـــون لنسائهم في الدخول الى الكعبة .
ـ لا يجسر القوم على ان يمنعوا النذور .. ومع ذلك فقد سمعت غـــير مرة

Amly
نهضة العرب

ان بعض نساء العرب يرافقن ازواجهن الى البيت .

قال : في مأرب هيا كل واصنام !

ــ ولكن لا يطيب لي الا ان اسجد عند قدمي هبل .

ــ واذا منعك الملك من الذهاب ؟

ــ خير له الا يفعل لانه اذا لج في طلبه خسر بلقيس !

قال : انعاهديننا على الوفاء ثم تنكثين العهد ؟

ــ لا يا مولاي ولكني اقتل نفسي وانا وفية فتخسرني الى الابد .

ــ وما الذي يدفعك الى هذا ؟

ــ يدفعني اليه امران ، اولهما اني لا اطيق فراقك لحظة واحدة وانا قريبة منك ، وثانيهما اني نذرت .

قال : لتعلن الآلهة هذه الوصية التي تفصل بين حبيبين .

ــ اما انا فاقول : لتبارك الآلهة هذه الوصية التي تحفظ للملك حمير شرفه وشرف آبائه ، اسمع يا مولاي الا تريد ان تكون بلقيس زوجة الملك ؟

ــ لا نريد غير ذلك .

ــ اذن دعني اذهب الى حيث اشاء ، لتغمرك الآلهة بفيض من النعم ، وتجلس على العرش طاهر العرض عالي الجبين .

قال : نخشى ان تذهبي فيتغير الملك على جميع من حوله من الرجال والغلمان.

ــ لماذا يا مولاي ؟

ــ لانه ظمآن الى الدماء وهذا الوجه الفتان وحده ، يخمد النار التي تحرق حشاءه .. فنظرت اليه ، فاذا عيناه مخضبتان بالدماء .. فدبت قشعريرة الخوف في جسم بلقيس .. ان عاشقها نمر شرس يلبس ، في غرامه ثوب انسان . . . ولكنها ابتسمت قائلة : ومن هم الذين حولك يا مولاي ؟ هم ذو تبع امير همدان النمام الذي اراد ان يحول وجه الملك عن بلقيس .. وامير ظفار الذي كنت اسمع من قبل انه اصدق الامراء في خدمة ولي العهد ، وعتيك بن روضة الذى قضى في بلاطك الاعوام ساكتاً هادئاً لا يقول كلمة .. ووتار ذمر الذي شرفني بتلك

Amly نهضة العرب

التهمة الغريبة تهمة طمعي بعرش الملك . هؤلاء هم الرجـــال الذين هم وزراء الملك واعوانه .. ولكن لا ، فقد بقي معدي كرب وعبد شمس اللذان لم ار لهما وجهاً . اذن فليتغير الملك على جميع من ذكرت فانا لا ابالي ، بل ليقتل منهم من يشاء وليبق من يشاء الا ابي الذى ارجو ان تحفظ حياته ، كي لا تزف بلقيس الى قاتل ابيها فتقول العرب انها الفتاة للتي لا كرامة لها ولا شرف .. نعم يا مولاي لك ان تضع النطع في ساحة مأرب وتطرح بين يدى الجلاد امراء اليمن كلهم واحداً بعد واحد .. بل لك ان تملأ السوق جثثاً ، وتجري الدماء حول قصرك انهاراً ان كل هذا لا يغير بلقيس ولا يبعد هذا القلب عن الملك قيد ذراع ... وجعلت تحدق اليه وتقول : اجل اشرب دماء اليمنيين يا مولاي .. وكن سفاحاً تهاب اليمن ان تنظر الى وجهه ، وانزع اكتاف الابرياء كما فعل سابور الفارسي. بل ابن القصور من جماجم البشر وارفع أبراجها الى السحاب ان كل هذا لا يمنع بلقيس ابنة عمك من ان تبقى لك ... فاشرق جبين الملك لهذا الاعتراف البليغ الصريح الذى املاه الغرام ، ثم ارتجفت شفتاه .. ثم نسي نفسه ... فجثا على ركبتيه وجعل يقبل ثوبها كما تقبل الرعية ذيل ردائه .. فتراجعت الى الوراء قائلة : مولاي الملك ماذا تفعل .

قال : نجثو عند قدمي الحبيبة الساحرة ملكة حمير ، ونخضع لها كما تخضع لنا اليمن .. فخافت ان يتمادى في وصف غرامه .. فقالت له : انهض يا مولاي فالملك لا يسجد لجاريتـــه ولا يخفض رأسه الا لتاجه الذهبي الذي تركـــه له التبابعة العظماء .

قال : انك يا بلقيس أعز علينا من التاج ..

ــ انهض يا مولاي فقد يمر بالرواق احد الغلمان ، فيرى سيد اليمن يخاطب عبدته وهو ساجد لها ..

قال : سأدعو صاحب همدان وشرحبيل فأقول لهما : انظر ماذا يفعل الحب بالملوك ...

ــ : ولكن الملوك لا يبوحون بحبهم لجميع الناس بل يعترفون به في ساعات

Amly نهضة العرب

تشبه هذه الساعة .. بوكانت متحـــيرة في امر هذا الملك الذي تعقب عاطفة غرامه ، عاطفة انتقامه وتجيء مظاهر انسانيته ، وراء مظاهر الوحشية التي تتجلى في وجهه وعينيه . ثم قالت : اي رجل من رجالك يستحق الموت ؟ وهي تريد ان تعلم جميع اسراره قبل ان يخرج من القصر .

فنهض عندئذ ، وقد تجهم وجهه ، واختفى غرامه ، واخذ يقول : سلبدأ بوتار ذمر الكاذب الذي استخف بسيده .

ـ أتقتله يا مولاي .

ـ أجل ، وكما نقتل العبد الخائن الذي يزعزع اركان العرش .

قالت : لا تنس ان في البلاط طوائف كثيرة من الكهان ، يتبعها جيش من أبناء اليمن هم انصار له ، فضحك ضحك الساخر الهازىء وأجابها قائلا : ان اليمن كلها ، لاتستطيع ، اذا اجتمعت ، ان تقف في وجه عمرو بن ذي القرنين.

ـ يكفي ان تستبدله بسواه وتبعده عن البلاط .

ـ بل نريد ان نقذف بكل خائن الى هوة الموت لننشر الذعر في الاقاليـم ونملأ قلوب الناس خوفاً ورعباً ؟. فتمادت في الدهاء قائلة : الا يهب لي الملك حياة هذا الكاهن ؟

فقطب حاجبيه وقال : نفعل على ان تنسي مكة وتوافقي الملك في قضيـة الزواج .

ـ لو كان الامر في يدي لما ترددت في الطاعـة .. اني لا استطيع ذلك يا مولاي .

ـ والملك لا يستطيع ان يهب لك حياة وتار ذمر .

ـ وماذا تصنع بعد ان ينتهي امره ؟ فقال بهدوء : نعمد الى عتيك بن روضة فنضرب عنقه .. فأجابته بمثل هدوئه دون ان يطرف لها جفن : وهل خـان عتيك الملك ؟

ـ قالوا انه خائن وهذا يكفي .

ـ كذلك قيل لك يا مولاي ان بلقيس وأباها يخونان .

Amly نهضة العرب

قال : ليس لعتيك جمال مثل جمال بلقيس ، وثغر مثل ثغرها ... فعرفت ان غرام ذلك العاشق غريب في نوعه ، فقالت : اذن قضي عليه يا مولاي .

— نعم وليس هنالك من يمنع سيف الملك من السقوط على رأسه ، ثم قال: وفي البلاط رجل آخر يستحق الموت .. ولكن الملك يذكر ان هذا الرجل كان خادماً له .

— من هو يا مولاي ؟

— امير ظفار .

فرددت : امير ظفار ؟ انه من اقرب الناس الى صاحب التاج .

— لقد كان كذلك قبل ان يصبح عمرو ملكاً .

— قلت لك يا مولاي ان جميع الناس يقولون عنه انه اشد اخلاصاً للعرش من جميع الامراء المقيمين بالبلاط .

— لو كان صادقاً لما تآمر مع ذي القرنين ووتار ذمر على شرحبيل الذي هو والد بلقيس ،ولما سلح بالاشتراك مع عتيك ، يد الغلام عباد ، ليقتل بلقيس نفسها في ظلام الليل

— اما انا فقد عفوت .

— واما الملك فقد عفا عن حياته ، ولكنه لم ينس ذنبه ، فخير له ان نسلبه امارة ظفار ، ونطرده من اليمن ، من ان يموت .

قالت : بل الموت خير من هذا .

— وكيف يهاب القوم ملكهم ويخشون غضبه ؟ ان السيف وحده جزاء الخونة فليشكر امير ظفار ملكه على هذه النعمه .

قالت : والاخرون يا مولاي ، وخفق فؤادها خوفاً على ذي تبع .

فقال : ليس بين الآخرين من يخون الملك ... ان معدي كرب وعبد شمس كانا في طليعة الجيوش التي هزمت الحبشة ، وصاحب همدان كان رفيقاً للملك في ساحة القتال وهو الذي انقذه من السيف .

— ولكنه نمام وانا اخافه على غرامي .

Amly نهضة العرب

ـــ قلنا لك بريء وقد اردنا بما ذكرناه عنه ، ان نعبث به •• آه يا بلقيس ان امراً هائلا يشغل بال الملك ولكنه لا يجسر على المضي فيه •

قالت : ابن ذي القرنين لا يخاف شيئاً •

ـــ بلي ، فهو امر يقشعر له جسم بلقيس ويضطرب له القلب ! فبذلت جهدها كله لتخفي مظاهر الرعب والبغض وقالت له :

لقد عرفته يا مولاي . ان الملك كان يفكر في قتلي قبل ان يجيء الى هـــذا القصر . ولكن يجب ان تعلم يا مولاي اني استلذ الموت اذا كنت راضـــيا . ولا خير في الحياة اذا غضب علي الرجل الذي اعيش لاجله .

قال : اتظنين ايتها الحبيبة ان الملك يطعن قلبه بيده ؟ اننا لم نفكر قط فـــيما تقولين ولم يخطر لنا الا ان نعد لك تاج الملك .

ـــ اذن ماذا ؟

ـــ خطر لنا ان نرسل عمنا شرحبيل الى الهوة التي يسبقـــه اليها وتار ذمر ، فخيل الى بلقيس ان ارض القاعة تنحدر الى الاعماق ، اجـــل ، ان تلك الفكرة الهائلة التي خطرت للملك الظالم خطرت لها من قبل ، وكانت تخاف ان يلجأ عمرو الى السيف قبل ان تراه ، فتخسر اباها . وتضيع الامل الذي عللت نفسها به :

ثم اصفر وجهها وتمتمت تقول : أقتل ابي يا مولاي ان شئت فاجسام اهل اليمن وارواحهم للملك ولكن ضع جثة بلقيس عند جثته فهي تؤثر الموت بعده على البقاء ساعة واحدة . آه يا مولاي ، ان في قتل شرحبيل سهمين يخترقـــان قلب الفتاة التي تخاطبك الان . سهم الردى الذي يصرعه ، وسهم الهوى الذي يخنق غرامي ويبعدني عنك . نعم يا مولاي ، يموت شرحبيل بن عمرو كما يموت سواه ، ولكن .. لا ذنب له ، ولا ذنب لهذا الحب الذي لم يبزغ فجـــره حتى خنقه الملك الحبيب بيديه ، ثم داسه بنعليه !

وكانت تحاول في تلك اللحظة ، ان تجعله مرة اخرى ، انساناً . . له شعوره وعاطفته . وساعدها الحظ في ذلك فقد سمعته يقول :

نقسم بتاج حمير ان شرحبيل سيبقى ولكن دون ان يكون له مقعد في البلاط

نهضة العرب Amly

ودون ان يكون له رأي في شؤون الملك .

قال هذا وهو واثق بانه ارضى غرامه .

فاكتفت بلقيس بما سمعت ورفعت يديها الى السماء تسأل الآلهة ان تصون عرش الملك وتحفظ حياته . ! ثم خطر للملك ان يعود من جديد الى ذكر مكة وكان يفكر في ان يمنعها من الرحيل ، ثم يخاف ، اذا فعل ، ان تقتل نفسها كما قالت ، فتحرمه الاقدار اجمل فتاة عرفتها العرب ، في ذلك الجيل ،

فقال : والآن قد عولت على الرحيل أليس كذلك ؟

— نعم يا مولاي ارحل مكرهة كأني ذاهبة الى الموت .

— وكأن في هذا الرحيل موت الملك . ومتى تذهبين ؟

— بعد شهر يا مولاي ، اي بعد ان يطمئن الملك ويرى حول عرشه الرجال الامناء الذين لا ينمون ولا يكذبون !

قال : نهب لك من الان غلامين من غلمان البلاط يذهبان معك الى مكة ويكونان عوناً لك على قضاء الحاجات ، فخافت ان ترفض هذه الهبة فيسوء ظنه فاجابته قائلة : سأذكر مولاي كلما نظرت الى غلاميه .

— ونعطيك الاموال لتبذليها لخدام الكعبة وتذبحي الذبائح الكثيرة كما تفعل الملكات . فكرهت ان تأخذ ماله ثم تخونه . فقالت : لا احتاج الى شيء من هذا يا مولاي .

— وهل كان ذو القرنين محتاجا الى مال شرحبيل عندما امره بان يحسن الى جابر بن مفروق ؟

— كان يمتحن في ذلك اخلاص ابي يا مولاي ، اما انت فقد امسيت واثقا باخلاص بلقيس وحبها اللذين ليس لهما حد .

— ومع ذلك فنحن نريد ان تخلبي الباب القوم بما تبذلين ليعرف اهل الحجاز ان الفتاة التي تعطي بدون حساب ستصبح ملكة الحميريين .

— التمس من مولاي ان يبقي ماله لابناء قومه . ان البذل يطيب لي وللك عندما أزف اليك .

Amly نهضة العرب

ــ عندنا مال نبذل منه كل يوم دون ان ينقص ، وماذا تقولين يا بلقيس اذا خطر للملك ان يزور البيت في هذا العام ؟ فذعرت قائلة : اتريد ان تفضحني بين العرب يا مولاي ، وهل يخرج الملك العربي الاكبر الى الحج مع فتاة ليست زوجة له ؟ انك لا ترضى بهذا وليس من الرأي ان تزور الكعبة قبل ان يمر العام الاول على جلوسك في العرش .

قال : تسبقينا الى مكة ثم نتبعك اليها والناس لا يعلمون شيئاً .

قالت : لقد عمدت الى السفر كي لا اراك وانت تحاول ان تلحق بي الى حيث اذهب ... كأنك تريد قتل الفتاة التي اذابها هواك .. لا يا مولاي ، اني سأبتعد عنك عاماً كاملا لا ترى في خلاله وجه بلقيس ولا تقع عين بلقيس على الملك .

فقال في نفسه والفرح يملأ قلبه : فقد اذابها الغرام كما تقول وهي تطمع بان تبرد الغليل بالبعد والاسفار .

ثم قال لها : ليكن ما تريدين ولكن الملك لا يعلم كيف يستطيع العيش وانت بعيدة عنه .

قالت : ليتعلم من هذه العاشقة كيف يجب ان يصبر . وكانت بدورها تقول في نفسها : هنيئاً لمن هو بعيد عنك ايها الظالم السفاح ، وسكتا قليلا وهما يتبادلان النظرات ، وقد قال في ذهنه . ان بلقيس « اذابها الغرام » لا تلبث حتى تعدل عن الرحيل وتستسلم اليه .

ثم قال : ليرجع القوم الان فسنحدث عمنا بما جرى .

ــ اتقول له يا مولاي انك تريد ان تقتل من حولك ؟

ــ لا ، بل نقول له ان وصية الملك ستنفذ كما هي وكما ارادت بلقيس ، واصدر أمره برجوع شرحبيل والاميرين ، فأقبلوا ، وصاحب همدان يبتسم ابتسامة اليائس الذي منعته الاقدار من ان ينظر الى حبيبته ويسمع نغمات الحب وقلب بلقيس يكاد ينقطع لوعة وغراماً .

* * *

Amly نهضة العرب

٦٨

لقد ارادت بلقيس يا عم ان يكون الزواج في العام المقبل كما أراد ذوالقرنين قبل موته .

فقال شرحبيل : ومولاي الملك ؟.

ـ وأراد الملك ان يتم القول الذي تقوله ملكة حمير ... ولكنها قصت علينا حكاية ذلك النذر الذي ذكرته لنا ونحن في البلاط وسترحل الى مكة بعد شهر وهذا ما لا نحب ، فجعل صاحب همدان يصغي الى حديث الملك وقلبه يرتجف في داخله ... ان ذلك الفراق الفجائي معناه القضاء على امله اذ لا يستطيع ان يكون بعد الان من الصابرين .

اما شرحبيل فكان يقول : مُر بلقيس بان تبقى يا مولاي وتفي بنذرها في عام آخر لانه لا يطيب لي ان احج في هذا العام .

قال : لقد انتهى هذا الامر فلننظر في أمر آخر ... ماذا تعلم عن صاحب مغار يا عم وما هو رأيك في صاحبي براقش بينون ؟.

فأدرك الاميران الشك يدب في صدر الملك ، فقال : أي امر يريد مولاي ان اصفه له ؟

ـ يريد ان تصف له اخلاص هؤلاء للعرش !

قال : اصف لك الماضي يا مولاي فقد كان ذو مغار بعيداً عن ابيك ذي القرنين ولكنه لم يضمر له قط ما يضمره الامير الخارج عن الطاعة .

ـ وما هي اسباب هذا البعد ؟

ـ لا اعلم يا مولاي فقد بقيت هذه الاسباب سراً بين الاثنين .

ـ ولكن ذا مغار لم يكن يزور البلاط ولم نره قط في مجلس الملك مع امراء المخاليف الذين كانوا يجيئون من جميع الاقطار .

ـ اصبت يا مولاي وهذا هو البعد الذي ذكرت .

ـ وكيف كان ذو القرنين ساكتاً عنه ؟

ـ أيسألني ابن ذي القرنين نفسه عن هذا وهو اعلم مني ، باغراض ابيه الملك واسرار ملكه ؟

ـ نعم نسألك عن هذا لاننا نعلم ان ذا مغار احب الناس اليك .

قال : اعترف يا مولاي اني احب ذا مغار ولكن هذا الحب لم يكن مهنياً على غاية لاحدنا بل يرجع عهده الى زمان الشهاب الذي قضيناه في مأرب ، وفي جبال اليمن ، نصيد الحيوان والطير .

ـ وماذا تقول عن حاضره ؟

ـ لا اقول غير كلمة واحدة هي انه سيكون اقرب الناس الى مولاي الملك واصدق الاشراف في الخضوع له .

ـ وكيف يقولون انه سيحمل لواء العصيان ؟

قال : اضرب يا مولاي عنق شرحبيل عندما يحمل ذو مغار هذا اللواء .

ـ اذن تضمنه يا عم وانت غير خائف ؟

ـ اجل يا مولاي ، واضمن قومه ، وكل من ينتمي اليه .

قال : اتسمعين يا بلقيس ؟

ـ نعم يا مولاي ولم يبق الان الا ان يثق الملك بما سمع .

ـ ولكن نخشى ان يضيع رأس شرحبيل بعد حين .

قالت : لو لم يكن ابي واثقاً باخلاص ذي مغار لما اقدم على هذا . ان بلقيس نفسها تضمن جميع الرجال الذين يضمنهم ابوها وتضع عنقها تحت سيف الجلاد اذا خان احدهم الملك .

قال : وماضي الغوث وجبار .

فقال شرحبيل : اما الغوث فلا اعرفه كما اعرف ذا مغار ولكني اعلم ان أباك قتل اثنين من سعد براقش دون ان يسأله فعد عمل الملك استخفافاً به وبقومه .

قال : ايريد ابن راهط ان يشاوره الملك كلما حكم على مجرم بالموت ؟ انه اذن شريكاً له في تاجه وليس له الا ان يجلس معه على سرير الملك .

Amly نهضة العرب

ــ لقد كانت هذه عادة ابيك يا مولاي .

ــ ولكنها عادة لا نرضاها ولا نريد ان يرفع احدهم رأسه الا اذا اذن له الملك في رفعه .

فمدت بلقيس اصبعها قائلة : لا اظن ان بين ملوك العرب واحداً يرضى بمثل ما كان يفعل ذو القرنين أيكون الملك في بلاطه مقيداً بارادة امــراء العشائر المنتشرين في الاقاليم ؟ لا يا مولاي انك اذا فعلت ذلك طمعت بك العــرب وقال الناس عنك ان الملك الذي يخاف قومه ولا يجسر على المضي في امر له الا اذا وافقوه فيه . وكانت غايتها ان توغر صدره ، فيثور ، وتتناقل الافــواه اخبار ثورته فيكثر خصومه .

فارتسم الغضب على جبينه وقال : نقسم بتاج حمير انه اذا خطر لاحد الامراء ان ينقل من بلده الى بلد آخر بدون اذن الملك كان الموت جزاء له .

فنظرت بلقيس الى حبيبها وابتسمت له ابتسامة خفية كأنهــا تقول له : ان ملكاً يقول هذا القول لا يثبت التاج على رأسه .

ولكن ذا تبع ، كان في تلك الساعة ، ذاهلا عن كل ما يجري حوله ، وقــد انتقل بقلبه وروحه الى مكة التي سترحل اليها بلقيس ، وهو يعد شهور العام التي ستمر دون ان يرى فاتنة لبه .

ثم تمادى الملك في غروره فقال : سنصبر الان على جفاء هــؤلاء الامراء ثم ننظر في امرهم بعد ذلك ، فضمن شرحبيل الغوث وجباراً كما ضمن ذا مغــار وهو يقول : سيرى مولاي الملك ان هذا الجفاء لا وجود له .

قال : لا يزول جفاؤهم حتى يطرحوا سيوفهم على قدمي ملكهم الجديــد ويعاهدونه على الخضوع والطاعة .

ــ وهكذا سيفعلون يا مولاي .

قال : احذر يا عم فالملك لا يعفو اذا خدعته !

ــ لقد جعلت رأسي رهنا وانا غير مكره .

ــ اذن لا بد من الصــبر شهرين اثنين حتى يقدم اصحابك ويقسموا يمين

Amly نهضة العرب

الاخلاص .

ــ بل يقدمون بعد شهر ، اي قبل ان نرحل الى الحجاز واني موجه اليهم رسولا عندما يطلع الصباح .

ــ افعل والويل لهم اذا عمدوا الى العصيان ، وكان الليل قد ذهب نصفه ، فقال لبلقيس : لقد رأينا الان ان تفي بالنذر ثم تعودين الى قضاء العام في مأرب حتى تتم وصية الملك .

ــ سأفعل ذلك اذا لم يستطع هذا القلب ان يصبر على الفراق .

فقال : قلب العاشق لا يعرف الصبر ... ونهض وهويكاد يفترسها بعينيه .

اما هي فقد عجبت لذلك الهدوء الذي أبداه في حديثه معها وعهدها انـــه الفتى الطائش الذي يستحل كل شيء ، واستطاعت ان تهامس امير همدان وهو يتبع الملك قائلة له : لن اذهب الى الحجاز ، وستنقل اليك غداً جميع الاسرار .

وخرج الملك من القصر ، وهو يفكر في تلك الحسناء الساحرة التي جعلتـــه أسير الهوى ، ويلعن في سره ، وصية ذي القرنين .

* * *

٦٩

انه ملك مجنون يامولاي ... ولولا هذا الغرام الذي تختلج عاطفته في صدره ، لكان جنونه احدى عجائب الزمان .

فأجابها ابوها قائلا : وماذا نصنع الآن ؟

ــ خير لنا ان ننصح لعتيك وناشر بالفرار من بلاطـــه ، ونرحل نحن عن مأرب لنتهيأ للحرب من جديد !.

ــ ولكن الى أين ترحلين يا بلقيس ؟ لقد قلت للملك وانا في قاعة عرشه ، كما قلت له الان ، انك ستحجين مكـــة وانا لا اصدق انـــك تفكرين في هذا

Amly نهضة العرب

الحج ؟...

ــ سنذهب الى مغار يا مولاي ونقيم بها حتى تأتي ساعة الملك !

ــ ولماذا لا نبقى في مأرب الى ان تأتي هذه الساعة ؟

ــ لاننا لا نستطيع ان ندعو اليها رؤساء العشائر والملك يسمع ويرى ... ولان هنالك أمراً آخر اشد خطراً مما ذكرت .

ــ وما هو هذا الامر ؟

ــ هو ان هـــذا المجنون سيعمد الى سيفـــه بعد قليل فيضرب رقاب بعض الرجال الذين حوله ، ويبعد البعض الاخر ، ، سيتغير على جميع الناس وقد يتغير على بلقيس !

ــ ومن اين لك ان تعلمي ما يجول في صدره ؟

ــ لقد باح لي بما في نفسه ، وسيكون وتار ذمر اول رجل تزهق روحـــه ، تحت سيف الجلاد !

ــ اذن فالملك يساعد بلقيس في امرها وهو لا يعلم .

ــ بل يرضي قسوته ويبرد غليله بالدماء .

ــ وبعد وتار ذمر ؟

ــ يجيء دور عتيك بن روضة فيضعه في حفرة تجاور حفرة الكاهن الاعظم ، ثم يسلب ناشر امـــارة ظفار ويقذف به الى قطر غير القطر اليمني ، فاستولت الدهشة على شرحبيل وجعل يقول : لم تر العرب قط مثل هذا الجنون .

ــ ولكن الامر لم ينته عند هذا الحد ، فقد كان يفكر في قتل شرحبيل نفسه وجعل بلقيس بعد ذلك القتل زوجة له !

ــ ثم عدل عن رأيه ارضاء لزوجته ؟

ــ نعم ، على ان يلزم شرحبيل قصره بعد زواج ابنته دون ان يكون لـــه الحق بدخول البلاط .

قال : انها نعمة لا اغمطها ولن انسى فضل مولاي الملك . وماذا يحدث الان للدلك المسكين صاحب همدان ؟

Amly نهضة العرب

ـ لقد انقلبت الاية يا مولاي فاصبح ذو تبع اميناً لسره وموضع ثقته ، بعد ذلك الاخلاص الذي اظهره له في حرب الحبشة فانا لا اخاف الملك عليه ، ولا اظن ان يمد يده بسوء اليه .

ـ وهل يرضى هذا الامير العاشق ان تبتعدي عن مأرب ؟

ـ لقد رضي الملك بذلك ، وهو صاحب العاطفة الوثابة ، والشعور الوحشي والغرور الذي ليس له حد ، وحسبي هذا .

قال : اخشى ان يعمد الى ما لا تريدين .

ـ ماذا ؟ أيقتل نفسه ام يفر من البلاط ؟ انك ستقول له كل شيء وانا واثقة بانه سيستسلم الى مشيئة الاقدار . ثم قالت : ولكن يجب ان يحذر الملك ويخاربه في هواه .

ولم تشأ ان تصف لابيها ، تلك اللوعة التي تسود فؤادها المضطرب ، وذلك الالم الغريب الذي يتمزق له الصدر .

فقال شرحبيل : وفي اي يوم يفر عتيك وناشر ؟ ففكرت قليلا ثم قالت : يبقى عتيك حتى يدحرج رأس وتار ذمر ، ثم يعمد الى القرار في ظلام الليل لاجئاً الى مغار لانه صاحب رأي ويجب ان نستشيره في كل امر . . . اما ناشر فليبق فلا خوف عليه ، وليخرج من البلاط بعد ذلك طريداً مغضوباً عليه ، وليقم باي بلد شاء .

ـ واهل ظفار ؟

ـ يأمرهم سيدهم منذ اليوم ، بان يتحفزوا للوثوب ، ويتهيأوا لحمل السيف عندما يرد عليهم امر شرحبيل بن عمرو .

قال : بقي امر آخر لم اسألك عنه .

ـ هات يا مولاي ؟

ـ كيف نستطيع الوصول الى مغار دون ان يعلم الملك ؟

فضحكت قائلة : تلبس بلقيس ثوب رجل ويلبس ابوها واخوها ثياب اهل تهامة ، ثم يسيرون في طريق الحجاز مع عبيدهم وغلامي الملك يوماً كاملا تضيع

Amly نهضة العرب

بهذه الاثار ...

ـــ واي شأن لغلامي الملك ؟

ـــ لقد وهب لي اثنين من غلمانه يرافقاني الى مكة .

فاستغرب شرحبيل امر تلك الهبة ، اما هي فاستطردت قائلة : ولكن هذين الغلامين لا يصلان الى مغار بل يموتان في واد مظلم لا تبصر ارضه نور الشمس !

قال : لنفرض ان واشيا من اهل مغار انفسهم خبر الملك اننا مقيمون بـــين قومه في ذلك الخلاف فماذا يصنع ؟

ـــ يرسل من يدعونا اليه فنقول : لا نرجع حتى ينقضي العام .

ـــ واذا ارسل جنوده ؟

ـــ نقتل اولئك الجنود وندعو الملك الى البراز في مغار .

ولكن نسيت يا مولاي ان ذا تبع باق في البلاط وانه سيبعث الينا كل شهر باخبار مليكه ، مع غلماننا الذين نتركهم في مأرب ، لهذه الغاية ، فاشرق جبينه وقال : لقد وثقت الان بالنصر فسنكون في مغار احراراً نروح ونجيء ونجمع الاتباع والانصار ، ثم ذكر حديثه مع الملك ، فقال :

لقد نسيت اني وعدت الملك باستقدام ذي مغار والاميرين الاخرين .

اما انا فلم انس ، ان ذا مغار سيصل مع نائل بعد ايام وسنرسل غداً غلاما آخر يدعو ابن راهط وابن دوير .

ولكني اخشى ان يقتل الملك الامراء الثلاثة .

قالت : لقد امسيت كثير الظنون ، وكثير الخوف يا مولاي !

قال : اخاف ثورة المجانين يا بلقيس . فلمعت عيناها وهي تقول : ستري اليمن ان ملكها المجنون في يد بلقيس تعبث به كيفما تشاء ، عندما تشاء ...

وخرجت من القاعة وهي تخاطب نفسها قائلة : صبراً ايها الحبيب ولو جار القضاء وطال الزمان .

* * *

Amly نهضة العرب

٧٠

خرج رسول شرحبيل عند الصباح حاملا امره الى الغوث وجبار ، وخرج شرحبيل نفسه من قصره ذاهباً الى البلاط ، ليقص على انصاره ، تلك الحكاية الغريبة التي قصها الملك على حبيبته ، وكان وتار ذمر قد سبقه اليه ،فهش له الملك وأجلسه عن يمينه ، وهو يمازحه ويسمعه كلمات التكريم والاحترام .

وكانت الوفود تتبع الوفود ، الى ذلك القصر العظيم الذي هزأت آثاره الباقية الى اليوم ، بالاعوام ، والاجيال ، ووتار ذمر لا يعلم شيئاً ، ولكن نفسه كانت تشعر من حين الى حين ، باضطراب لا يعرف اسبابه ، ولو استطاع ان يقرأ سطور الحكم عليه ، تلك السطور الحمراء المكتوبة في صدر الملك لفاضت نفسه وهو عند العرش .

اجل ،كان يحس ان الملك لم يطمئن الى الحديث الذي حدثه به وهو في مهرة وقد حاول غير مرة ، ان يثبت له صدقه فيما رواه ، فلم يأذن له ، غير ان القلق الذي يستولي عليه من اجل ذلك ،كان يضمحل عندما يبتسم له مولاه تلك الابتسامات الكاذبة التي تخدع الناظرين ، وكان يقوم في ذهنه ، ان عمراً لا يعرف الدهاء ، وان مظهر وجهه ، صورة لما في قلبه ، وهذا ما يحمله على الرجاء فلما وصل شرحبيل ، مد الملك يده اليه وهو يقول :

اجلس وحدث الوفود بما يطيب لك لان الملك يريد ان يخاطب الكاهن الاعظم بأمر لا يعني سواه .

فقبل الامير تلك اليد المقدسة الممدودة اليه وجعل يستقبل الناس ويحدثهم باسم الملك والملك لا ينظر الا الى كاهنه، وكان عتيك بين القوم ، وقد ايقن بان الحديث الذي يدور بين الاثنين ، حديث قتل جديد ، وجرائم ودماء .

ثم لم يلبث حتى رآهما ينظران اليه نظرات الغضب والاستهزاء .

فخفق قلبه ، وأخذ يقول في نفسه : يظهر ان ساعة عتيك بن روضة قد

Amly نهضة العرب

دلت الان .

ثم ذكر قول امير همدان : ان الملك لا يريد قتله ، فهدأ قلبه الخافق ، وارخى نظره الى الارض يصغي الى اقوال الرجلين .

ولكنه لم يستطع ان يسمع كلمة لانهما كانا يتهامسان .

غير ان شرحبيل سمع الملك يلفظ اسم عتيك، ورآه يبتسم لذلك الاسم ابتسامة غريبة معناها القضاء على صاحبه ، فلم يبال بما رأى وسمع ، بل كان يبتسم بدوره لوفود الناس ، وبينها وفد ظفار ، ويسأل رؤساءها عن حاجات قومهم وامير همدان يكتب هذه الحاجات .

وكأن الملك غير موجود ... الناس يدخلون ويخرجون وهو لا يخاطب أحداً ولا يلتفت الى احـــد ، حتى غضب القوم لكرامتهم الجريحـــة واستغربوا هذا الاستخفاف .

وقـــد ظهر ذلك الغضب على وجوه اهل ظفار ، وهمّ اشرافه ان يذكروا ذلك لاميرهم ناشر الجالس بين الامراء فأومأ اليهم ينهاهم عن الكلام ،واستطاع ان يهامس احدهم قائلا :

سأراكم بعد ساعة خارج البلاط .

وظل القوم يروحون ويجيئون كما رأيت، حتى وقف الحجاب بالباب يقولون: لقد انصرفت الوفود ولم يبق في الرواق أحد يريد الدخول .

فنهض الملك عندئذ قائلا : امكثوا هنا فقد يجيء وفد آخر . وتقدم وتار ذمر الى قاعة الشراب ، ثم لحق بهما عبد شمس .

فقال عتيك وهو يخفض صوته : الملك وكاهنه يحفران القبور للابرياء .

فاجابه شرحبيل قائلا : بل يحفرانها للمتآمرين على الملك واولهم انت !

فقال ذو تبع : لقد وعدني الملك بانه سيعفو عن عتيك ولو لمس ذنبه بيديه، اما وتار ذمر فسيموت .

ـــ ثم يموت عتيك وراءه .

ـــ ولكنه كان صريحاً في وعده وعفوه .

Amly نهضة العرب

فجعل شرحبيل يقول : لقد قال لك انه سيعفو ، ثم قال ابلقيس في الليـل الماضي انه سيقتل . فلا نستطيع الا ان نصدق قولـه لبلقيس لانه قول ملك عاشق لا يكتم حبيبته الاسرار .

واعاد عليهم حديث الملك كما روته له ابنته ، ثم نصح لعتيك بان يهرب بعد قتل وتار ذمر ، ولناشر بان يبقى خوفاً من ان يسيء الملك ظنه ببلقيس فتسوء العاقبة .

فاسود وجه عتيك في باديء الامر واطرق يفكر في امره ، ثم انطلق لسانه فقال لهم وعيناه تلمعان : كذب الملك فابن روضة لا يقتل كما يظن ثم قهقـه ضاحكاً كأن ذلك الملك يدعوه الى شرب الخمر .

اما ناشر فلم يعبأ بما يضمره له مولاه بل كان يقول : يطردني ابن ذي القرنين من هذا الباب فارجع الى اليمن من الباب الاخر وشهر في وجهه السيف .

واما ذو تبع فكانت نفسه حزينة حتى الموت ، لانه سيبقى في بلاط الملك وحده ، ولو بقيت بلقيس في مأرب لهان الامر .

وكان شرحبيل يحادثه بلسان بلقيس ويبعث الى قلبه الامل والرجاء .

* * *

٧١

مرت ايام ، كان الملك فيها يشرب الخمر مع امراء قصره كل مساء ، وكان ناشر يسقيه ، فقد تغير على حاشد ، بعد ان اصبح ملكاً ، ليس لذنب جناه ، بل لانه لم يكن يثبت على امر ، حتى امسى حاشد في القصر رجلا لا شأن له .

ألم يكن عمرو ، وهو ولي عهد ، يعد عبد شمس ومعدي كرب جاسوسين لابيه قبل موته ، ثم وثق بهما بعد موته وجعلهما اقرب الناس اليه .

لقد عرف رجال البلاط ملكهم وخبروه ، فهم لا يستغربون مظهراً مـن

Amly نهضة العرب

مظاهره الكثيرة ، ولا يبالون بما يرون .

فبينا هو يشرب ، استأذن الحجاب لمعدي كرب الذي رجع من مغار ، في ذلك المساء .

فقال لهم والكأس في يده : ادخلوه فنحن ننتظر وصوله ، فدخل الرجل وسجد له فقال : اذكر كل ما رأيت الان دون ان تخفي شيئاً . ماذا رأيت في مغار ؟

وكان شرحبيل في القاعة ، فقال معدي كرب : رأيت اهل مغار يحرثون ارضهم وليس في ذلك الخلاف رجل واحد يحمل سلاحاً ، كما قيل لك !

فشرب كأسه قائلا : واين اولئك الجنود الذين سيزحفون الى خرثة ومنها الى مأرب ليخلعوا الملك عن العرش ؟!

فأجابه شرحبيل قائلا : لقد ابتلعتهم الارض يا مولاي .

قال : بل ارتفعوا الى الغمام ... اين وتار ذمر اللعين بل اين كاهن ظفار سرح أبين ؟.. ان الملك يريد ان يرى الاثنين في هذا الليل ، وكان ناشر قد أوصى اهل ظفار بما يجب ان يفعلوه بعد ان يطرده الملك ، ودعاهم الى الهدوء ، فقال : لم يصل سرح أبين الى مأرب يا مولاي ، فخرج من صدره صوت يشبه زئير الاسد وسمعه القوم يقول :

ولكنه سيصل غداً او بعد غد .

ثم وقفت الفاظ اخرى ، همّ بان يقذف بها .. عند شفتيه ... فملأ ناشر قدحه وناوله اياه ، فجرع ما فيه قائلا : وهل خطر لك يا معدي كرب ان ترى ذا مغار ؟.

ــ اجل يا مولاي ولكني لم اره بلّ رأيت ولده غالباً .

ــ وبأي امر حدثته ؟ . سألته عن ابيه فقال : انه في ارض له وسيذهب بعد رجوعه منها الى مأرب ، ليظهر خضوعه لملك حمير !

ــ أغالب قال ذلك ؟

ــ نعم وقد اردت ان اخدعه بقولي له : لقد ابصرت جيشاً خارجاً من مغار

Amly نهضة العرب

وذاهباً الى حرثة فهزأ بي قائلا : انه اذن جيش من الجن يظهر الك ويستخفي عن عيون الناس .

ـ وكان ياسر موجوداً ؟

ـ قيل له اني في قصر اخيه ، فأقبل يرحب بي ، ويسألني ان امكث بمغار ريثما يعود اخوه .

ـ وتلك المخاليف التي مررت بها ؟

ـ مثل مغار لا سلاح فيها ولا جيش ؟

فقال : لقد اكتفينا بما سمعنا فاجلس واسقه يا ناشر فقد طابت الخمر ... وأما انتم فاشربوا جميعكم اذا اردتم ان تشاركوا الملك في افراحه ! ونظر الى ذي تبع فقال له :

قم ايها الهمداني واذهب الى قصر عمنا شرحبيل وقل لبلقيس ان معدي كرب قد عاد وان وتار ذمر أكذب الناس .فنهض الفتى وهو يشكر الخمر التي اسكرت مليكه واملت عليه ان يعهد اليه في قضاء ذلك الامر .

وخرج وهو لا يدري في اي مكان يضع قدمه .. حتى دخل القصر ووقعت العين على العين ..

وأي قلم يصف الان لقاء الحبيبين .

لقد كانت ساعة قصيرة ، شكا فيها الحبيب غرامه ، الى تلك الخبيبة القاسية التي حجب طمعها وطموحها ذلك الهوى المبرح ، عن عيني امير همدان .

وكادت بلقيس تضع بين الشكوى والنجوى ، ثم عادت الى نفسها وقصت عليه كل شيء ، ثم سألته أن ينصرف قبل ان يظن الملك الظنون ، فخرج ، وهو يظن انه يبكي ، ولكن الدموع لم تظهر في عينيه .

وكان الملك قد ارتوى من الخمر ، فلم يسأله عما فعل ، بل نهض متثاقلا ومشى يريد حجرته وتفرق القوم ، ولم يجسر شرحبيل على ان يحدث انصاره ، خوفاً من معدي كرب وعبد شمش اللذين هما على غير دعوته .

* * *

Amly نهضة العرب

٧٢

كان القضاء الغادر ، الساخر بجميع الناس ،يدفع الملك من الوراء ، بيديــه الاثنتين ، ليدحرجه عن العرش .

ان صفات الملك الحميري ، لم تكن صفات ملك يحبه شعبه ، ويفديه بالروح ، عندما يجور الزمان

اجل ، كانت الايام تمر ، وهو يزداد عطشاً الى الدماء وميــلا الى القسوة ، والظلم والجفاء ، كانوا يقولون له : هذا رجل سرق بغل جاره ، وهــذا آخر لطم جندياً من جنود الملك على خده . فيعمد الى السيف دون ان يسأل الرجلين عن الذنب ، او يبحث عن الامر ، قائلا لجلاده : اقتل الاثنين لنرى الدم جاريا على ارض هذا الرواق .

واذا نطح ثور احدهم رجلا ، او عجز يمني عن دفع بعض ما عليــه لبيت المال ، فصاحب الثور وهذا العاجز يستحقان القتل ، لا يشفع لهما احد بالنجاة ! حتى انتشر الذعر في كل بلد ، واضطربت الافكار الحرة ، وثارت النفــوس الابية ، ولكن ... وراء الجدران .

وبلقيس ! اما بلقيس فكانت توغر صدره على رعيته، وتنفخ فيه ، بقــوة الدهاء وقوة الغرام، روح التشفي والانتقام ، وهو الملك الصعب الشديدالمراس، مع كل الناس ، والرجل الضعيف العاجز مع ابنة عمه الفاتنة المحاسن ، الخلابــة الجمال .

ولم يبق لامير من امراء البلاط نفوذ سلطان ، بل لم يبق لاحدهم ظل ، مع ظله ، ووجود مع وجوده ، كأن اليمن كلهــا ملك له ، الاجســام والارواح والمال ، بين يديه الحديديتين .

وذلك كله باغراء بلقيس التي كانت تقول له كلما اجتمعا : اريد انتكون

Amly نهضة العرب

ايها الحبيب ، إله اليمن الاكبر ، لا تسقط شعرة من رؤوس اهلها الا بامرك . !
وسمع الملك واطاع ، وتغللت الثورة في النفوس .

* * *

٧٣

لم يجرؤ سرح أبين كاهن ظفار ، في باديء الامر ، على المجيء الى مأرب ، ليمثل بين يدي الملك ، انه لم يكن يعلم ما الذي يريده مولاه ، من دعوته اياه ، الى البلاط .

بلى لقد اراد من قبل ان يرأس وفد المهنئين ، ويكون اول الهاتفـين بمدح مليكه العظيم . ولكنه عدل عما هم به ، عندما بلغه الامر القاضي بسفره .

ثم اوصى وفد ظفار ، بان يستشير ناشراً في ذلك ، فدعاه ناشر مرة اخرى الى التعجل في المجيء . ولم يترك بلده الا بعد ان رجع الوفد .

فلما وصل الى البلاط ، لم يأذن له ناشر في ان يراه ، بل طلب اليـه ، ان يستأذن على الملك ، قبل ان يرى احداً . وكان الملك بين حظاياه ، فأقبل والغضب على جبينه وقال له : أأنت سرح أبين ايها الكاهن ؟

ـ نعم يا مولاي .

ـ لماذا لم تحضر وقد دعوناك ؟

ـ كنت اذبح الذبائح للآلهة لتبارك الملك !

فاشرق ذلك الجبين المكفهر والتفت الى حجابه قائلا :

ليحضر وتار ذمر الساعة وليحضر الامراء ، ودخل القاعة واومأ اليه بالدخول خفق قلب المسكين من الخوف وجعل ينظر الى جانبيه لعله يبصر أحداً فيسأله عن الذنب الذي جناه ، ورأى الملك مظاهر خوفه ، فابتسم وقال : قل لنا الان

Amly نهضة العرب

من هو الرجل الذي يصلح لامارة ظفار بعد ناشر ؟ فلم يدر المسكين ماذا يقول. غير أن الملك أعاد سؤاله وزاد عليه : لقد نحينا ناشراً عن الامارة ونحن نريد ان نستبدله بسواه .

فقال : ان في ظفار ابن عم لناشر .

ــ لا تذكر لنا ابناء عمه فقد قضي على هذا البيت !

فتردد قليلا ثم قال : وفيها ذرعة بن جباة وهو احد الاشراف الذين تهابهم ظفار .

ــ أكان في الوفد الذي جاء الينا منذ ايام ؟

ــ نعم يا مولاي وكان من رؤسائه .. ولم يقل كلمة اخرى ، لان الامراء ، وعلى رأسهم شرحبيل كانوا قد دخلوا ، ثم دخل بعدهم وتار ذمر ، وقد اصفر وجهه عندما ابصر سرح ابــين ، ولكن ، لم يقم في ذهنه قط ، كما علت ، ان الملك ، وان يكن اظلم الملوك ، يجسر على ان يستخف به .

فبدأ الملك حديثه قائلا لشرحبيل :

اتعرف سرح ابين يا عم ؟

ـ نعم يا مولاي كما اعرف معظم قومه .

ــ وهل تعلم لماذا دعاه الملك ؟

ــ لا يحق لاحد من امراء اليمن ان يعلم ما في نفس الملك .

ــ دعوناه ليجتمع مع وتار ذمر فنري ايهما افضل لكهانة اليمن !

فجحظت عينا الكاهن الاعظم وأخذ يقول :

اريد مولاي الملك انيعزلني عن الكهانة وقد ورثتها من ابائي وخدمت آلهتي خمسة عشر عاماً لم انكث لابيك عهداً ولم اخلفه ما وعدت ؟

قال : اخفض صوتك ايها الكاهن وخبرنا من جديد كيف ارسلت عبــاداً لقتل بلقيس ، امينة ولي العهد .

ــ ابوك الذي ارسله !

ــ ولماذا لم تفعل كما فعل عتيك وناشر ؟

ــ لاني لم اخن مليكي ولم أتآمر عليه وعلى ولي عهده .

ــ انذكر بعد هذه المؤآمرة وقد رأيتاها حكاية كاذبة اخترعتها نفسك ؟.

قال : لا تعجل ايها الملك فهؤلاء هم الكذبة وقد استطاعوا ان يخفوا الاثار قبل رجوعك من ميدان الحرب .

ــ ولكنهم لم يعلموا انك ستفضحهم وتسعى بهم !.

قال : لقد خطر لي خاطر يا مولاي ارجو ان تنظر فيه .

ــ انها اذن حكاية اخرى يا وتار ذمر .

ــ لا يا مولاي .. خطر لي ان ذلك الفتى الذي سمع باذنيه حكاية المؤآمرة في مهرة ، كان ايضاً من المتآمرين !

ــ ويلك من هو هذا ؟

ــ الا تذكر يا مولاي ان صاحب همدان كان في خيمتك عندما مثلت بين يديك ، ولم تشأ ان تأمره بالانصراف ؟؟. انــه شريك هؤلاء وهو الذي أرسل اليهم ليخفوا جميع الاثار .

فابتسم الهمــداني ابتـامة استخفاف ، ونظر الى مولاه ، اما الملك فقال : كانت غايةهؤلاء انيقتلوا الملك او يخلعوه عن عرشه كما تقول ، أليس كذلك ؟

ــ نعم يا مولاي .

ــ وكانت هذه الغاية نفسها ، غاية ذي تبع ؟

ــ نعم .

قال : كذبت فلو كانت هذه غايته يا لعين لتخلى عنا عندمــا هوى سيف القائد الحبشي فوق هذا الرأس ، ولما اقتحم الموت بصدره لينقذنا منه ، فخانت الالفاظ وتار ذمر وترددت في حلقه .

فقال الملك : دلنا على امر واحد يثبت هذا القول .

قال : لقد سمعت كل شي ورأيت كل شيء ، قبل ان اذهب الى عجف ، ثم الى مهرة ، ولكن الملك لم ير بعد رجوعه شيئاً مما ذكرت، فقام في ذهني ان امير همدان حذر القوم كما قلت .

Amly نهضة العرب

فهز رأسه قائلا : ولكنك لم تذكر لنا في مهرة ، ان ذا القرلـين وامراءه وانت منهم ارادوا قتل شرحبيل وبلقيس !

ــ لا يا مولاي لم افعل هذا ... لاني ...

ــ لانك ماذا ؟

ــ لاني رأيت الا ابوح لك بهذا الامر الا في مأرب .

ــ ومع ذلك فقد رجعنا اليها ولم تبح بشيء الا عندما سألناك .. والتفت الى امينه وهو يقول : انها تهمة توجه اليك يا ذا تبع .

وكانت عيناه تختلجان كأن الشك تغلل في نفسه .

فقال : ليس لي ان اقول كلمة يا مولاي فقد دافع الملك عن عبده بما يعلم عن ماضيه ، وبما يراه في حاضره .

قال : اصبت فانت البريء بين هؤلاء ، قل يا وتار ذمر اين وضعت مالك الذي جمعته من اليمن ؟

ــ ويريد الملك ان يسلبني مالي ؟

ــ بل نريد ان نعيده الى خزانة الهيكل التي تمد يدك اليها في كل حين .

فكره وتار ذمر ــ وهو سيد الكهان الذي كان ذو القرنين نفسه يستشيره في اموره ــ ان يستسلم الى الضعف فقال : ولكنه مالي ايها الملك .

ــ وهل تستطيع ان تملك شيئا ايها اللعين والملك لا يريد ؟ قل اين خبأتــه او نهدم القصر الذي جعلته مثل قصر مولاك .

فعمد الى الاستعطاف فقال : اذكر يا مولاي اني كنت اقرب الناس الى ابيك ، بل اذكر اني حملتك عــلى ذراعي وانت طفل، وان ابي كان يدعوك ابن الآلهه .

ــ لا نذكر غير امر واحد هو انك اردت ان تقتل الفتاة التي ستجلس على عرش حمير، ثم رحت تسعى بها وبابيها بعد ان نجت من الموت .

قال : اقسم بتربة ذي القرنين ورأس الملك عمرو اني كنت صادقاً فيما رويته لك ! ونحن نقسم بشرف التاج الحميري انك كاذب .. اسمع لقد ولينا مسرح أبين

Amly نهضة العرب

منذ الان امر الكهانة الاولى في اليمن، ووهبنا له قصرك وارضك واموالك وجميع ما هو لك دون ان يبقى لآلك شيء مما جمعت في حياتك !

فسجد سرح ابين قائلا : اني لا استحق هذه النعمة يا مولاي .

ولكن النار اشتعلت في صدر الكاهن المغضوب عليه وجعل يقول : لا تقدر ايها الملك ان تنزعني من منصبي لان آبائي لم يأخذوه من آبائك بل ورثوه كما ورثت ملكك .

ــ اذن تبقى لك كهانتك على رغم الملك ايها اللعين .

ــ قال : للكهان وحدهم ان يولوا سيدهم ويعزلوه .

ــ ولكنك قلت الان انك ورثت هذا المجد الذي يحيط بك .

ــ اجل ، فقد اراد الكهان ان اكون وارثا له !

ــ اما نحن فسنفعل ما يطيب لنا ولا نبالي بارثك .. ادخلوا ايها الغلمان ..

وقد تحول هدوء الملك الى جنون . بل قل رجع الوحش الى طبيعته !

فدخل الحجاب ، فقال : قيدوا هذا الرجل الذي يعد نفسه من الملوك ...

قال : احذر يا عمرو فستغضب اليمن لكرامة كاهنها وستندم بعد ايام على ما فعلت ، فقال : قيدوه فهو يهذي كما ترون .

فالتفت الكاهن الى الامراء قائلا لهم : لقد كنت امينا فقتلت ، وكنتم خونة فنجوتم من الموت ، ولكن الزمان لا يصفو لاحد في ظل هذا الفتى المجنون الذي يقتل انصاره ويبقي على اعدائه ... وقال للملك : اما انت فتستطيع ان تقتل الان ثم يقتلونك بعد ذلك .

فنهض الملك وهو يتميز غيظاً ويداه ترتجفان، واومأ الى الحجاب بان يخرجوه الى الرواق ويخرج الامراء خلفه . ثم مشى ساكتاً لا ينظر الى شيء ووتار ذمر يلعن تلك الساعة التي اظهر فيها اخلاصه لملك لا يعرف الوفاء ، حتى توسطوا الرواق الكبير الذي يؤدي الى جناح الملك فقال : عليَّ بالجلاد ، وليحضر من سكان البلاط من يشاء .

فهامس عتيك ناشراً قائلا له :

Amly نهضة العرب

سينتهي امزنا غداً او بعد غدكما انتهى امر وتارذمر، فقال ذو تبع : وسيجيء دور امين سره الذي يقول اله احب الناس اليه وأقربهم الى قلبه .

قال : الى الرحيل ، قال : مهلا وسننظر الليلة في هذا الامر .

وكان الجميع مطرقين الا الملك الذي كان يروح ويجيء ، حتى ان الكـــاهن الذي يرى الموت بعينيه ، لم يشأ ان يزيد على ما قاله كلمة واحدة فقد احب ان يموت كما يموت الابطال .

وجاء الجـــلاد .. واطلت الجواري والغلمـــان ، ثم خرج حاشد الى احدى الشرفات ينادي بأمر الملك : لقد قتل وتار ذمر خائن العرش .

فأقبل القوم حتى ملأوا الرواق ،وكان الموت قدبسط جناحيه وفصل رأس الكاهن العظيم عن جسده .!

ووقف الملك يقول : يا اهل مأرب : انظروا الى هذا الكاهن القتيل واعلموا ان كل من تحدثه النفس بخيانة الملك يقتل مثله ... ثم قال لحراسه :

احملوا جثته الى السوق ، ثم ادفنوها عند المساء خارج السور فليس في ارض مأرب موضع لقبر الخائن ، وفي لحظة واحدة فعل الحراس ما امرهم به ، وحنى القوم رؤوسهم عندما سمعوا ملكهم يلفظ خطابه القصير .. ثم تفرقوا ، والثورة في النفوس.. واللوعة في القلوب ، وهم لا يعلمون ما هو ذنب ذلك الكاهن الذي كان رأسه ثمناً له .

وعند المساء ، سدل الستار كأن وتار ذمر لم يكن موجوداً ، ولم يبق غـــير لواعج الاسى والنار المضطرمة في الصدور .

* * *

Amly نهضة العرب

٧٤

أصبح سرح ابين بين ليلة وضحاها سيد الكهان .. ولكنه كان يعلم انه عبد الملك القاسي الذي لا يجسر ان يخطو خطوة واحدة بدون اذنه ، بل كان يعلم ان كهانته اسم لا سلطان لها ولا نفوذ ، وان الاقامة بظفار ، عند هيكلها الجيل الصغير ، خير من الاقامة بمأرب عند هيكلها العظيم العجيب !

كان في ظفار حراً ، فصار في مأرب اذل من عبداً ! وكان سيدقومه فاصبح خادماً للملك ، فليت الملك لم يجد بعطفه ولم يخصه بنعمته ورضاه ، وماذا يفعل سرح ابين بعد الان ؟ ايفر ، وسيف الملك يتبعه كالظل ، وطوائف الناس ببابه؟ ام يسأل مولاه ان يولي سواه وليس بعد ذلك السؤال غير الموت ؟

خير له ان يبقى ، ويخضع لمشيئة الاله القوي القادر على كل شيء ... بل خير له ان يستسلم استسلاماً تاماً الى الطاغية الذي لا يلين ... حتى تخلق الآلهة الحادثات،وتجود بالفرج .

ذلك ما قاله له ناشر عندما انصرف من البلاط الى قصره الجديد .

وانت ترى ، ان القدر كان يخون الملك في كل ما يفعل ، فان كاهن ظفار الذي رفعه الى المنصب الاول ، اصبح عدواً له ومن المتآمرين عليه،الذين يرغبون في خلعه عن العرش ، لقد جرب الملك ان ينام ليلته فلم يقدر،ليس لان شبح الكاهن القتيل كان ماثلا أمام عينيه ، بل لان الشك في جميع رجاله ملأ نفسه ، حتى انه استلذ في آخر ليله ، فكرة رهيبة هائلة ، هي القضاء على كل امير في البلاط ، ما عدا معدي كرب وعبدشمس ،أجل ، وكان يستعيد في ذهنه تلك الكلمة التي قالها وتار ذمر في قاعة الجلوس : ان ذا تبع يماشي المتآمرين .

فالويل اذن للذي تبع اللابس لباس المخلصين !

ولكن لماذا أنقذه في الميدان ؟ بل لماذا كان خادماً له في مهرة ، يعالج جرحه، ويسهر على حياته ، وهو قادر على قتله في ظلام الليل ؟

Amly نهضة العرب

ان وتار ذمر يكذب حتى عند الموت ..!

ومع ذلك ، فليس له ان يفكر في قتل هذا الهمداني ، الا اذا شاور بلقيس !
أليست هي التي تغذي حقده، وتوغر صدره ، وتدفع وحشيته الى سفك الدماء؟
أليست هي التي أرادت ان تجعله الهاً ، مستبداً ، قاهراً يحيي ويميت بكلمة واحدة تلفظها شفتاه المقدستان .

اذن فلينظر في امر هذا الخائن الجديد ، على مهل ، بعد ان يشاور ابنة عمه صاحبة السلطان !

وتعب ملك حمير من التفكير .. فأغمض عينيه عندما بزغ الفجر ، وظل نائماً حتى استيقظت مأرب ، وطلعت الشمس .

* * *

٧٥

في تلك الليلة نفسها ، خرج شرحبيل وعتيك من البلاط ليقصا على بلقيس حكاية ذلك الحادث الذي سيهز اليمن .

وكانت تعلم من قبل ، ان وتار ذمر سيموت في ذلك اليوم ، فلم تستغرب حكايتهما ، ولم تختلج في صدرها تلك العاطفة الراقية عاطفة الرحمة والاشفاق ..

ولكن ، عندما خبرها عتيك بتلك التهمة التي وجهها الكـــاهن الى صاحب همدان ، تجهم وجهها وجعلت تقول :

هذه هي الريبة تدب في صدر الملك ، وهي لا تزول حتى يزول امير همدان من الوجود .!

قال : ولكن يد بلقيس توقف يد الجلاد عند رأسه .

ــ وهل تريد ان ادافع عن ذي تبع ليلتهب صدر الملك بنار شك جديد تحرق احشاءه وتثير جنونه ؟

Amly نهضة العرب

ــ وماذا تصنعين اذن ؟

فأطرقت ، ثم اصيبت بذهول غريب نسيت معه العرش والتاج ، واليمن ، وكل ما على الارض من عظمة ، وطموح ، وعز . فخيل الى عتيك انها نسيت نفسها فقال :

أتستطيعين يا مولاتي ان تنتزعي الريب من نفس هذا السفاح ؟ فصحت من ذهولها قائلة :

ــ لا ،فانا أخشى ان انتزعه اليوم ، ثم يعود فجأة الى تلك النفس ، في ساعة سوداء تذهب بعدها حياة الحبيب .

ــ اذن لم يبق الا ان نترك البلاط الليلة ، على ان نلتقي في مغار ، بعدشهور، او بعد اعوام !

ــ الليلة يا عتيك ؟

ــ نعم يا مولاتي فقد نستفيق عند الصباح والجلاد في الرواق .

فهزت رأسها وهي تقول : ولكن الى اين ؟

ــ اقسم لك اني لا اعلم الى اين نذهب . اترين ان نلجأ الى جابر بنمفروق صيد مذحج في اسفل نجران ؟

ــ لا ، فنجران بعيدة وبينها وبين مغار مراحل وايام .

ــ اذن نسير الى مغار نفسها فنمكث بها حتى ترحلوا اليها جميعاً .

قالت : لقد ضيعت الرأي ايها الامير .. الا تعلم ان الملك سيوجه جنوده عند الصباح الى مغار التي قيل له انها ملجأ اعدائه .

ــ وفي اي مكان نستخفي ونحن لا نثق الا بمن ذكرت ؟

فلمعت عيناها قائلة : في هذا القصر ! ونظرت الى ابيها لتسمع جوابه فقال: ليس لهم الا ان يلجأوا اليه اذ لم يبق امامهم سواه . وقال عتيك : صدقت يا مولاتي فنحن لا ننجو من الموت الا اذا حجبنا قصر شرحبيل عن العيون ... ولكن ماذا تقولين للملك ؟

قالت : دع عنك هذا فبلقيس لا تتردد في الجواب ، عن كل سؤال يوجهه

نهضة العرب Amly

اليها ملكك العاشق .. ووضعت يدها على جبينها كأنهـا نسيت امراً آخر ثم قالت : بقي ان نبحث عن رجل نجعله عينا على الملك .. ان ابي وحده لا يكفي وامير همدان سيترك البلاط .. ومعدي كرب وعبد شمس اللذان سيبقيان بين يديه هما اخبث الناس .

ــ وهل نسيت ان الملك لا يفعل امراً الا اذا كان لك رأي فيه ؟

ــ لو كان هذا صحيحاً لما كنا نحتاج الان الى احدهم . ان هذا الملك يتغير في كل ساعة .

قال : ادلك على رجل عظيم قادر هو احد الانصار .

ــ اذ كر هذا الرجل .

ــ مرح ابين .

ــ ومن يضمن وفاءه ايها الامير ؟

ــ امير ظفار نفسه فقد كان من اتباعه .

ــ ولكن الملك جعله اعظم الناس في اليمن .

ــ ومع ذلك فهو يؤثر كهانة ظفار على هذه العظمة الجوفاء التي لا يملك من امرها شيئاً .. قالت : لقد بدأ الحظ يخون الملك .. قـل لناشر ، اذا كان واثقاً به ، ان يطلعه على كل شيء ، وان يوصيه الليلة قبل مجيئه ، بكلى شيء .

قال : الا ترين ان جنود الملك وحراسه سيدخلون عند الصباح قصور مأرب واكواخها مفتشين عن الامراء الخونة الذين فروا من البلاط !

ــ بل ارى ان هؤلاء الجنود سيطلبونكم غداً في الاودية وعلى رؤوس الجبال ثم يتفرقون في كل اقليم وهم يحملون في حرابهم الموت .

ــ وهل يجرؤ المجنون على ارسال جنوده الى هذا القصر .

ــ لو طاف هو وجنوده في جميع حجراته ودهاليزه لما عثروا على احد ... ان بين السراديب التي اعدها جدنا يعفر لمثل هذه الغاية ، واحداً ينتهـي عنـد الوادي المظلم القائم جنوبي مأرب ولا يستطيع الساحر ان يتبين بابه من الخارج .

ــ اذن سنخرج عندما نشاء الخروج من هذا الباب .

ــ نعم وقد نرحل في هذين اليومين عندما يصل الغوث وذو مغار ، وجبار، ويظهرون خضوعهم لملكهم ، زوج بلقيس .

فنهض قائلا : اني راجع الان على امل ان نكون في هــذا القصر قبل ان ينقضي الهزيع الثاني من الليل .

قالت : احذروا الحراسِ ايها الامير فكلمة واحدة تقولونها لهم تبعث بنــا جميعنا الى القبر في ساعة واحدة .

ــ سلتدبر الامر فليس بين الحراس من يخطر له اننا نخون الملك ، وخرج وشرحبيل يقول لابنته : اخشى ان ينتهــي بنا الامر الى غير ما نحب .

ــ بل ينتهي كما نحب يا مولاي فقد بدأت نار الثورة تستعر في صدر القوم كما رأيت .

قال : عجباً ، لقد عاد معدي كرب من رحلته ولم يحضر ذو مغار .

ــ اظن انه يقرأ ، وهو قادم ، اسرار الامراء في المخاليف ولا يلبث حتى يجيء ، ثم يلحق بهالغوث وابن دوير ، ولم تنتظر جوابه ، بل دعت نعمىونائلة وامرتهما بان تتهيأ لاستقبال ثلاثة اضياف من الامراء .

ثم هامستهما قائلة : علي ان يبقى امر هؤلاء الاضياف غير معروف وعــلى ان تحذرا جميع الناس .

وجعلت تتمشى مع ابيها في الرواق حتى انتصف الليل واقبل الحجــاب يستأذنون لثلاثة من عبيد صنعاء .

فعرفت بلقيس ان هؤلاء العبيد امراء البلاط ، وأذن لهم في الدخول .

* * *

Amly نهضة العرب

عندما استفاق الملك من نومه ؛ بعد طلوع الشمس ، خطر له ان يداعب امير همدان ، ويعبث به، على مرأى ومسمع من القوم ، وكان معدي كرب وعبدشمس امام قاعة الجلوس ، وقد دخل شرحبيل في تلك الساعة ، ووقف حيث يقفان .

فاقبل الملك فقال: ادع رجال البلاط يا عبد شمس فقد ترون اليوم ايضاً سيف الجلاد مخضباً بالدماء .

ومشى الى القاعة وهو يقول : سنسمع يا عم اعتراف ذي تبع في بادىء الامر ثم يجيء بعد ذلك دور عتيك بن روضة .

ـ وبأي شيء يعترف الاثنان يا مولاي ؟

ـ ألم تسمع وتار ذمر يتهمه امس ؟ انه اذن شريك لكم فيما فعلتم وقد نبهكم لتتهيأوا للامر .

وضحك ضحك الساخر الذي لا يعبأ بأحد .

فقال شرحبيل : خير لك ان تقتلنا جميعنا يا مولاي ليزول هذا الشك الذي يعكر عليك صفو العيش .

ـ اما انت فقدوهبنا حياتك لبلقيس ، ! واما الاخرون فلا نظن انهم ينجون من الموت ولو كانوا ابرياء .

قالها بوقاحة لم يسبقه الى مثلها ذو القرنين ، فعض الامير على شفتيه وعمـد الى الدهاء فقال : سمعت بلقيس تقول : ان ذا تبع يستحق الموت لانه نمام يريد ان يفسد على الملك امر غرامه ! فلم يشأ الملك ان يثبت له براءتـه من هذا وهو يعلم انه بريء ، ودخل في تلك اللحظة عبد شمس وانحنى قائلا :

لم اجد احداً من الامراء يا مولاي ! .

قال : ايخرجون من البلاط بدون اذن الملك ؟

ـ لا اعلم ، كما ان الغلمان لا يعلمون .

Amly نهضة العرب

ــ ويلك وويل الغلمان .. اسأل الحراس ، فخرج ليسالهم ثم عاد والحراس معه وجعل يقول :

لم يخرجوا من البلاط كما يقول هؤلاء .

فقال : من كان يقوم منكم بباب القصر امس ايها الفتيان ؟

فأجابه أحدهم : نحن الاربعة يا مولاي .

ــ وهل تعرفون جميع من في البلاط من امراء .

ــ نعم يا مولاي .

ــ وكيف لم تر واحداً وقد خرجوا جميعاً ؟

ــ اقسم برأس الملك انه لم يخرج من الباب غير العبيد .

فقال : اجمعوا يا عبد شمس عبيد القصر الساعة ، فدعاهم فحضروا وملأوا القاعة ، فقال لرئيسهم : اي عبد منكم خرج الى مأرب في الليل الماضي ؟

فقالوا جميعهم : لم يرسلنا احد الى الخارج يا مولانا ولم نغادر البلاط قط .. واقسموا برأسه كما اقسم الحراس .

فقال : صف لنا ايها الحارس اولئك العبيد الذين رأيت .

قال : كانوا ثلاثة يا مولاي ، خرج احدهم اولا ثم تبعه الآخران وهما يحملان بضعة سيوف ! فجعل يضرب مقعده بيده والنار تنبعث من عينيه وهو يتمتم قائلا : لقد فروا ورب اليمن ، فويل لهم .

ثم قام فتناول احدى حراب الحراس واخذ يطعنهم بها وهو لا يبصر اين تقع ضربته حتى صبغت ارض القاعة وتخضب رداؤه بالدماء !

وهم يصيحون من الذعر ويثبون الى الرواق فراراً من تلك الحربة الحادة بل من تلك الصاعقة التي انقضت عليهم من سماء قاعة العرش !

ويظهر ان الدماء بردت غليله فرمى بالحربة والتفت الى شرحبيل قائلا له : أتستطيع ان تعلم معنى ذلك يا عم ؟

ــ معناه انهم خافوا غضب الملك فآثروا الفرار .

ــ والى اي بلد يفرون ؟

ـ من يعلم الى اين يا مولاي ؟ ان في مأرب رجالا كثاراً فارسل من تشاء منهم الى المخاليف واملأ بيوت مأرب جنوداً حتى تعرف الموضع الذي لجأوا اليـــه ...

ـ بل نرسل الجن فتغوص في الارض وترتفع الى السحب حتى تضع الايدي على هؤلاء الجبناء .

فقال معدي كرب : اظن انهم خرجوا في هذا الصباح ثم لا يلبثون ان يعودوا بعد قليل .

قال : اسكت ، أفلم تسمع الحراس يقولون انهم لم يروا احداً ؟ لقد صبغوا وجوههم كما يفعل اللصوص والصعاليك وتركوا قصر سيدهم كما يتركه الانذال. أما والذي جعل لحمير هذا الملك لنعلقن رؤوسهم بالحبال فوق باب مـــأرب ، ونهدمن قصورهم ونسلب اهلهم جميع ما يملكون .

وقال لمعدي كرب : قم الان ، واجعل مدينة الملك ضمن نطاق من الرجال ، وادخل بيوتها بيتاً بيتاً واذا رأيت ان تضرب الاعناق وتصلب الرجال والنساء في سبيل غايتك فافعل ولا بأس عليك !

وانت يا عبد شمس ! خذ من تشاء من الجند ، وابدأ بظفار حتى تنتهي الى براقش وبينون واذا اكرهت على الطواف في اليمن كلها فلا تتردد في ذلك ... اخرجا ! . فقبل الامير ثوبه وانصرفا .

فقال : لم يبق في مأرب من نستشيره في شؤون الملك غير شرحبيل وبلقيس فماذا ترى انت ؟

ـ لقد سلمت اموري كلها الى بلقيس يا مولاي كما تعلم لاني لست مـــن اصحاب الراي في الحادثات .

قال : اصبت فسنرى بلقيس الليلة ونسألها عما دفع هؤلاء الانذال الى الفرار.

ـ وهل تعلم بلقيس ذلك يا مولاي ؟

ـ اجل ، فقد قام في ذهن الملك الساعة انها باحت لهم بمـــا خبرها اياه منذ ايام ! .

Amly نهضة العرب

قال : مولاي ..! أتسيء ظنك ببلقيس وهي التي قالت لابيها ان اليمن كلها لا تساوي في نظرها قلامة من ظفرك ؟ فاشرق جبينه قائلا : أهي قالت هذا ؟

ــ نعم ورددت قولها امام اخيها وجميع من في القصر من الجواري والغلمان. ومع ذلك فالفتاة التي لا تبوح لابيها بما قالته الملك لا تجد من الرأي ان تبوح به لجميع الناس .

ــ ومن هو الفاعل اذن ؟

ــ ليأذن لي الملك ان اسأله سؤالا ألم تخبر أحداً غير بلقيس يا مولاي ؟

ــ بلى ، قلنا للذي تبع ما اردنا ان نفعله .

ــ اذن هو الذي خوف ، رفيقيه وبلقيس لا تخون ملكها الذي تحبه ، وبينـا هما يتحادثان دخل الحاجب يقول للملك : هذا ذو مغار بالباب ، فنظر الى شرحبيل وعيناه تدمعان .

فقال له : ألم اذكر لمولاي ان هذا الرجل من المخلصين ؟

ــ سنرى اخلاصه عندما نسمع اقواله ونرى وجهه .. أدخلوه ..

وكان ذو مغار قد مر بقصر شرحبيل وقصت عليه بلقيس جميع ما حدث في مأرب بعد رجوع الملك من مهرة ، وهي التي اوعزت اليه بالذهاب الى البلاط في تلك الساعة ليظهر لملكه ذلك الاخلاص الذي لا وجود له ، فدخل وابتسامة الفرح والاستبشار على شفتيه ! وكانت عينا الملك ترسلان أشعة الهيبة وعظمـة الملك ..

فجثا ذو مغار على ركبتيه ووضع سيفه عند قدمي مولاه وهو يقول : ليحيى ملك حمير .

وردد هتافه ثلاث مرات ، فمد الملك اليه يده فقبلها... وتلك احدى مظاهر الرضى . ثم امره بالنهوض قائـلا : اكنت تعلم من قبل يا ذا مغار ان في مأرب ملكاً ؟ !.

فقال : وكيف لا اعلم ذلك يا مولاي وانا من عبيد العرش الحميري .

ــ ولكن لم نرك قط في هذا البلاط ولم نسمع لك في سبيل هذا العرش صوتاً

Amly نهضة العرب

واحداً يثبت قولك .

ـ اصبت يا مولاي فقد كنت بعيداً عن البلاط ولكني لم اخن ملكي ولم افكر في الخروج عن طاعته .

ـ ونحن نسألك عن اسباب هذا البعد .

ـ قال التمس من مولاي ان يترك ماضي ويسألني عن حاضري .

ـ وما هو حاضرك ؟

ـ خضوع لارياء فيه واستسلام لا حد له !

قال : نسمع هذه الالفاظ ثم نلمس الخيانة والمؤآمرات بيدينا الاثنتين ... أتعرف امير همدان ، وناشراً امير ظفار وذلك اللعين امير نحلة ؟

ـ اعرفهم يا مولاي .

ـ وهل تعلم ماذا صنعوا ؟؟ انهم خرجوا من هذا القصر ، في الليل الماضي ، كما تخرج اللصوص ، وهم الذين قربهم ذو القرنين من قبل وجعلناهم نحن سادة البلاط وسادة الناس واحطناهم بالنعم ! فاخذ الرجل ينظر الى شرحبيل والدهشة في عينيه .! ثم قال الملك ، ومع ذلك فقد كانوا امس يقولون : ان استسلامهم لا حد له وان خضوعهم لا رياء فيه .

ـ اما انا فاذا قلت كلمة فاليمن كلها لا تستطيع ان تمحو منها حرفاً ... اني مخلص يا مولاي وهذا السيف الذي تدوسه قدماك يشهد لي .

قال : خذ سيفك . فأخذه ، فقال : اقسم بالآلهة انك ستضرب به اعداء الملك ؟.

فقال : اقسم بهذا العرش الذي رفعه حمير اني سأضرب به اعداءك ولو كانوا احب الناس الي .

قال : اضرب هذا فهو عدو العرش !

وأومأ الى شرحبيل .. فتراجع الى الوراء قائلا : عم مولانا الملك ؟!

ـ اجل ، فاضرب اذا كنت من المخلصين ، فجرد الامير سيفه ورفعه قائلا : ليمت ولو كان من ولد يعفر .

نهضة العرب Amly

وكان شرحبيل هادئاً ، وقدرأى الملك ان السيف سيسقط على رأسه ، فقال: مهلا يا ذا مغار فانتما الاثنين من الانصار . وقال لشرحبيل : الا تخـاف الموت يا عم ؟

ـــ ولماذا اخافه وهو اذا لم يجيء اليوم جاء غداً .

ـــ ولكن كان عليك ان تدافع عن نفسك في هذه الساعة .

ـــ ليس للعبد ان يفعل غـير ما فعلت . . ثم قال : والبريء لا يخاف يا مولاي .

قال : لقد انتهينا من هذا الان ... حدثنا يا ذا مغار بما كان بينك وبـين شرحبيل منذ شهرين .

ـــ بيني وبين شرحبيل يا مولاي ؟ لقد كنت منذ شهرين في مغار ولم اره الا الان ! ماذا حدث يا مولاي ؟

ـــ سمعنا انك تتهيأ للحرب مع صاحبي براقش وبينـون ، فجعل يقول : احلف برأس الملك اني لا افهم شيئاً مما يذكره لي .

قال : خبرنا بهذا رجل ضربنا عنقه امام هذه القاعة فهل تظن انـه كان كاذباً ؟

ـــ أيقول اني اتهيأ للحرب وهو صادق ؟ من هو الرجل يا مولاي ؟

ـــ هو الكاهن الاعظم الذي قص علينا حكاية غريبة لم يثبت منهـا كلمة واحدة .. كان يقول انك حلفت مع شرحبيل لواء العصيان وان الجيش الخارج على ملكه مقيم بمغار وسيزحف منها الى مأرب ليستولي على العرش !

ـــ وقتل وتار ذمر يا مولاي ؟

ـــ اجل وقد هممنا بقتل عبك بن روضة لو لم يعمـد الى الفرار ، فلم يشأ الامير ان يتمادى في الاستغراب ، بل قال له : وهل كان ناشر وامير همدان من رجال ذلك الخائن ؟

ـــ لا بل وجهت اليهما تهمة الخيانة وليس من الرأي ان تعلم اكثر مما علمت . قم يا عم والحق بعبد شمس قبل ان ينصرف وقل له ان يولي ذرعة بن جمـاة ،

Amly نهضة العرب

باسم الملك ، امر ظفار ، ويسلب ناشراً جميع ما هو له من عبيد واموال ، فخرج شرحبيل حاملا امر مولاه ، وقد وضع يده على صدره ليسكت قلبه المضطرب وعاطفته الثائرة ، وعزه الجريح .

فقال الملك عندئذ لذي مغار : لولا هذا القلب الخافق على الغرام لضربنا عنق هذا الرجل الذي ينتمي الى حمير والذى يقال انه عم الملك !

قال : مرني يا مولاي بان اضرب هذا العنق الساعة ..

قال : صبراً ايها الامير فسيأتي يوم يخسر فيه هذا اللعين رأسه ولو مدت بلقيس نفسا يدها لانقاذه .. لقد وثقنا بك الان .. وسنرى الليلة ماذا يحدث في مأرب أيقبض معدي كرب على الخونة الثلاثة ام يخرجون منها كما خرجوا من البلاط .. انك امين الملك منذ الان يا ذا مغار وسنعهد اليك في ادارة الامور التي كانت في يد ذي تبع ! . نعم كنت في نظرنا يا ذا مغار خائناً فاصبحت الان احب الناس الى الملك . أفهمت ؟! ألا ترضى بان تكون السيد الاول في البلاط لا يشهر سيف في سبيل مولاك قبل سيفك ولا يرتفع صوت في اليمن قبل صوتك ؟!. ولكن لا .. لا يا ذا مغار .. لقد جعلناك قائد الجيش الحميري في السلم والحرب وسيكون جناح ولي العهد في القصر مقراً لك ولولدك غالب وأخيك ياسر اذا اراد ان يترك مخلافه ..

هكذا كان الملك الحميري ينتقل في لحظة واحدة ، من ريب قاتل الى ثقة عمياء وهو مجنون في الحالين لا يعلم في اي موضع يضع قدميه .

فذعر ذو مغار لتلك الصراحة الغريبة التي لفظتها شفتا المجنون وظهرت على وجهه دلائل التردد والخوف .. ولكنه كان مكرهاً على الجواب ، بل كان مكرهاً على الاستسلام الى تلك الارادة المقدسة التي خرجت من فم الله ! .

ايقول له : لا ارضى بهذا فلا يبقى بينه وبين الموت غير ذراع ام يقول لقد رضيت فيأمره الملك بالبقاء في البلاط ثم يدعو ولده غالباً ليكون الى جانبه ؟..

ان في الجوابين خطراً وليس من الحكمة ان يقذف بنفسه الى الهوة فقال : ليس لي ان اخالف مولاي الملك في كل ما يأمرني به .. ولكني التمس منه ان

Amly نهضة العرب

يصغي الى هذا الرجاء الذي اذكره الان .

قال : ماذا ؟

ــ اعود الى بلاد قومي فـأنظر في امر مغار ثم اسلم الى اخي يـاسر امر الولاية وارجع مع ولدي غالب لنعيش الى الابد في ظل الملك

ــ اتعاهد مولاك على هذا ؟

ــ نعم فلا يمر شهران او ثلاثة حتى يصبح ذو مغار وولده من رجال البلاط .

وكان شرحبيل قد عاد وهو يقول : لقد اوصيت عبد شمس بما اراد مولاي .

ــ ونحن قد اوصينا ذا مغار بما يجب ان يفعل .. الا تعلم ماذا جرى الان .

لقد انعم الملك على صاحبك فجعله قائداً للجيش وسيقيم بهذا القصر ،فانحنى ابن يعفر قائلا : انه احسان لا تنساه مغار ، قالها وصوته يرتجف .

ثم قال الملك : ولكنه سيعود الى مخلافه ليتدبر امر قومه .

فأيقن الاميربان هذا العود حيلة يستعين بها ذو مغار ليهرب من الملك ،فقال: ومتى يرجع الى مأرب يا مولاي ؟

ــ يرجع حينما يشاء فقد عاهدنا الان على الوفاء وانتهى الامر ، فصافـح شرحبيل الرجل وجعل يقول : لقـد عرف مولانا الملك كيف يختار رجاله .. وماذا تصنع بمعدي كرب وعبد شمس يا مولانا ؟

ــ يكفي ان الاثنين من رجال البلاط .. ومع ذلك فالملك ينحي من يشاء ويبعد من يشاء ولا يسأله احد ... لقد فكرنا الان في امر يا عم .

ــ ما هو يا مولاي ؟

ــ هو ان نزور بلقيس الساعة ثم نسألها رأيها في ناشر ورفيقيه ... ثم نطوف في أروقة القصر ودهاليزه فقد نعثر على الثلاثة .!

قال : مر الجند بأن يفعل ذلك يا مولاي .

ــ بل يفعله الملك نفسه فجند مأرب لا يدخل قصر شرحبيل والملك حي .

قال : ايشك الملك في بلقيس ؟

ــ بل يشك في عمه الذي يخاطبه الان .!

Amly نهضة العرب

ونظر الى ذي مغار قائلا : لقد دب الريب في صدر الملك حتى ليظن ان جميع الرجال الذين يحيطون به يخدعونه بمظاهر وفائهم ولا يحدثونه الا بالاكاذيب .. قم يا عم وامش مع الملك اما انت ايها القائد فاحمل سيفك واتبعنا الى الدهاليز . وضحك ضحكاً ملأ القاعة ثم اكفهر وجهه فجأة وأخذ يقول :

ويل لك يا صاحب همدان وويل لقومك ..

وتقدم الاميرين خارجاً الى الرواق ثم الى الباب الخارجي ، وهو لا يلتفت الى احد حتى توسط ساحة القصر فقال :

يخيل الينا اننا سنرى اعداء الملك وراء الجدران السوداء .. فاذا تقول يـــا شرحبيل اذا صدقت هذه الظنوَن ؟ .

ــ اضع عنقي تحت قدميك ليبريه السيف .

ــ فمشى ولم يجب حتى دخل الثلاثة القصر ومثلت بلقيس بين يدي عاشقها لتبسم له ابتسامة الاعجاب والحب !

فخمدت في تلك اللحظة نار صدره ، واحس بالحب الفياض يغمر قلبـــه ونفسه ، ثم هامسها قائلا : أتعلمين يا بلقيس اي خبر يحمله اليك الملك .

فرفعت صوتها قائلة : يحمل الي هذا النور الذي ترسله عيناه ، وهذا الجمال الخلاب الذي يتدفق من وجهه .

فرفعته الخيلاء الى السماء ، وجعل ينظر الى عطفيه ويقول : بل يحمل اليك نبأ خيانة جديدة ابطالها رجال البلاط المقربون .

ــ لا تذكر الخيانة يا مولاي ، ان الذي يخون الملك يطعن بلقيس في هـــذا القلب .

ــ ولكنهم خانوه .. وجعلوا الليل ستاراً لهم في فرارهم من البلاط .

ــ من هم يا مولاي ؟ فذكرهم لها ثم قال : وقد اصبـــح الملك واثقا بان وتار ذمر كان بريئاً وان هؤلاء الثلاثة ــ مع عم الملك ــ كانوا متآمرين .

ــ وندمت يا مولاي على قتل كاهنك ؟

ــ اجل فقد مات وهو يقول انه بريء .

Amly نهضة العرب

فاطرقت وهي تقول في نفسها : لقد عرفت داءك ودواءك ايها المغرور .

ثم تمتمت قائلة : اذن لم يبق الا ان تثأر به يا مولاي .. هذا ابي فاقتله الساعة أمام عيني بلقيس وذي مغـــار ، ولتدخل جنودك قصور اليمن واكواخها حتى تقبض على الامراء الكذبة وتجعل جثثهم طعاماً لثعالب الليل .

ـ ولكن الملك لا يقتل شرحبيل لانه ابو بلقيس !

فلمعت الدموع في عينيها وقالت له : لا خير في بلقيس اذا كان أبوها عدواً للعرش .. اني سأموت الليلة يا مولاي فافعل بشرحبيل ما تشاء !

فذعر قائلا : ماذا ؟

ـ وهل يطيب العيش للفتاة التي تصبح ملكة اليمن وهي ابنة خائن ؟؟ اين خنجرك يا ابي خذه واغمده في صدرك فموتك خير من حياة العار .

قال : اصبت فليذهب شرحبيل وولداه من الوجود وليهنأ الملك بعـــدهم بالعرش الذي تركه له آباؤه .

ومد يده الى حزامه فأخرج خنجره وهو يقول: اشهد يا ذا مغار ان شرحبيل ابن عمرو يموت الان وهو أشد اخلاصاً للعرش من الملك نفسه .

فعمدت بلقيس الى الخنجر وانتزعته من يده قائلة :

لا تستطيع بلقيس ان ترى أباها مخضباً بدمه .. اموت انا الان ، ثم تلحق بي انت بعد ساعة فيصفو عيش الحبيب .

ونظرت الى ذلك العاشق نظرة التوديع ، ثم اغمضت عينيها على شبح الموت يتراءى لها بصورته المروعة .. ورفعت يدها لتغمس خنجرها في القلب .

فجحظت عينا الملك من الخوف وقبض على تلك اليد الناعمة بيده القويـــة وصاح قائلا : خير للملك ان تحطم الاقدار عرشه من ان تحطم قلبه .. لقد نسينا الان كل ما جرى ونقسم بتاجنا ان الريب لم يبق له ظل في هذا الصدر .

قالت : دعني يا مولاي فأنا لا اخشى الموت وقد رأيته بعيني .

ولكنه لم يسمع ، بل اخذ الخنجر من يدها ورمى به بين الوسائد وهويقول: نريد ان تبقي ويبقى شرحبيل فكل شيء قد تغير الان .

فارخت نظرها الى الارض والبكاء يتردد في صدرها المضطرب .

وكان الملك في تلك الساعة انساناً .. حياً .. كامل الخلقة .. تخفق في فؤاده عواطف الحب ، ويبسم على وجهه شرف الملوك .. ومروءة الرجال .

ولم يتردد عندئذ في الجلوس ، ويده بيد بلقيس يدعوها الى القعود بالقرب منه ، ثم اومأ الى الاميرين بان يفعلا كما فعل ، فاطاعاه ، وساد السكوت .

ثم قال : امسحي دموعك يا بلقيس وحدثينا بما ترين .

- وماذا ارى يا مولاي ..بلى رأيت الدنيا تسود .. ثم رأيت جناحين هائلين يملآن جانبي هذه القاعـــة .. ثم رأيت .. آه يا مولاي ، ثم رأيت مولاي الملك باسطاً لي ذراعيه . فأغمضت عيني لاموت ولكنك صفعت الموت ففر من بـــين يديك كما يفر الجبان .. ولم احس الا وقد عادت الحياة الي .

قال : انسي ما مضى كأنه لم يكن .. ماذا ترين ان نصنع بأعداء الملك الذين لجأوا الى الفرار خوفاً من الجزاء .

فخفضت صوتها قائلة : لا يستطيع الطير ان يفلت من يدي الملك .. احعل يا مولاي بيوت مأرب مقراً لجنودك ، وابدأ بقصر شرحبيل بن عمرو !.

ــ اي انك تريدين ان يظهر الملك لقومه انه يشك في زوجته .

ــ بل اريد ان يقول لقومه : انظروا فقد بدأت بنفسي .. انهض يا مولاي وادخل قاعـــات القصر ودهاليزه وأبراجه وابحث عن اعدائك فقد تجدهم في السقوف او وراء الجدران .

ــ لقد كنا هممنا بان نفعل هذا قبل ان نجيء .

ــ وستفعله الساعة لتزول الريبة .. ولكني اسألك ان تدفع الي اعداءك اذا كتب لك الظفر .

ــ لماذا ؟

ــ لان بلقيس التي احببتها تريد ان يكون لها يد في التعذيب .

قال : لقد اعددنا لهم عذاباً لم يخطر لعربي .. قومي الان .

ونهض ،فنهض الجميع وراحت بلقيس تدله على الحجرات والاروقة والشرفات

Amly نهضة العرب

عيناه ترسلان النظرات الحادة وهي تقول له :
انظر يا مولاي هذا قصر شرحبيل لم يبق فيه دهليز لم تره . بى بقي ممر بناه جدنا يعفر يمتد في جوف الارض ونحن لا نعلم ما في داخـــله اتريد ان تراه ؟ .
فبزقت عيناه قائلا : والى اين ينتهـي ؟
ــ الى الجبل الشرقي التي تطلع الشمس من ورائـــه . هكذا يقولون لنا يـــا مولاي وليس في هذا القصر من يعرف ما فيه .
وكانت ركبتا شرحبيل ترتجفان فقد قام في ذهنه ان الجنون فاجأ ابنته ... ولكنها كانت تبتسم وزاد ابتسامها عندما قال الملك . يكفي فأولئك الانذال لا يجسرون على الاستخفاء في قصر عم الملك . .. تم قال : ولكن الى اي مكان يلجأون والجنود من ورائهم وهم لو ارتفعوا الى السحب لما وجدوا لهم نصيراً . اسمعي يا بلقيس لقد امرنا معدي كرب بالطواف في مأرب وبعثنا عبد شمس الى الاقاليم يقيمها ويقعدها مع جنوده حتى يستسلم الثلاثة او نخرب اليمن .
ــ احسنت يا مولاي .
ــ وسيتبع عبد شمس ، قائد جيشنا ذو مغار الذي وثقنا به .
ــ متى جعلته قائداً لجيشك يا مولاي ؟ .
ــ في هذا الصباح وسيترك مخلافه ليعيش في بلاط مولاه .
وكانوا عندئذ ، في برج يطل على مأرب فقالت بلقيس : لو كنت انا الملك لما وهبت له القيادة الا اذا قاد الامراء الى البلاط كما تقاد الافراس ! .
قال : اسمعت يا ذا مغار ؟
ــ سمعت يا مولاي .
ــ وماذا تقول ؟
ان القول للملك فليأمر بما يشاء .
قال : لقد عزلناك الان ، على ان تبقى القيادة لك ! فعرف ذو مغار غايـــة بلقيس ، فقال : ولكن الملك لا يعزل قائده بدون ذنب ، ولا يمنـــع احسانه الا اذا ضاع هذا الاحسان ، وجعل يتظاهر بالرغبة في القيادة ويستحلفه الا يفعل ،

Amly نهضة العرب

غير ان الملك لم يلن ، بل كان يقول : هكذا ارادت بلقيس ..

قال : ارجو ان تستعطف الاميرة الملك على القائد الذي لم تجلس في كرسيه،

فاجابته قائلة : لا يستحق القيادة في نظر ملك اليمن غير الذي يقبض على الرجال الثلاثة الذين غمطوا نعمة ملكهم واستخفوا به .

وملأت الخيلاء بردتي الملك فقال : هذه هي ارادتنا التي لا ترد فالفعل ما تقوله بلقيس ولا ترد .

ــ ولكني مقيم بمأرب ولا جنود لي .

ــ واذا امرنا اهل اليمن كلهم بان يكونوا جنوداً لك .

ــ استعين عندئذ بالآلهة واجعل اهل اليمن رسلا لي حتى اظفر .

ــ اذن سنرسل الى عمالنا بان يطيعوك كما يطيعون الملك ارضيت الان .

ــ اني لراض يا مولاي وانا اعاهدك على الاخلاص حتى اجعل جميع اعدائك عبيداً أذلاء واجعل رقابهم موطئاً لقدميك .

فقالت بلقيس : ولكني اخشى امراً واحداً لا اجسر على ذكره !

ــ بل تقولينه الساعة .. ما هو ؟

ــ سيقولون لك يا مولاي ان ذا مغار يجمع الجنود ..

ــ ثم ماذا ؟

ــ وانه سيزحف بجنوده الى مأرب ليخلع مليكه عن العرش .

قال : أيظهر في اليمن وتار ذمر آخر يقول هذا ؟

ــ اجل يا مولاي وقد يصدق الملك هذا القول فيقيل قائده ! .

ــ اما الملك فلا يصدق شيئاً بعد الان ، ولكن لماذا يجمع ذو مغـــار الجنود وليس في اليمن حرب ؟

ــ لانه سيعلم ان خونة البلاط لجأوا الى احد الامراء وان هذا الامير الذي جعلهم جيرانا له لا يسلمهم الا بقوة السيف .

فقال ذو مغار : أصابت الاميرة يا مولاي فسأضطر عندئذ الى دعوة قومي ومن يجاورهم من الانصار ثم اغزو أعداءك بالجيوش كما يغزو الملك الحبشة .

Amly نهضة العرب

قال : لك ان تفعل ذلك بأمر الملك .

ــ ولا تسمع للواشين يا مولاي ؟

ــ لا نسمع لاحد فقد وعدناك .. متى ترحل ؟

ــ عندما يأمرني مولاي بالرحيل .

ــ سيرجع الليلة معدي كرب من طوافه وسيقص علينا ما حدث له في مأرب ثم نأمرك بعد ذلك بالرجوع الى قومك .

ــ وتأذن لي يا مولاي في ان اقتل واهدم واشعل النار ؟

ــ نأذن لك في كل شيء .

فسجد الامير الداهية ، وهو يبتسم ابتسامة الحقــد ، ثم قبل رداء الملك ثلاثاً وجعل يقول : اذا طـال الزمان ولم يرد على الملك خبر من مغار فمعنى ذلك اني اطوف في الاقاليم مستخفياً عن العيون .!

ــ وهل تبتلع الارض الخونة حتى يطول هذا الزمان ؟

ــ لا اعلم شيئاً ولكني استأذنك قبل ان أنصرف .

قال : ليمر الزمان كله على ان تقود الثلاثة الى مأرب ليراهم القوم قبل ان تعلق جثثهم فوق السور .

ــ سيتم كل ذلك يا مولاي او اخسر القيادة .

فضحك قائلا : القيادة في يد بلقيس تهبها لمن تشاء . !

ورجعوا الى القاعة والحبيب يحادث حبيبته بامر الرحيل الى الحجاز .

وكانت تقول : ان يوم الرحيل قد قرب .!

ثم جعل يقرأ لوعتها في عينيها .. او يهتز لابتسامات الحب البادية على شفتيها حتى سكر ، وارتسمت على وجهه دلائل السكر .

فخافت ، ولكن خوفها لم يطل لانه قام فخرج ، وهو يفكر في حملهـا الى البلاط بقوة الرجال .. ثم يضعف ، فتنتصر عاطفة غرامه على وحشيته ، ويؤثر الصبر على التعجل في الامر .

فلما انصرف ، قالت بلقيس للاميرين : لو خيروا هذا المغرور بـين عرشه

Amly نهضة العرب

وبلقيس لاختارها وترك العرش لمن يطمع فيه ... انه الان في يدي وقد خسر كل شيء .

واجتمع في ظلام الليل ، في قصر شرحبيل ، اعضاء الشورى .. بينهم ناشر وعتيك وذو تبع سكان السراديب .. ووضعو بالاجماع منهاجهم الاخير ، وقد تهيأوا للسفر الى مغار يوم يجيء الغوث بن راهط وجبار بن دوير .

وقد خلا الجو للحبيبين فباحا بكل ما في الصدرين ... وانشدا جميع اناشيد الحب ..

* * *

٧٧

رجع معدي كرب عند المساء وهو يتعثر بخيبته .

فقال له الملك : ماذا صنعت ؟

ــ قضيت نهاري كله في اكواخ مأرب وقصورها وكأني لم افعل شيئاً .

فتجلد قائلا : وهل تظن انهم خرجوا من مأرب في الليل الماضي ؟

ــ هذا ما يخطر لي يا مولاي

ــ الم تسأل حراس السور عن ذلك ؟

ــ لم ير الحراس احداً يا مولاي .

ــ اذن فهم في مأرب وقد كنت جباناً في البحث .

قال : لقد ضجت مأرب كلها لهول ما رأت من جنود الملك ، ومـــع ذلك فأنا واثق بانهم تركوها الى بلد آخر .

ــ وكيف يخرجون والحراس بالباب ؟

ــ يستعينون بالحبال ويخرجون من موضع آخر لا تراه العيون .

قال : يخيل الى الملك انك تخفي ما تعلم .

Amly نهضة العرب

ـــ لو وقعت عيني على احدهم يا مولاي لشربت دمه قبل ان احمله اليك ،
فهز رأسه قائلا : ولكن هذه العين لم تقع على شيء . وسيجيء عبد شمس بعد ايام وسوف نملك ما تقوله انك فلا يبقى الا ان تنصرفا من البلاط وتعيشا في الجبال حتى لا يرى الملك في قصره وجه خائن او وجه جبان !

قال : اقسم برأس مولاي اني اقذف بنفسي من احدى شرفات هذا القصر اذا كان واحد من الثلاثة في مأرب .

قال : كنا همنا بان نجعلك قائماً مقام الملك في قيادة الجيش . اما الان فليكن سواك وسنختار ذا مغار هذه القيادة !.

ـ أتحرمني نعمتك يا مولاي ؟

ـ اجل ، فالرجل الذي لا يستطيع ان يقبض وهو في مأرب ، على ثلاثة رجال ، لا يستطيع ان يتولى قيادة الصفوف في الميادين .

ـ ارسلني الى الاقاليم يا مولاي فهؤلاء الرجال ليسوا في مأرب كما ذكرت

ـ لقد ارسلنا سواك وسيعود كما عدت .. اخرج الان ولا تدخل هذه القاعة الا اذا دعوناك . اخرج فلا خير فيك ولست اهلا لثقة مولاك ،

فحنى الامير رأسه وانصرف وكان يقول في نفسه : هنيئاً للامراء الذين لا يرون وجهك ايها الملك المجنون ! .

وانزوى في غرفته وهو يفكر في الخروج عن الطاعة .. ولكنه لم يكن يجسر على ان يبوح بسره لاحد من الناس .

* * *

٧٨

أرأيت كيف كان الملك يخسر رجاله الواحد بعد الاخر دون ان يكون في عمله شيء من حكمة الملوك ؟

Amly نهضة العرب

أرأيت كيف نفر بقسوته اهل اليمن ، وجعل بعض المقربين اليه اعداء له ؟
ذلك هو ذو القدر ، يشهر سيفه في وجوه الملوك وأصحاب السلطان ، ثم يدحرجهم بقوة وعنف عن العروش التي كانت تسندها الالهة .

كان طاغية عياثا بكل شيء ، ومستبدا وقحاً يستخف بكل شي . ، ومغروراً جاهلا يعتب الالهة التي لم تجعل اهل الارض كلهم عبيداً للذته .

بلى . كانت له صفة واحدة من صفات الرجال هي تلك الشجاعة التي جعلته في الصف الاول بين ملوك ذلك الزمان . ولولا هذه الصفة ، لكان حاشد ذلك النديم المغفل ربيب عليه ، خيراً منه ، ومع ذلك فقد كان يريـــد ان تغضب اليمن كلها اذا غضب ، وتماشيه في هواه ، وتجاريه في كل خاطر يخطر له ، كما قرأت، لعل وتار ذمر وهو المخلص له ، وعفا عن الاعداء الخونة الذين يكيدون له ، ثم رأى ان ينهي جهله ، بتقريب ذي مغار وإغضاب معدي كرب وهو لا يعلم ان يد الدهر تمتد اليه من وراء الستار ، وان تلك الابتسامة الخلابة التي ابتسمها له الملك ، كانت ابتسامة النمر يكشر عن اسنانه .

* * *

٧٩

مرت ايام كان خلق الملك يزداد فيها سوءاً ، وغضبه يشتد على جميع من حوله حتى دب الذعر في قلوب اهل البلاط ، وتمنى الغلمان ان تفتح الارض فاهـــا وتغيبهم في الاعماق .

انهم لا يستطيعون ان يحتملوا جفاء ملكهم وعربدته القاسية .

أجل ، كان يجفو اذا صحـــا ، ويقسو اذا سكر ، وهو بين صحوه وسكره مستهين بطاش لا يبالي باشراف قومه ، ولا يعبأ الا بنفسه

ولم يكن يهتم الا لامرين ، امر غرامه وامر كبريائه ، فهو يريد بلقيس ليرضي

Amly نهضة العرب

هواه ، ويريد ان يستسلم اليه الناس استسلاماً تاماً ،مطلقاً ليرضي عزته ، ولم يخطر له قط ، ان الزمان يدور وان الاقدار تستطيع ان تنزع تاجه وتعبث به كما يعبث باليمنيين . بل لم يخطر له ان الاشراف الذين يطرحون بسيوفهم عند قدميه ، يهزأون به ويظهرون له ذلك الاخلاص الكاذب الذي يذر الرماد في عينيه . هو يثق من هذه الناحية ، ثم يشك من الناحية الاخرى ، في جميع الذين حوله ، كأن النقيضين يجتمعان في طباع الملك الحميري الذي ليس لاخلاقه الشاذة قياس ونظام ألم تر كيف يغضب ويرضى في لحظة واحدة ويجود ويمنع في ساعة واحدة ؟! انه مجنون ولم يخلق ليكون ملكاً .

• • •

دخل قصر شرحبيل ، في احدى الليالي ، جبار بن دوير والغوث بن راهط وهما متنكران ، كأنهما كانا يعلمان ان زيارة ذلك القصر ذنب لا يغتفره ابن ذي القرنين .

وقد كمل بوجودهما عدد الاشراف المتآمرين ، الذين تبادلوا الاسرار في ذلك الليل ، واقسموا بشرفهم ورؤوسهم ، انهم يبذلون مالهم ودمهم ، في سبيل خلع الملك ، وسهر الجميع حتى بزغ الفجر ، وقد درسوا كل شيء ، وتهيأوا لكل شيء وقبل ان يطلع الصبح ، خرج اميران يريدان البلاط ، وهما يبتسمان لتلك الحكاية الغريبة ، التي اوصتهما بلقيس بأن يقصاها على حبيبها عمرو ... على انهما لم يقابلا ذلك الحبيب ، الا عندما غمرت أشعة الشمس ، أبراج القصر العظيم وقبابه وشرفاته ، وكان الملك في ذلك اليوم ، يداعب غلمانه ، ويبتسم لجواريه ، ولكنه تغير عندما اذنهما في الدخول ، وعبس ذلك الوجه حتى لتستطيع أن تقرأ الغضب بين عينيه البراقتين .

يعيش مولانا الملك .

قالها الاميران وهما ساجدان ، عند قدميه !

Amly نهضة العرب

فرأى المجنون ان يتدلل ، فقال : ايكما الغوث بن راهط ؟

ــ انا يا مولاي .

ــ وأنت ابن دوير امير بينون ؟

ــ نعم يا مولاي .

ــ انهضا ، فلك حمير وحده لا يعرف أشراف بلاده !

فأجابه الغوث قائلا : ألم ير مولانا الملك هذين ، قبل اليوم ؟

ــ رأيناهما ونحن نلعب مع الغلمان ... ثم انسانا اياهما مر الزمان ... الا تعترفان بهذا ؟

وكان يريد عندئذ ان يمثل الدور الذي مثله مع ذي مغار يوم مثل بين يديه .

فقال الغوث : كان ذلك يا مولاي وقد مضى الان .

قال: ويلك يا ابن راهك ! يقتل ذو القرنين رجلين من بني سعد فتغضب ، وتقول للناس ان ذا القرنين انتهك حرمة براقش ؟

ــ أأقول ما يخطر لي يا مولاي وانا آمن ؟

ــ قل

ــ لقد كان جدك العظيم يستشير اصحاب المخاليف قبل ان يحكم بالموت على واحد من قومهم ولو كان صعلوكاً .

ــ ولكن ذا القرنين لم ير ان يفعل ذلك ، فماذا تصنع ؟ اتحمل لواء العصيان ولتنفخ في صدور القوم روح الثورة ؟

ــ ان الغوث لا يخرج عن طاعة مولاه .

ــ اذن تغضب لكرامتك وانت داخل الجدران !

ــ بل اكتفي بالعتب يا مولاي حتى يدعوني الملك اليه فيزول كل شيء .

ــ قل انه يدعوك ليظهر لك ندمه على مـــا فعل ! .. انكم معاشر الامراء ملوك في المخاليف وقد يقوم في اذهانكم ان ملك حمير يخافكم على عرشه ! اما والذي بسط سهول اليمن ورفع جبالها لئن خطر لاحدكم ان يرفع احدى اصابعه بدون اذن الملك لسلبناه مخلافه وحصدنا قومه بحد السيف !

Amly نهضة العرب

فارتجفت شفتا الغوث وظل ساكتاً .

واستطرد الملك قائلا : ويلكم ، أيكون ملك حمير آلة في أيدي الاشراف لا يستطيع ان يقتل احدا الا اذا قالوا له ؟ انه اذن عبد لهم يمتثل عندما يأمرون ، ويعفو عندما يعفون ليس له في ذلك لا امر ولا رأي ؟ ! قل لنا الان ، أتنحب براقش الى السيف بعد ايام عندما يبلغها ان رأ ابن ذي القرنين قتل اميرها للغوث بن راهط ؟ .

فارخى الرجل نظره الى الارض ليخفي ذلك الشعاع الغريب الذي اتقد في عينيه ...

ولكن الملك لم يسكت ، بل كان يقول : يخيل الينا انك لا تجسر على الجواب ، فاسمع اذن ، ان الملك لا يطيق ان يخونه يمني ويسكت على هذه الخيانة ، هو يجلد ويميت ، ويسفك الدماء ، عندما يشاء ، دون او يستشير في ذلك احد او يذكر ذلك لاحد ، أترضون بهذا يا اشراف اليمن ؟

فانتصرت حكمة الامير على عزته فقال : نرضى بكل ما يفعله الملك ولكن اين هي الخيانة التي ذكرها مولاي ؟

ــ جعلناها لك مثلا لتصغي الى ما نقول : لقد خاننا وتار ذمر وهو اعظمكم شأناً فقتلناه ولم نبال بعشيرته وكهانه ! ثم خاننا ثلاثة من الامراء فهممنا بقتلهم لو لم يعمدوا الى الفرار اتريدون ان يدعو الملك عشائر هؤلاء الخونة فيقول لها : مري الملك بان يقتل الذين خانوه ؟.

ــ يخونون الملك ؟ من هم يا مولاي ؟

ــ اصحاب ظفار ونحلة وهمدان !

فنظر الغوث الى جبار . كأنه يقول له : لقد اتت الساعة فاذكر وصية بلقيس

فقال جبار مستغرباً : ناشر وعتيك وذو تبع ؟

ــ اجل ، هؤلاء هم الانذال الذين ملأوا قصورهم اموالا من فضل الملك .

ــ وتقول يا مولاي انهم لجأوا الى الفرار ؟

ــ اجل فقد خرجوا من البلاط يسترهم الظلام ومنحناهم اليمن جنوداً فلم نجد

Amly نهضة العرب

لهم اثراً ! فانتفض جبار قائلا : ويل للكذبة ... لقد رأيناهم يا مولاي !

ــ ماذا ! رأيتما ناشراً ورفيقيه ؟

ــ نعم وقضينا معهم ليلة واحدة بالقرب من حصن نشق ! فاكفهر جبينه وجعل يقول : فروا .. وابتعدوا عن مأرب .. وسليجأون الى الجبال والاودية بعد القصور .. ولكن سيف الملك سيوضع على رؤوسهم ولو لجأوا الى السماء.. ومن كان معهم من اليمنيين ؟

ــ عبد واحد يقود بغلا وليس معهم افراس !

ــ سيطوفون في جميع المخاليف يا مولاي ليجمعوا الخراج للملك ! فأطرق ملياً ثم قال : يقولون ذلك ليخفوا امر الفرار .

ــ نعم يا مولاي ولو عرفنا انهم خونة لضربنا اعناقهم في ذلك الليل .

قال : اتريدان ان ينسى الملك الماضي ويغفر لكما ؟

فقال الغوث : ونطلب غير ذلك .

ــ اذن فالملك لا ينسى شيئاً الا اذا قبضتما على هؤلاء ، فابتسم ابتسامةالوثوق بنفسه واخذ يقول :

الا يأمرنا الملك الا بهذا ؟

ــ لا ، فهذا يكفي، وقد اعددنا لكل منكما خير ما نعده لرجالنا الاوفياء، ستصبح انت يا ابن راهط قائد الجيش اليمني ... ويصبح جبــار وزير الملك وصاحب الرأي الاول في بلاطه ... ولكن لا تذكرا للذي مغار كلمة مما تسمعان الان ، فقد وعدناه بالقيادة ، ونحن نخشى ــ اذا عرف شيئاً من هذا ان يمهد للثلاثة سبيل الفرار !

فتظاهر الاثنان بالتفكير .. ثم قال الغوث :

الا تظن يا مولاي انهم سيجدون بين اصحاب المخاليف واحداً يفتــح لهم ابواب قصره وينزلهم على السعة والرحب ؟

ــ بلى، ولكنه عندما يعلم ان الملك يلج في طلبهم يغلق تلك الابواب ويطردهم كما يطرد عدوه .

Amly نهضة العرب

ــ واذا لم يفعل مولاي ؟

ــ تشهران في وجهه السيف ، وتخوضان غمرات الحرب .

ــ اذن اسألك يا مولاي ان تكتب لنا عهداً اننا نستطيع باسمك ان نجمع الجنود وندفعها الى الميادين .

قال : نفعل ذلك في هذه الساعة ... يا غلام ، ادع معدي كرب ، فلما اقبل قال له : اجلس فقد رضينا عنك الان ... فجلس وهو لا يقول كلمة ، وقد عد رضى الملك ، على هذه الصورة ، جرحاً فوق جرح ، ثم قال الملك : كان الثلاثة في نشق يا معدي كرب .

قال : وهذا هو سبب رضاك يا مولاي ؟

ــ اجل فقد عرفنا انك لم تكن مخطئاً فيما فعلت ، ولكن اكتب : « هذا عهد تبع عمرو بن ذي القرنين ملك سبا وحضرموت وريدان للغوث بن راهط ، وجبار بن دوير ، انهما يستطيعان ان يجمعا الجيش من اليمن كلها باسم الملك ويبعثا به الى الميادين ... » والتفت الى الغوث قائلا : وهل تطلب شيئاً بعد ؟

ــ لا يا مولاي ، بل اعدك منذ الان اني ساظفر باعدائك او أموت .

قال : اعرفت يا معدي كرب غاية الملك من هذا العهد ؟ فاحس الرجل ان ذلك العهد شرك لملكه .. ولكنه لم يشأ ان يبدي رأيه فيه ، لان نار الحقد كانت تلتهم احشاءه .. فقال :

نعم يا مولاى فقد اطلقت ايدي الاميرين ليقبضا على الخونة ثم قال : ألم اقل لك يا مولاي انهم خرجوا من مأرب .

ــ وهل تريد ان يقول لك الملك انك كنت على صواب ؟ لقد انتهينا من هذا الآن فلننظر من جديد فيما نصنع ، ان اربعة من الامراء يطلبون ناشراً ومن معه فكونا ايها الاميران اسبقهم جميعاً لتصبحا احب الناس الى الملك ... متى ترحلان عن مأرب ؟

ــ بعد يومين يا مولاي .

ــ اعطهما يا معدي كرب فرسين من افراس الملك ورمحين من رماحه .

فأثنى الاثنان وشكراً ... ثم قال : ولكن لا تنسيا أن تخبرا الملك كل ما يحدث لكما ...

قال : من هم الاربعة الذين يطلبون القوم ؟.

ــ انت وجبار ، وذو مغار وعبد شمس .

ــ واين هو عبد شمس اليوم يا مولاي ؟

ـ لا نعلم اين هو الان فقد يكون في ظفار بل قد يكون في براقش . سيطوف الاقاليم كلها ولا يرى احداً .

قال : اسبقاه ، واذكرا القيادة والوزارة ... وطابت نفس الملك ، فقد ايقن بأنه سيظفر باعدائه ويصفو له الزمان ، ثم ذكر كلمة بلقيس ، فقال : العرفان شرحبيل بن عمر ؟

ــ اعرفه انا ولا يعرفه جبار .

قال : اذهبا الى قصره الساعة وخبرا ابنته بلقيس بما امركما به الملك وقولا لها : « سيكون لك يد في تعذيب المجرمين . »

قال : سنفعل ، وسنرحل دون ان نرجع الى البلاط ، وحني رأسه ليقبل يده وهو يقول : ليثق الملك باخلاص عبده الغوث الى الابد ، وفعل جبار كمافعل ، والملك يبتسم لهما ، ويشيعهما بنظرات الرضى ، ولكنه ، عندما جاوز الرواق ، انثنى الى معدي كرب وهو يضحك كما يضحك السكارى قائلا له : لقد انصرفا وهما يحلمان بقيادة الجيش ووزارة الملك ، ولا يعلمان ان ملكهما يعبث بهما كما عبث بذي مغار ، فقال معدي كرب في نفسه : سنرى ايها الملك مظاهر طاعة واخلاص يا مولاي .

ــ اجل ، وكانت مظاهر الملك مظاهر عطف ورضى كما رأيت ، ولكن القيادة لن تكون للغوث ، والوزارة لن تكون لجبار .

ــ اري ان احدهما ستكون لعبد شمس .

ــ وتكون الاخرى لك اذا عرفت ان تخدم مولاك .

ــ أرأيته يا مولاي اني لم اكن مخلصاً للعرش في كل ما فعلت ؟

Amly نهضة العرب

ـ لا ، فقد زال الريب الذي دب في الصدر الان فليفعل الامراء ما امرناهم به وسننظر بعد ذلك في امر القيادة التي هي امنية الجميع ، ثم حول وجهه عنه ذاهباً الى تلك الحجرات ليلهو بما فيها عن شؤون الملك ، وينسى ولو بضع ساعات ، ذلك الغرام الذي تزداد ناره ضراماً وسعيراً .

* * *

•

اتعرف يا نائل باب السرداب الذي تحجبه صخور الوادي ؟

ـ نعم يا مولاتي .

ـ اذن تذهب وحدك وتقف بالقرب منه من الصباح حتى يبزغ فجر اليوم الثاني

ـ وماذا تصنع ؟

ـ تراقب الوادي بحذر فنحن نخشى ان يجعل الملك ذئاب الغاب ، جواسيس له .

ـ وبعد ذلك ؟

ـ يكون رعين عند الباب من الداخل فتقول له : « ليخرج الامراء فليس في هذا الوادي كائن حي .. » افهمت الان ؟

ـ اجل، وسأنصرف قبل ان يطلع الصباح ، فانثنت توصي غلمانها بما أرادت ان تفعله ثم رجعت الى تلك القاعة المظلمة التي جلس فيها المتآمرون قائلة : تهيأوا للخروج غداً عند الفجر فقد اعد كل شيء ، فقال ذو تبع واللوعة في عينيه : وانت يا بلقيس ؟

ـ اما نحن فسنلحق بكم بعد ثلاثة ايام .

ـ ولكننا نخاف ان يتصدى لك الملك في الساعة الاخيرة ويمنعك عن الذهاب

ـ لقد عرفت وعرف جميع الامراء ان الملك اعجز عن ان يملي ارادته . .

Amly نهضة العرب

قلت اننا سنرحل بعد ثلاثة ايام وسيتم الامر كما قلت .

قال : أما انا فسأبقى ريثما تغادرون هذا القصر !

ـ بل تخرجون جميعكم من السرداب عند بزوغ الفجر ، ثم تركبون البغال التي ترونها في الوادي وتسيرون اثنين اثنين دون ان تترددوا في الامر ، فقال الغوث لقد أراد امير همدان ان يكون حارساً للاميرة ...

ـ قل ان بلقيس ستحرس اليمن كلها وهذا يكفي ... فأطاع المتآمرون ملكتهم . وقضوا ذلك الليل والليل الثاني يتهيأون للرحيل حتى اتت ساعته ، فأقبل رعين يقول كلمته فنهضوا جميعاً يخفون سلاحهم تحت الثياب ، ومشوا في ذلك السرداب الطويل حتى انتهوا الى الوادي ففعلوا ما امرتهم به ، وهم متنكرون بلباس تجار اليمامة وتجار الحجاز ، ولم تطلع الشمس حتى اصبحوا وراء الجبل الذي يحجبهم عن عيون اهل مأرب .

أما بلقيس فأوفدت نعمى الى البلاط تقول لابن ذي القرنين :

ان مولاتي سترحل الى مكة عند المساء اذا اراد الملك ..

فاضطرب العاشق . وتناول سوطه ، ووثب كالمجنون الى الخارج قاصداً قصر سرحبيل .

وكان الناس يرونه سائراً فيحنون الرؤوس له وهو لا يبصر احداً !... حتى دخل القصر ، فرأى بلقيس تبكي في قاعة الجلوس ، ورأى اباها واضعاً وجهه بين يديه كاليائس يستسلم الى كآبته !! فلما أقبل ، تراجعت بلقيس الى الوراء وهي تغتصب الابتسامات .. وصاح شرحبيل قائلا بدهشة : مولانا الملك ؟!

فقال وقد خدعته من جديد ، مظاهر حبيبته : أجل ، لقد جاء مولاك الملك يسأل بلقيس عن ساعة الرحيل ! فرددت بلقيس كلمته كما يرددها الصدى ، وظلت ترددها وهي ذاهلة حتى خنقها الدمع ! فحملت اجنحة الحب ذلك الفتى المفتون الى الاعالي وجعل يقول :

ايعجز ملك حمير عن منع هذا الرحيل وهو الذي يجود بما يشاء ، ويمنع ما يشاء عندما يخطر له ؟؟

Amly نهضة العرب

ـ بـل هو يعجز عن ان يخمد النار التي تحرق بلقيس !! قلت لك يا مولاي اني لا اطيق البقاء في مأرب ، في هذا العام ، ولا اريد .. نعم لا اريد ان يصدر الملك امره بهذا البقاء ، خوفاً من ان يقتل الفتاة التي احب !

ـ ولكن نراك تبكين .

ـ وكيف لا ابكي يا مولاي وقد صفعتني وصية ذي القرنين هذه الصفعـة الدامية واكرهتني على ترك مأرب عاماً كاملا لا ابصر فيه وجه الحبيب !

ـ اذن فابقي واستعيني بالصبر كما يستعين الملك به .

ـ ولكن نسيت يا مولاي ان هنالك نـذراً تعجلت فيه ، وغراماً لا يعرف الصبر وانا قريبة من البلاط ، بل يعرفه وانا بعيدة عنه .

فقال في نفسه : لم ار زماني كله حباً يشبه هذا الحب !

ثم قال : لم يبق الا ان يسكت الملك ولو قتله سكوته .

ـ لا تذكر القتل يا مولاي فأنا لم اهم بالرحيل الا بعد ان رأيت امراء المخاليف يخضعون لك ويلقون بسلاحهم عند قدميك ، ولمعت عاطفتها بعينيها حتى تردد البكاء في صدر الملك وتمتم قائلا :

ارحلي ايتها الحبيبة ، فيجب ان يشقى الملك لتهنأ بلقيس ، ويتعذب ليصفو لها العيش .. ان العرش لا خير فيه ، في نظر الملك ، ان لم يكن لك ، في هـذه الحياة ، ما ترغبين فيه .

ـ بل يهنأ مولاي بما في بلاطه من وسائل الهناء ، فعرف انها تعني نساء هذا البلاط ، فقال : ليس في بلاطنا من يستطيع ان ينسينا ساعة واحدة ، جمال هذا الوجه ، وعذوبة هذه الالفاظ ... فغيرت الحديث قائلة : سنرحل عنـد المساء يا مولاي . ـ نؤثر ان يكون هذا الرحيل في الصباح .

ـ لا يا مولاي فشرحبيل وولداه لا يريدون ان تعلم مأرب بامر هذا الرحيل

ـ لماذا ؟

ـ خوفاً من ان تظن مأرب الظنون ، وتكثر الاقاويل .

ـ نراك شديدة الحذر يا بلقيس !

Amly نهضة العرب

ـ وهل تريد يا مولاي ان يتحدث الناس بغرام الملك ويجعله اهل مأرب مضغة في الافواه ؟

فسكت قليلا ثم قال : ومن يجسر على هذا ؟

ـ لا يتحدثون به في الاسواق ، بل يتهـــامسون وراء الجدران ، والملك بغنى عن ذلك الان .

ـ ومتى نرسل اليك الغلامين اللذين وعدنا بهما ؟

ـ ليبقيا في البلاط الان فنحن لا نحتـــاج في سفرنا الا الى عبدين من عبيد القصر .

ـ بل نبعث بهما بعد ساعة لان الملك يريد ان يكثر الغلمان ، في مكة ، حول ملكة اليمن . وسنعود نحن الى هذا القصر قبل غروب الشمس .

ولم ينتظر جوابا بل خرج والسوط في يده ، وعلى وجهه كآبة العاشق ، وتردد العاجز الضعيف .

* * *

٨١

بسط الليل جناحيه ، فنشرت السكينة ظلها فوق مأرب ، وكـــان الملك في قصر شرحبيل ، وقد قدمه قبل ان يجن الظلام ، فلمـــا خرج اصحاب القصر ، مشى الملك معهم في طريق الحجاز ، ليقوم بواجب التوديـــع والغلامان اللذان اهداهما الى بلقيس يتقدمان القوم ، حتى جاوز المدينة وامسوا في الخلاء .

فقالت بلقيس : استحلف الملك ، بهذا الحب الذي يربط القلبين ، ان يرجع الان . فوقف قائلا : لقد اسودت مأرب يا بلقيس .

ـ ستبتسم بعد انقضاء العام .. ثم هامسته قائلة :

Amly نهضة العرب

اذكر بلقيس يا مولاي ولا تنس هذا الحب .
ــ بل اذكر انك ستكونين لي الى الابد .
ــ واتربع في العرش بالقرب منك .
ــ اجل فالعرش للاثنين ، عمرو وبلقيس .
ــ ولكني لا اطيق ان يكون لي شريك فيه .
قال : لا تجلس عليه انثى ، غير بلقيس بنت شرحبيل .
وكانت تعني شيئاً ، وهو يعني شيئاً آخر ، كما رأيت .
فلما قال كلمته الاخيرة ، همزت فرسها قائلة : الى اللقاء ايها الحبيب .
فوقف ينظر اليها وعيناه تخترقان الظلام . ثم بات يسمع وقع حوافر الخيل وقلبه يخفق . ولم يلبث حتى انثنى راجعاً وهو يقول : ان في البلاط طائفة من الحسان ، فلنعالج هذا الغرام ريثما تعود الملكة .
وهذه اطيب ذكرى يحملها في قلبه الملك المجنون ! .

* * *

٨٢

مضى من الليل نصفه . فجعلت بلقيس تهامس اباها واخاها . ثم امرت القوم بالوقوف . وبعد ساعة .. اجل بعد ساعة واحدة ، كان غلاما الملك قد قتلا ، ودفنا وراء احد الصخور . ثم تحولت طريق الحجاز الى طريق مغار . ! فاصبح الشمال جنوباً ، بفضل ذلك التدبير الذي اعدته بلقيس من قبل .
ولم تمر الايام القليلة حتى كان القوم جميعهم في ذلك المخلاف البعيد عن مأرب وكان الناظر الى بلقيس يحسبها غلاماً امرد من غلمان الشام .
اما صاحب همدان فكان قد برح به الهوى ، فاقبل في احدى الليالي ، يسأل

Amly نهضة العرب

تلك الحبيبة الطامعة ، ان ترضى بالزواج، ثم تخوض بعد ذلك غمار الحرب وتثب الى العرش وهي اميرة همدان ، فقالت له : لقد اقسمت ايها الحبيب اني لا اتزوج الا وانا ملكه .

ــ ولكننا لم نخط بعد الخطوة الاولى في سبيل هذا الملك .

ــ لقد قربت الايام كما ترى فلا تعجل في الزواج .

ــ واذا خاننا الحظ يا بلقيس ؟

ــ امامنا واحد من امرين يا ذا تبع ، اما ان نظفر فيستقيم لنا الامر كما نشاء واما ان نفشل فنموت ونحن مجتمعان في الحالين .

ثم قالت : اتريد يا ذا تبع ان تزف اليك بلقيس اليــوم ، والامراء يتهيأون للقتال وعشائر اليمن تحمل السيوف لتجلسها او تجلس اباها على العرش الحميري؟ افلا تستطيع وانت احب الناس الى بلقيس ، ان تصبر كما يصبر الملك المستهتر المجنون الذي تخضع له نساء اليمن ورجالها كما يخضعون للآلهة ؟ ان الملك يقدر اذن ، على رغم استهتاره ، ان يغلب غرامه ، اما انت فلا تبالي الا بهذا الغرام ، تغذيه وتجاريه ، ولو خسرت بلقيس التي احبتها تاج الملك ! .

فحاول ان يجيب فاسكتته قائلة : اعلم ايها الحبيب ان الحب الذي ينمو في صدرك ينمو مثله في صدر بلقيس ولا تستطيع العروش وقوى الملوك ان تنتزعه منه . ولكن .. ولكن شريعة القدر ، شريعة جــائرة لا ترحم احداً فخير لي ولك ان نخطو الخطوة الاخيرة في سبيل المجد وليفعل القدر بعد ذلــك ما يطيب له ... نعم ايها الحبيب ، لم يبق الا ان اثب كما يثب الليث، فاعضب رأسي بتاج اجدادي او اموت .

فنسي ذو تبع غرامه ولوعته واجابها قائلا : سيرفعك سيف امير همدان الى العرش الذي تطمعين فيه .

قالت : انه سيف الحبيب الذي سأعيش العمر كله وفية له . وكانت في سرها تلعن المطامع والعروش التي تبعدها عمن تهواه .

ثم اقسم الاثنان ، قبل ان ينصرفا الى القاعة التي يجتمع فيها الامراء ، انهما لا

يذ كران الزواج ، الا بعد ان يصبح بلاط عمرو بن ذي القرنـــين ، ملكاً لآل شرحبيل بن يعفر .

ولم تشأ بلقيس ، ان تكتم رجالها الاسرار ، فخـــبرتهم كل شيء ، وقصت عليهم الحديث كما جرى بينها وبين الهمداني لم تنقص منه كلمة . وقد وافقها الجميع في الامر وآثروا قضية العرش على قضية الزواج .

• • •

٨٣

طالت الاقامة بمغار حتى كاد العام ينقضي وجيوش المتآمرين لم تنقل الى مأرب قدماً ، ولم يسمع لها صوت !

انه لم يكن من السهل على الامراء ان يجمعوا الجيوش ، بعد ان تفرقت ، في بضعة اشهر ، فللعشائر مواسم وحاجات لا يريدون ان يحرموها اياها ، وغلال يجب ان تحفظ في المخاليف قبل ان تخرج الرجال الى الحرب .. ومن يعلم ، فقد تمر سنة كاملة والجيش في الميدان ، فيجوع الشيوخ والنساء ، ويكتنفهم الضيـــق الذي يرافق الحروب .

أجل ، لم يشأ المتآمرون ، ولم ترد بلقيس ، ان تزحف الرجال الى مأرب ، قبل ان تضمن الراحة للمرأة ، والشيخ ، والضعيف.

وهذا لا يتم الا في خلال عامين .

وكانت تقول : خير لنا ان نصبر عامين ، من ان نندم على ما نفعل بعد شهر ولكن ، ماذا يصنع الملك ، وكيف يهدأ غرامه ؟

لقد مر العام ، وبلقيس لم تعد ؛ وليس في مأرب رجل يحمل اليه أخبـــار الحجاز . حتى ان الغوث ، وجباراً ، وذا مغار ، منعوه اخبارهم !

Amly نهضة العرب

بلى ، كان عبـــد شمس قد رجع وهو يجر اذيال خيبته ، ولم يسلم من ذلك الغضب الناري الذي ينزله الملك بجميع المقربين اليه .

ولكن هذه الخيبة لم تكن كاملة ... فقد خدمه الحظ بجعل ذرعة بن حبـــاة اميراً لظفار ، وذرعة من رجال ناشر كما علمت .

فكأن عبد شمس ، في هذا الاستبدال . يستجير من الرمضاء بالنار .. اي انه استطاع ، بعد تطوافه في اليمن ، اثني عشر شهراً ، ان يستبدل عدواً فاراً من وجه الملك ، بعدو مقيم !! وهذا هو الظفر الذي يرغب فيه ابن ذي القرنين ...

وكانت الايام تمر ، والملك لا يسمع خبراً ، حتى ضاق صدره ، وعادالريب القاتل المضنى الى ذلك الصدر .

ومعـــدي كرب وعبد شمس لا يجسران على النظر اليه ، بل لا يجسران على المثول بين يديه ، الا اذا امرهما بذلك .

فبينا هو ، في صباح يوم ، يروح ويجيء في رواقه ، والهموم تملأ نفسه ،أقبل حاجبه يقول له : ان نائلا غلام عمك شرحبيل يستأذن عليك ، فبرقت عيناه .. ومشى بخطى مضطربة الى قاعة الجلوس وهو يقول :

ليأت نائل فهو رسول خير ، فدخل نائل وجثا عند قدميه ، ففاجأه بقوله : هات يا نائل ، انك غلام بلقيس أليس كذلك ؟

ــ نعم يا مولاي .

ــ ومنا وراءك ؟

فناوله الغلام رسالة صغيرة جاء فيها :

« مولاي الملك ... ان غلامي نائلا يمثل بين يديك وينقل اليك كل شيء »

وليس في الرسالة توقيع .

فقال : ويلك من هو صاحب الرسالة ... اشرحبيل ام ابنته ؟

ــ مولاتي بلقيس !

ــ واين هي بلقيس الان ؟

ــ لا اعلم يا مولاي ، فقد اقبل عبدها امس يحمل هذه الرسالة ويـــأمرني

Amly نهضة العرب

باسمها بان اقص على الملك بعض الاخبار :

ــ ولم يقل لك العبد اين هي مولاته ؟

ــ لا يا مولاي لم يقل شيئاً من هذا ، وعندما هممت بان اسأله ، خرج من فناء القصر كما يخرج اللص الخائف وحجبه الظلام عن عيني .

ودخل ، في تلك اللحظة سرح ابين كاهن مأرب .

فمد الملك اليه يده قائلا :

اجلس ايها الكاهن واصغ الى حديث هذا الغلام فقد تعلم من الاسرار اكثر مما يعلمه الملك ... قل يا نائل ، ماذا خبرك عبد السوء ؟

ــ لقد رجع مولاي شرحبيل وولداه من الحجاز ! ولكن مولاتي بلقيس لا تفكر في الاقامة بمأرب الا بعد ان تدفع اليك أعداء العرش !

فجعل يضرب مقعده بسوطه ويقول : من قال لبلقيس ان الملك يرضى بان تطوف هي في اليمن لاجل هذه الغاية ؟

فسكت الغلام ولم يجب .

ثم قال الملك : ألم تعلم بلقيس ان قواد الجيش عجزوا عن هذا ؟

فقال سرح ابين : ولكنه اخلاص لا يظهر مثله القواد الذين ذكرهم الملك . لقد ارادت بلقيس يا مولاي ان تدخل قصرها والملك ناعم البال ، ثم تزف اليه واليمن كلها خاضعة له ، واعداؤه مستسلمون .

ــ على ان في ذلك عاراً على ملك حمير .

ــ وما هو وجه العار يا مولاي ؟ الم يكن شرحبيل بن عمرو وفياً لعرشك ؟

ــ بلى .

ــ اذن هو لا يريد ان يجعل ابنته ملكة قبل ان يثبت لمولاه من جديـــد امر هذا الوفاء .

ــ ولكن الملك لا يحتاج الى وفائه ولا يفكر فيه ، لترجع بلقيس الى مأرب وهذا يكفي .. وقال لنائل: قل لنا ايها الغلام ، أتؤثر الحياة على الموت ام ماذا؟

ــ الحياة يا مولاي فانا لا ارغب في الموت اليوم . وارتسم الذعر على جبينه.

Amly نهضة العرب

فقال : وكيف تسلم هذه الحياة اذا لم يبق عليها الملك .

ــ وهل يقتل مولاي غلام زوجته ؟

ــ نقتله اذا خطر له ان يخدع الملك ، بالامر الذي نعهد اليه فيه !

ــ مر يا مولاي .

ــ تخرج الان وتترك قصر مولاك . ثم تطير في فضاء اليمن كما يطير الجنّي حتى تعرف مقر بلقيس .

ــ ولكني لست من الجن يا مولاي !

ــ كن جنياً فالملك يريد ذلك ! اجل ، قد يخطر لك الان انك ستنجو من ملكك بان تجعل جوف الارض ملجأ لك ، فوتربة ذي القرنــين لئن خطر لك هذا لنحفرن الارض كلها حتى ننتقم منك .

ــ اذن يأذن لي الملك في ان اضيع بضعة اشهر لابلغ الغاية .

ــ امهلناك شهرين اثنين ليس غير

ــ اجعلهما ثلاثة يا مولاي .

قال : ما هو رأيك ايها الكاهن ؟

ــ الامر صعب يا مولاي فليجد الملك بشهر آخر .

قال : ليكن الاثنان ثلاثة فماذا ترى ؟

ــ ارى ان الموت ينتظرني في هذا البلاط ! سأكون جنياً يــا مولاي بل سأكون عقاباً يطير من قطر الى قطر حتى ارى مولاتي بلقيس بعيني الاثنتين .. ولكن سأعود عندما يخيب رجائي ، الى مولاي الملك واضع عنقي على عتبة هذه القاعة قائلا له : اضرب يا مولاي فقد خانني الحظ ! .

ــ لقد رضينا الان فاحذر ان تقول لبلقيس كلمة مما سمعت .

وهم بان يأمره بالانصراف ، فقال الحاجب: رسول من الجنوب يا مولانا .

فقال : ماذا في الجنوب ؟ اعادت الحبشة الى الظهور على الشاطىء ؟ . ادخل يا غلام ، فدخل ، فقال الملك : انك يمني فمن ارسلك ؟

ــ عامل مولانا الملك .

Amly نهضة العرب

ـ خذ يا سرح ابين رسالته واقرأ :

« الى تبع العظيم ملك سبا وحضرموت وريدان من عامله في جنوب اليمن : لقد ظهرت في البحر سفن الحبشة ثلاث مرات ثم اختفت، ولم تلبث حتى ظهرت اخيراً بالقرب من الساحل وهي باقية الى الان » .

فرمى السوط من يده وجعل يقول : انها طلائع حرب فثأر الحبشة لا يموت. اين معدي كرب وعبد شمس .

فحضر الاثنان ، فقال : ليبد كل منكما رأيه .. لقد استعادت الحبشة قواها وارسلت سفنها الى الشاطىء الجنوبي .

فأطرق الرجلان ،وكان معدي كرب يقول في نفسه : لو كان لك ايها الملك قائد جيش لما شاورت سواه .

فأدرك الملك معنى ذلك الاطراق ، فقال : اتضمن الظفر بالحبشان يـا عبد شمس اذا جعلناك قائد الجيش اليمني ؟

فخاف الامير ان يعده بالنصر ثم يمسي وعده فشلا وخيبة ، فقال :

احارب حتى اقتل يا مولاي .

ـ وانت يا معدي كرب ؟

ـ اضمنه يا مولاي وستنتهي الحرب اليوم كما انتهت بالامس .

قال : لو استطاع الملك ان يقود جيشه هذه المرة الى الميدان لهـان الامر ، ولكن شؤون الملك تقضي علينا بألا نترك البلاط .. اعد ما قلت .

ـ اعيد قولي اني اضمن النصر للملك .

ـ اذن فأنت قائد اليمن مذ الان وسنلبسك غداً طوق العاج الذي يضعـه الملك في عنقه ، في الميادين .. ولكن اضرب ايها القائد ولا ترحم فاذا فازت الحبشة اليوم تزعزعت اركان العرش غداً وضاع ملك حمير ؟

قال : لو كانت لنا سفن تحملنا الى بلاد النجاشي لانتزعنا تاجه !

ـ احسنت فقد وثقنا بك كما نثق بالآلهة .. اكتب الان ، الى ذي مغار ، والغوث بن راهـط ، وجبار بن دوير ، وذرعة بن جباة ، والى جميع اصحاب

Amly نهضة العرب

المخاليف ، ومرهم باسم الملك بان يجمعوا الجيوش ويتهيأوا لخوض الغمرات .
— سأفعل يا مولاي .
— ادعهم الى مأرب فالملك يريد ان يرى بعينه اعلام قومه تخفق في الهواء .
— لقد رأيت رأياً يا مولاي .
— ما هو ؟
— هو ان اتعجل في السفر ، مع عبد شمس ، والجيش المقيم بمأرب ، وبما يجاورها من الاقاليم ، ليعود الامل الى صدور اهل الجنوب .
— ثم يلحق بك الامراء بعد ذلك ؟
— نعم يا مولاي .
— انه رأي لا يجد فيه الملك الا الخير .. أتستطيع ان تجمع من مأرب والاقاليم التي ذكرت عشرة الاف رجل ؟
— بل اجد فيها اكثر من خمسة عشر الفاً .
— اذن فافعل ما امرناك به ، ولا تنس ان تأمر الامراء بالمجيء الى مأرب ليراهم الملك قبل الذهاب الى الحرب .. اخرج الان ، وانصرف انت يا عبد شمس لتعد الجنود .. اما انت ايها الفتى ، فارجع من حيث جئت وقل لمولاك ان يثبت في وجه عدوه ريثما تصل جنود الملك .
فخرج الثلاثة ، فقال : أرأيت يا سرح أبين كيف يجور الزمان على الملوك؟
— أين هو هذا الجور يا مولاي ؟
قال : يفر رجال البلاط من يد الملك ويتبع هذا الفرار احتجاب بلقيس ، ثم تهددنا الحبشة وتتوعد وتقول اين هو هذا الجور ؟؟ ان في صدر الملك من الهم ما لا يطيق حمله الجبل العظيم الذي ينطح رأسه السحاب !
فقال في نفسه : ذلك شأن الملك الضعيف الذي ليس له رأي .
ثم قال : ستظهر بلقيس بعد هذا الاحتجاب يا مولاي ويظهر معها رجال بلاطك الخونة ، ثم يسقط تهديد الحبشة في البحر وينتهي الامر .
وكأنه ندم على ما ظهر منه فقال : اجل سيتم الامر كما يريد الملك ولو حاربته

Amly نهضة العرب

قوى الارض والسماء.. اذهب يا نائل ولا تتردد في امرك ... اما انت ايها الكاهن فاسأل الالهة ان تجود على جيوش الملك بالنصر .

وأومأ اليه بان يناوله سوطه ثم خرج على عادته الى ذلك الملهى الذي اعده له ابوه في القصر

* * *

٨٤

عندما يجن الظلام يا نائل .. أسمعت ؟

ــ نعم يا مولاي .

وعندما جن الظلام ، كان نائل في قصر سرح ابين الكاهن الاعظم وقد كتب هذا الكاهن رسالة طويلة يحملها نائل الى بلقيس .

وهذه هي رسالته :

لقد ملأت سفن الحبشة بحر الجنوب . الملك يطلب جميع الامرّاء مع جيوشهم ليوجههم الى ساحة القتال.. معدي كرب وعبد شمس يسبقان الجيش بعد بضعه ايام .. ان الساعة التي تطلبها الاميرة قد اتت الان .

وبعد هذه السطور ، سطور اخرى كثيرة ، وصف بها سرح ابين حال الملك وهمه وحياته في البلاط ، فاخذها نائل ، ولكنه لم يذهب في ذلك ، بل استخفى في القصر حتى غادر معدي كرب وعبد شمس ارض مأرب ، فغادرها هو بدوره ذاهباً الى مغار .

وكانت جيوش المتآمرين ، تجتمع في سهل فسيح ، بين براقش ومغار ، تقوم فيه بعض الصخور السوداء ، كالتماثيل التي تهزأ بالاجيال ، وكان الجنود يقولون : دعينا للقضاء على اعداء الملك الذين لا نعلم من هم !

Amly نهضة العرب

اما شرحبيل وولداه ، فلم يعلم غير الامراء ، ورجال قصر ذي مغار ، انهم يقيمون بذلك القصر ..

تنكروا حتى جهل المقربون امرهم . وقام في الاذهان انهم من اهل صرواح وقد جار عليهم الدهر ففتح لهم ذو مغار ابواب بيته !

اجل ، كانوا ضيوفاً غرباء ، غير ان الامر والنهي في ايدي هؤلاء الضيوف الغرباء ، لا ينقل جندي من صف الى صف الا باذن ذلك الغـلام الامرد ذي العينين الساحرتين ، والوجه الجذاب الفتان ...

وكانت بلقيس ، عندما قدم نائل ، تنتظر اخبار سرح ابين ، ذلك الرجل الكبير في مقامه ، والمقرب الى مليكه .

فلما قيل لها جاء نائل: التفتت الى ذي تبع قائلة له: يخيل الي ان اليوم الرهيب قد اقبل ، ونادت نائلا فتناولت رسالته وهي تكاد تفترسه افتراساً ثم افتر ثغرها وقالت لابيها : اقرأ يا مولاي وقل لامرائك ان ينفخوا في الابواق .

فقرأها شرحبيل ويداه ترتجفان ثم جعل يخاطب ملك حمير قائلا :

لقد جاء يومك يا ابن ذي القرنين !

وقبل ان يعقد مجلس الحرب ، في ذلك المساء ، اقبل رسول الملك ، يحمل اوامره وامر قائد الجيش معدي كرب ! الى اصحاب المخاليف ، فدعاه ذو مغار وقال له : الم يعطك الملك رسالتين تسلمهما الى صاحبي براقش وبينون ؟

— بلى يا مولاي .

— اعطني اياهما وقل لمولانا الملك ان الجيوش ستزحف الى مأرب ...

— ولكن الملك امرني بحمل الجواب .

— سيحمل هذا الجواب رسول من براقش .

ثم قال : ان الغوث وجباراً مقيمان بهذا القصر ، ادع الغوث ياغلام .

فلما حضر الغوث قال الرسول : لقد صدقت الان وهذه هي الرسائل .

وعرف الفتى ان مهمته قد انتهت ، فبات ليلته في القصر ، ثم تركه عنـد

Amly نهضة العرب

الصباح راجعاً الى مـــأرب ، ولم يخطر له ان شرحبيل وبلقيس يقيمان بذلك القصر نفسه .

* * *

٨٥

« اعترف بذنبي الان يا مولاي فقد اخطأت فيما فعلت ، ولكني لم أشأ الدخول الى مأرب كما قال لك نائل ، واعـــداء الملك احرار .. اني اليوم في مغار . وقد قبض جندهـــا على ناشر ورفيقيه الذين كانوا يجمعون الخراج باسم الملك ، في اطراف اليمن !.

لقد امنهم ابي يـــا مولاي على ان يكون للملك رأيه فيهم عندمـــا يدخلون البلاط ... قرأت اوامر مولاي التي ارسلها الى الامراء في هذه الاقاليم ، واني أرى الجيوش تجمع بسرعة لتكون في مأرب بعد شهر ومنها الى ساحة الحرب ، وكنت أؤثر يا مولاي ان يتوجه الجند الى القتال دون ان يذهب الى مأرب ولكن هي ارادة الملك الـــتي تنفذ في الامة والجيش والتي تسكت عندهـــا اراء القواد والمقربين فاهنأ يا مولاي بما وهب لك من عظمة وقوى وليمت عدوك ذليـــلا عند قدميك »

هذا هو كتاب بلقيس الى حبيبها الملك .. وهو كتاب صريح يحمل معـــاني الاستسلام ، والاخلاص والغرام .

وأوصت غلامها بما يجب ان يقول عندما يقابل ذلك الحبيب .

وقد رأت ان يكتب ابوها الى جابر بن مفروق وامير مذحج ، فـــلم يوافقها الامراء في ذلك الرأي وكانوا يقولون :

الجيش كثير ونحن نضمن خلع الملك المجنون .

* * *

Amly نهضة العرب

مشت الصفوف من مغار وهي تهتف للملك الحيري ، وقد كتموهـا السر الذي تزحف الى مأرب من اجله .

كانت واثقة بانها زاحفة بأمر الملك لتحارب الحبشة ، وان العداوة التي اوقد نارها ذو القرنين ، بينه وبين اشراف ذلك القطر ، قد زالت الان .

غير ان بلقيس لم تشأ ان يمعن الجيش في وثوقه ، خوفاً من ان تسوء العاقبة، عندما يطرد الملك من البلاط .

فدعت القواد ، عند حصن نشق قائلة لهم :

يجب ان يعرف الجيش كل شيء قبل ان نصل الى مأرب .

فطاف القواد بين الخيام يهامسون الرؤساء .. ثم جعل الرؤساء يهـامسون الجماعات ، حتى عرفت الصفوف كلها ان ميدان الحرب قد يكون في مـأرب وليس في الجنوب .

ولم يبق ، بعد ان احتاطت بلقيس للامر ، من كل نواحيـه ، الا ان تمشي الى غرضها على مهل ، مع جيشها الخاضع في ظاهره ، والثائر في داخله .

وكان نائل في ذلك اليوم ، قد دخل البلاط ، فاشرق جبين الملك وهو يقول له : لو لم تكن قد بلغت الغاية لما رجعت ، قل اين تركت بلقيس ؟

فقال : تركتها على رأس جيوش الملك التي دعاها الى الحرب !

ـ جيوش مغار وبراقش ؟

ـ نعم يا مولاي ، ومعها امراؤك الخونة الذين فروا من يدك .

فابتسم ابتسامة فيها العز والكبرياء ثم قال : وهل رأيتها انت .

ـ نعم وهذه هي رسالتها اليك .

فأخذ العاشق يقرأ وابتسامته تزداد ، والبشر يغمر وجهه حتى خيل الى نائل انه سيسقط على الارض من فرحه .

ثم تمتم قائلا : وامنهم شرحبيل ؟

ـ اجل يا مولاي ولكنه لم يفعل باسم الملك فلك يا مولاي ان تهدم هذا الامان اذا شئت .

Amly نهضة العرب

قال : الويل لمن يخاطب الملك بأمر العفو عن هؤلاء ‥ أيفرون ثم يجمعون الخراج ليزعزعوا بيت المال ونعفو ؟؟ قتلتنا الالهة ان لم نقتلهم كما يقتل الخونة الاوغاد ... متى يصل الجيش يا نائل ؟

ــ بعد خمسة ايام يا مولاي

ــ ولكن رسولنا الى الاقاليم لم يذكر لنا كلمة عن هذا الجيش .

ــ وماذا يذكر لك يا مولاي وهو لا يعلم شيئاً عنه، ان مولاتي بلقيس ارادت ان تفاجىء الملك بالبشرى فمنعت ذا مغار من ان يكتب اليك !

قال : نراها تهتم لشؤون الملك ولا تبالي بما هنالك من شؤون الحب . فليس في هذه السطور ذكر للزواج !

فعجب الفتى لخفة هذا الملك يحادث الغلمان بامور غرامه فقال :

لقد امرتني بان انقل اليك ان هذا الزواج سيكون في هذا الشهر وهي لم ترد ان تصف شوقها على الرق .

ــ وكيف يتزوج الملك وقواده في الميادين ؟

ــ اذن يتزوج مولاي عندما ينقلون اليه اخبار الظفر .

ــ سننظر في هذا بعد رجوع بلقيس .

وقال لحاجبيه : ليحضر حاشد .

فلما جاء قال له : ان الملك سيطعم الناس بعد ستة ايــام فتهيأ للامر وانقل الى غلمان البلاط .

وقال لنائل: لم يبق ما نقوله الساعة فانصرف الان وكن مع حاشد يوم يحضر الجيش .

فخرج الغلام اللعين وهو يخاطب نفسه :

سيكون البلاط في ذلك اليوم ايها الملك لشرحبيل ابن عمك !

* * *

Amly نهضة العرب

٨٦

اختلف المؤرخون في ذكر الزمان الذي قضـــاه عمرو بن ذي القرنين على العرش هذا يقول عشرة اعوام ، وهذا يقول غير ذلـــك ، الامر الذي يدل على اختلاف مصادر المؤرخين .

لنفترض ان القوم اعدوا عدتهم ليخلعوا ملكهم عمراً ، بعـــد ان طوى من سني الملك اعواماً عشرة .

ان الزمان بين جلوسه وخلعه ، لا نحدده ولا نعرض له فافترض ما شئت ، على ان لا تزيد السنين على العشر . هذا جيش المتآمرين.. اطل على مأرب يحجب الافق ، واهازيجه تملأ الفضاء ، وليس فيه من يهتف لغير الملك .

وكان عمرو ، على احدى الشرفات ، يسمع الاصوات القائلة : الى الحبشة ! وليمت النجاشي ! والزهو يرنح عمراً ، والخيلاء تملأ بردتيه . حتى دخل القواد وطائفة من الجيش ، من باب السور ، وبقيت طائفة اخرى وراءه كأنها تحاصر عاصمة الحميريين .

ودار الجيش في الداخل حول البلاط يجعله ضمن نطاق من السيوف والحراب ويمنع الناس من الدخول والخروج .

والملك لا ينظر الى كل هذا ، بل كان يرسل النظرات المضطربة الى الصفوف ليتبين بينها تلك الحبيبة الحسناء .

ولكن بلقيس كانت غلاماً .. ضائعاً بين الغلمان .. وقد استطاعت ان تقف لحظة عند باب القصر ، مع ابيها واولئك الانصار ، ثم اومأت الى الهدهاد ونائل بان يتبعاها ، وهمزت فرسها راجعة الى البيت الذي خرجت منه ..

غير ان نائلا لم يلبث حتى رجع الى البلاط ، ليحمل الى سيدته اخباره .

وكان الملك قد مل وتعب نظره .. فانثنى الى تلك القاعة الفسيحة التي يجلس

Amly نهضة العرب

فيها لرعيته ، وسوطه في يده وهو يعبث به .

واقبل شرحبيل في مقدمة الاشراف ، ثم تبعه الغوث ، وجبار ، وذو مطار وياسر وايديهم على السيوف ... ثم ظهر بعدهم ناشر ، وعتيك ، وذو تبع ، ولا سيوف معهم . ثم دخل على الاثر ، سرح ابين وذرعة بن جباة .

فوقف الملك وقد لمع الشرر في عينيه .. وعرف القواد اسباب غضبه ولكنهم لم يكترثوا له ، بل سجدوا كما كانوا يسجدون ، وسلموا كما كانوا يسلمون .. الا ناشراً ورفيقيه فقد وقفوا مطرقين وايديهم على الصدور ، فرفع الملك صوته قائلا : ما هذا يا شرحبيل ؟

ـ ماذا جرى يا مولاي ؟

ـ اتدخلون قاعة الملك والايدي على السيوف ؟

ـ نعم فرجال الحرب لا يتركون سيوفهم في الميادين !.

ـ ولكنكم في بلاط الملك الان .

ـ ولكننا ذاهبون الى القتال ونحن قواد اليمن واشرافها فلا نضع سيوفنا حتى نجعل رقاب اعدائنا مواطىء للنعال .

وكانت لهجته لهجة قائد بين جيشه ، لا لهجة امير بين يدي مليكه .

فقال : لم يفعلها التبابعة قبلنا حتى نفعلها نحن .. ضعوا سيوفكم في الرواق . خذها يا غلام ..

ـ بل نضعها هنا عند قدميك ، وجرد سيفه والقى به الى الارض ، ففعل الامراء كما فعل وهم يبتسمون ابتسامات الاستخفاف .

ثم جلس الملك وامرهم بالجلوس وهو يقول : هذا انت يا امير ظفار ؟

ـ كنت اميراً يا مولاي ..

ـ واليوم ؟

ـ اما اليوم فقد اصبحت صعلوكاً لا امارة لي ولا مال ...

قال : اما المال فقد جمعتم منه الشيء الكثير ... اين الخراج الذي سرقتموه من رعية الملك ؟

Amly نهضة العرب

ــ احتفظ به كله امير همدان ... فنظر الى ذي تبع نظرة الذئب .. ثم قال لناشر : ولماذا فررت من قصر مولاك ؟

ــ اغراني بهذا الفرار امير همدان !

فامتلأ صدر الملك غيظاً من امير همدان ... انه بطل الرواية على ما ظهر له، وهو سبب البلاء ، فقال له : ادن منا ايها اللعين !

فدنا وهو ساكت ، وعلى ثغره تلك الابتسامة التي ذكرت لك .

ــ ادن ايضاً .. فظن ذو تبع انه سيفاجئه بضربة من خنجره . ولكنه دنا وهو حريص على حياته حتى اصبح بين الاثنين قيد ذراع ، فقال وصوته يرتجف: قل الان يا خائن لماذا فررت ؟

ــ لاني رأيت الملك يسفح دماء قومه ويشرب هذه الدماء !

ــ ويلك أتجرؤ على ان تقول هذا والموت ينظر اليك ؟

ــ اقوله لان الموت ينظر الي ولا ابالي .

قال : كان عليك ان تعلم أن الملك يسفح دماء الخونه مثلك . . اكان وتار ذمر بريئاً ؟

ــ لقد تآمر مع ابيك على شرحبيل وبلقيس ولم يتآمر على الملك

ــ اذن كنتم انتم الكذبة !

ــ وكنا متآمرين .!

قال : اسمع يا شرحبيل !

ـ انه يهذي يا مولاي فاضرب عنقه .

قال : سنفعل بعد ان نسمع اعترافه : . هات ايضاً .

ــ اسأل ايها الملك !

ــ هل كان هذان الاثنان شريكين لك في المؤامرة ؟

ــ كان عتيك سيد المتآمرين وناشر صاحب سره .. وضحك قائلا : ولماذا لا تسألني عن عمك شرحبيل وهو الذي كان يأمر ونحن نطيع .. عمك هذا ايها الملك الا تراه ؟! فتلفت الملك خائفاً كأن تلك الكلمة انذار له .. ولكن هدوء

Amly نهضة العرب

شرحبيل ، اعاده الى هدوئه ، فجعل يقول : انه اعتراف غريب نخشى انتكون صادقاً فيه ، فقهقه كأنه بين قومه ، وهي المرة الاولى التي يقهقه فيها رجل امام تبع العظيم إله اليمن .

والملك يحتمل ويقول : اضحك للموت يا لعين .

ــ بل اضحك لهذه الحكاية التي كاد الملك يؤمن بها كما يؤمن بالالهة .. اسمع يا مولاي ، ألم انقذ حياتك وانت في مهرة من سيف ذلك الحبشي ؟

ــ وهل تمن على الملك يا ابن همدان .

ــ بل اسأله ان يجود علي بالحياة كما فعلت معه .. فضاق صدر الملك وقال : ليس لمن يخون الملك حياة ، اعطنا سيفك يا ذرعة .

ــ بل يبقى هـــذا السيف في موضعه وبما ابوح لك بكل ما اعــلم ... ان شرحبيل بن عمرو امنني كما أمن رفيقي فهل تريد ان نعيش ؟

ــ لا

ــ وما هو الذنب الذي نستحق القتل من اجله ؟

ــ ذنب الخيانة .

ــ اذن فالخونـــة يريدون ان يموتوا دفعـــة واحدة ايها الملك.. ابدأ بعمك شرحبيل فقد تآمر عليك لان أباك اراد ان يعبث بشرفه .!

فاحمرت عينا الملك وقال: أخمد انفاسه ياعم ، فاجابه شرحبيل قائلا : صدق الرجل فقد فعلت ما ذكره لك.. فعض على شفته قائلا : ولكنك والدبلقيس، وامعن ذو تبع في اعترافه فأخذ يقول : والغوث خائن لان اباك جرح كرامته وانتهك حرمته .

قال : يا غوث ؟

قال : أجل،واستخففت انت بي فلم تعتذر ولولا دهائي لقتلت وسال دمي في هذه القاعة .. الا تذكر هذا يا ملك حمير ؟ فـــأيقن المسكين عندئذ بانهم جميعهم جلادوه ، وجعل ينظر الى جانبيه وقد اصفر وجهه وذهبت عزة الملك .

اما ذو تبع فاستطرد قائلا :

نهضة العرب Amly

اسمع اعترافي يا عمرو ! انك الان بين ايدي قواد اليمن الذين يخضعون جميع المخاليف بقوة السيف على الرغم منك .. ألم تسلب ناشراً حبيبته وتهشم جسدها الندي بخنجرك ؟ ألم يقتل آل بيتك والد عتيك بن روضة افظع قتل وقد صبر عتيك هذه الاعوام كلها ليثأر به ؟ قل يا عمرو اتستعين الان بسرح ابين وهو عين لنا عليك ، ام بلدرعة بن حباة وهو من رجال ناشر ؟

فحاول الملك ان يخفي اضطرابه فلم يقدر .. ثم قام في ذهنه انه بين يدي الجلاد ، فجعل يصيح قائلا : يخونون الملك ويقتلونه في بلاطه وليس في هذا البلاط رجل واحد يدافع عنه ؟

قال : لو اردناقتلك لما ابقينا عليك الى هذه الساعة .. لقد وهبت لك بلقيس الحياة ، فلا تخف ، وكن شجاعاً كما كنت فالملوك لا ينسون عزهم اذا اكفهر وجه الزمان !

فزاد اضطراب المسكين ودمعت عيناه .. ان يد بلقيس تلعب من وراء الستار وهو لا يعلم .. وقد ضاع امله بغرامه كما ضاع امله بالعرش .

واخذ يردد كلمة الفتى : لقد وهبت لك بلقيس الحياة .. ثم قال :

اذن فانتم تفعلون هذا باسم بلقيس ؟

— اجل فهي صاحبة الامر في كل ما تراه الان ولا نعلم اذا كانت عاطفة الحب هي التي اوحت اليها بان نعفو عنك .

فعادت اليه ، عندما كمل يأسه ، عظمة الملك فقال :

أتهزأ بملكك يا ابن همدان وقد كنت عبداً له ؟ اقتلوني ايها الانذال فأنا اعزل وهذه سيوفكم عند قدمي .

— بل تنزل عن العرش وتطرد من مأرب .. هكذا ارادت بلقيس .

— ومن يجلس على عرش حمير ؟

— تجلس فيه بلقيس ايها الملك .

— وهل تزوجت ؟

— لا ، ولكنها ستزف الى الفتى الذي يخاطبك الان !

Amly نهضة العرب

فحنى رأسه للقدر الجائر ثم وضعه بين يديه واستخرط في البكاء .

وليس في ذلك ما يدعو الى الاستغراب فبعض النفوس وان كبرت ، تصغر عند الاهوال .

ولكن الغرابة ، ان غرام الملك استيقظ في تلك الساعة الرهيبة ، واستيقظت معه ذكرياته واحلامه التي عقبتها الخيبة القاتلة .!

ولعل الكبرياء وحدها هي التي استيقظت فيه .

فنهض عن مقعده قائلا لشرحبيل : هذا هو المقعد الذي اعده الملك لبلقيس فلتجلس ، فقد تخلى لها عنه .

غير ان ذا تبع كان قاسياً اذ قال : بل تنزع منه نزعاً يا ابن ذي القرنـــين .. قيد يدي هذا الرجل يا ابن جهاة .

فقام ذرعة ففعل والملك مستسلم هادىء لا يقول كلمة .

ثم قال صاحب همدان لسرح ابين : أليس لك ما تقوله ايها الكاهن ؟

فنهض وقال : اخلعتم ملككم ايها الامراء ؟

فقالوا جميعهم : اشهد ولتشهد الالهة اننا خلعناه !

فقال : اذن تخرج الان يا عمرو من مأرب على ان لا تعود اليها الى الابد..

قال : لي كلمة لا اعلم لمن إقولها .

فأجابه شرحبيل وهو يبتسم : قل كلمتك .

ـــ ارجو ان ابقى في البلاط حتى تتربع بلقيس في العرش .

ـــ مهما تكن هذه الغاية فلا بد من قضائها .

فاحس شرحبيل ان قلبه يتمزق فقال : ابق وسترى بلقيس رأيها ، ثم قال لذي تبع : ادع اشراف مأرب .

وقال للقواد : واركبوا انتم ايهاالقواد افراسكم وخذوا مركبة الملك لاحضار بلقيس بين صفين من الجنود .

فانصرف القوم ولم يبق في القاعة ، غير الملك ، وشرحبيل ، وسرح ابين ،

Amly نهضة العرب

وكان الملك واقفاً ، وعيناه تنظران الى الارض .

* * *

يقول بعض مؤرخي العرب ، ان ملك حمير ، انتقل بعد عمرو بن ذي القرنين الى شرحبيل بن عمرو ، ثم الى الهدهاد ، ثم الى بلقيس .

ويقول البعض الاخر انه انتقل الى الهدهاد ، ثم الى بلقيس ، ولم يملك ابوهما بدليل انهم لم يذكروه .

غير ان مؤرخي اليونان ، وبعض المستشرقين الذين قرأوا ما على الاثار من اسماء ، يقولون ان هذا الملك انتقل اولا الى بلقيس ، ثم الى اخيها الهدهاد ، يثبت قولهم انهم لم يروا اسم شرحبيل بين اسماء الملوك التي عثروا عليها بين الانقاض في مدن اليمن ..

* * *

٨٧

انتقلت مأرب كلها الى البلاط .. لقد كان الغلمان ينادون في الاسواق : خلع عمرو بن ذي القرنين عن العرش وخلفته بلقيس بنت شرحبيل . وهو نبأ تهتز له اليمن كلها كما اهتزت له مأرب .

ثم رأى الناس بلقيس ، على مركبة حمير ، يحيط بها النبلاء والحراس ، وينشر وجهها اشعة البهاء والجمال .

فارتفعت اصوات القوم : تعيش بلقيس !

وهكذا يفعل الناس في كل زمان ومكان .

وكان القصر العظيم يغص بطوائف اليمنيين ، فلما اقبلت بلقيس ، حملها

Amly نهضة العرب

قوادها ورفعوها فوق الرؤوس ثم انزلوها في تلك القاعة التي ينتظرها فيها الكاهن الاعظم ، والملك ، سيد الاشراف والكهان .

وقد اصطف الحجاب بباب القاعة يمنعون العامة من الدخول .

فشت بلقيس كما تمشي الملكات ، وعندما توسطت القاعة انحنى لها سرح ابين قائلا : لقد عهد الي اشراف اليمن وامراؤها ، بعد خلع ملكهم في ان انادي بك ملكة .. فلتعش ملكة حمير .

فتمتمت بلقيس الفاظ الشكر وقبل ان تجلس في مقعدها ابصرت عمراً مقيد اليدين والذل يبسط فوقه ظله .

فقطبت حاجبيها وقالت للغوث : تخلعون ملككم يا امراء اليمن وتبقونه في قاعة العرش ؟

ـــ لقد امره والد الملكة بالبقاء .

فقال شرحبيل : طلب الي ان ابقيه ريثما تدخلين البلاط ، ففعلت .

فاقبل عمرو يقول : اردت ان ارى التاج فوق جبينك الزاهي يا ابنة العم ثم أنصرف حيث تشائين !

فحولت وجهها عنه ثم خفضت صوتها قائلة : اخرجوه ..

قال : الى اين يا بلقيس ؟

ـــ الى البلد الذي تطيب لك الاقامة به !

ـــ وهل تريدين ان ينزل ملك حمير عن عرشه ويخرج من بلاطه صفر اليدين وهو الذي يملك جميع ما في اليمن ؟

قالت : اذا كان لك مال فخذه على ان لا تمس مال اليمنيين .

ـــ آخذ مال ابي .

قالت : اعطوه اياه وليخرج الان ! .

ـــ ولكن لي كلمة اخرى لا اخرج قبل ان تسمعها الملكة ... ألم أعدّ لك العرش برضاي لتصيري ربة اليمن كما اصبحت الساعة ؟

ـــ بلى ، ولكنك ، في الوقت نفسه ، اعددت الموت لابي وللامـــراء الذين

Amly نهضة العرب

حولك لانهم مخلصون لي ولآل شرحبيل !
ــ ولماذا لم تسأليني ان اعفو عنهم ؟
ــ لاني خفت ان يقودني هذا السؤال الى القبر .
ــ بل لانك تحبين صاحب همدان وستتخذينه زوجاً لك !
قالت : اعطوه ماله وليخرج .
ــ سأخرج يا بلقيس .. ولكن اذا كان ابن ذي القرنين سيحتمل بصبر نزوله عن العرش فهو لا يحتمل ان يراك زوجة لسواه .
ثم قال : هذا قصر آبائي فخذيه ، وهذا عرشي وتاجي فاهنإي بهما ولكن اذكري هذا ولا تنسي .
ومد يديه كالمستعطي قائلا للامراء : اعطوا ملك حمير مال ابيه ليقدر ان يعيش !!.
فتردد شرحبيل في الامر وجعل ينظر الى ابنته .
وقام ناشر فقال : سيشتري بهذا المال اعداء للملكة !
وقال جبار : ليبق في مأرب وعين الملكة تراه .
وقال الغوث : اجعليه يا مولاتي في احد الخصون بين حراب الحراس .
اما عتيك فكان ارحمهم اذ قال :
بل اقتليه في هذا الرواق الذي تعود ان يسفح فيه الدماء .
فأجابتهم قائلة : اعطوه ماله .. وليشتر به انصاراً له .. وليسترجع العرش
واومأت الى ناشر بأن يفعل ، وهي تكره ان تظهر بمظهر الخائف ، في اليوم الذي ترفعها الايدي الى عرش حمير .
وساد السكوت فقد امرت الملكة ولا مرد لما تأمر به .

* * *

نهضة العرب Amly

٨٨

هؤلاء اهل مأرب ، الذين هنأوا ، بالامس عمراً الملك ، يهنئون بلقيس ...

وتلك هي الرواية التي مثلت بالامس ، في قاعة العرش ، تمثل اليوم لم يتغير فيها شيء الا وجه المالك سعيداً

وقد خرج عمرو يحمل المال الكثير . وهو حر يروح ويجيء ، ويهامس ويتآمر على هواه ، دون ان تراه العيون !

انها خطيئة لا تغتفرها الحكمة لبلقيس .

أجل ، لقد وضعت يدها على الملك ، وأمست حراب الجنود وسيوفهم سوراً منيعاً يرد غوائل الزمان .

ولكن هذا السور لا يلبث حتى تتفرق اجزاؤه . واولئك الامراء الذين يحمون العرش بالقوة والنفوذ ،لا يلبثون ان يعودوا الى مخاليفهم لينظروا في امور القوم الذين يسودون ، وماذا تصنع بلقيس ووراءها ملك حر ، غلب على امره وغصبوه ملكه ؟! اتطوق العاصمة ، بصفوف من الجند ، في الربيع والخريف ، والصيف والشتاء ، والليل والنهار ، لتمنع عدوها المغلوب المقهور من استرجاع حقه ؟؟ام تخلد الى الحياة الهادئة ، والعيش الرغيد ، ثم تفتح الارض فاهاوتبتلع العرش ؟

ألم تكن تعلم ، وهي نابغة العرب في دلك الجيل ، ان الاقدار جعلت جيش اليمن فريقين هذا في يدها وهذا في يد الملك فهي اذن في حالة حرب دائمة لا يهدأ احد الفريقين حتى يسحق الفريق الاخر ؟

ألم تكن تعلم ، ان الغوث وجباراً ومن معهم ليسوا اليمن كلها بل هناك امراء كثار ، ومخاليف لا تعد ، تقذف المال والرجال ؟

ـ بلى ، كانت تعلم كل هذا ، ولكنها لم تشأ الا ان تستسلم الى الكبرياء ،

نهضة العرب Amly

ولم يشأ رجالها الا ان يثقوا بنفوسهم الوثوق الغريب الذي لا حكمة فيه ! لكل نابغ زلة ... ولكل عظمة ساعات جهل وضعف .. لقد زلت بلقيس ، كما زل سواها من ابطال التاريخ ... وما كان القدر ليرحم ملكاً او يثبت على عهد ...

* * *

٨٩

بكى الملك بكاء الطريد الذليل الذي لم يبق له ملجأ في عاصمة ملكه ،وعندما وقف فرسه وراءالجيش خارج السور ، لينظر النظرة الاخيرة الى مأرب ،كانت الشمس تحتجب وراء الافق ، وقد بدأ الليل يرخي على العاصمة جلبابه الاسود .

فتنهد قائلا : لئن نعمت عينك يا بلقيس بالعرش فهي لا تنعم بهذا الزواج الذي تفكرين فيه ... اذكري هذا يا بلقيس ولاتنسي،ولوى عنق فرسه ليختفي في الظلام ... ولكنه ابصر شبحاً يدنو منه ثم تبينه فمسح دموعه وقال مضطربا : هذا انت يا حاشد ؟

ــ نعم يا مولاي وانا ابحث عنك !

ــ اذن حدث حادث في مأرب ..

ــ لم يحدث شيء يا مولاي ولكني خرجت من البلاط لاكون بين يدي ملكي فانا لا اطيق الاقامة بقصر لا يقيم هو به . فجعل يشهق ويقول : لقد بقي للملك خير صديق في بلاطه ...

ــ لم اكن قط صديقاً يا مولاي ، اني عبد طائع اريد ان اقضي العمر كله نائماً عند قدميك كما ينام الكلب الامين .

ــ وهل نسيت يا حاشد ان حياة الملك امست شقاء وذلا ؟

Amly نهضة العرب

ــ كانت حياته مجداً وستعود .. الى اين انت ذاهب يا مولاي ؟

ــ الى حيث يقودني هذا الفرس فليس للملك غاية في ذهابــه ولا يعــلم اي موضع يضع فيه قدميه .

قال : أتأذن لي يا مولاي أن اقول كلمة ؟

ــ قل

ــ الا تذكر انك ارسلت معدي كرب وعبد شمس الى الجنوب ليحاربا الحبشه على رأس خمسة عشر الف رجل من ابطال مأرب ؟

ــ بــلى

ــ الم يكن هؤلاء الجنود رجال الميادين في كل زمان ؟

ــ لا اعلم .

ــ انهم جنود ابيك يا مولاي وقد خاضوا معه الغمرات .

ــ وماذا يرجو الملك اذا كانوا كما وصفت ؟

ــ يستعين بهم على استرجاع التاج والقضاء على الغاصب .

فهز رأسه قائلا : انك تريد ان يهزأ الملك بنفسه وبقومــه ! . ماذا يفعل جيش الجنوب مع جيش مأرب ؟ ألم تر فرق الجند التي تطوف وراء السور ؟ انها وحدها اكثر من جيش الجنوب الذي تذكر واعظم شأناً منه .

ــ ولكن لم اقل بعد ما اريد ان اقوله .

ــ وهل بقي شيء لم تقله ؟ ستقول ان شجاعة معدي كرب وعبــد شمس تغلب كثرة هؤلاء أليس كذلك ؟

ــ لا يا مولاي بل اقول ان عندك جيشاً آخر يفديك بدمه .

ــ دلني على هذا الجيش .

ــ ألم يجد عليك الغاصب بمال ابيك ؟

ــ بلى وهي نعمة اذكرها لبلقيس ..

ــ اذن تستطيع ــ كما قال ناشر ــ ان تشتري بهذا المال جيشاً اوله في مأرب وآخره في الجنوب .

Amly نهضة العرب

فخفق قلب الملك واصغى الى نديمه . وكان حاشد يقول : وسترى يا مولاي ان اليمن كلها ليست لبلقيس وان في المخاليف امراء لا يعلمون من امر خلعك شيئاً .

قال : كان الملك قد ضيع امله ثم وجده الان .

ــ نعم يا مولاى فالمال الذي يحمله فرسك يكفي ليشتري اليمن .

قال : هات ايضاً يا حاشد .

قال : سيشتري حاشد غداً فرساً آخر يركبه ليرافق مولاه الى ساحة القتال

ــ ثم ماذا ؟

ــ ثم نقص على القائدين حكاية بلقيس وتأمرهما بالرجوع مع الجيش الى مأرب لتستعيد العرش الذي سلبتك اياه .

فذكر الملك عندئذ سفن الحبشة التي تملأ البحر ، فقال : لنفترض ان الجيشين يتحاربان اليوم ، فماذا نفعل ؟

ــ يترك جيشك ساحة القتال لعدوه ، وليستول الحبشان على ذلك الاقليم بدون حرب .

قال : ويلك يا حاشد أأتخلى مختاراً للنجاشي عن الجنوب الذي يطمع فيه أرأيت ملكاً تخرج بلاده من يده وهو قادر على حمل السيف ؟

ــ ولكنك اليوم يا مولاي لست ملكاً كما تظن .

ــ ولكني يمني .! اجل يمني خسر اليمن كلها دفعة واحدة . . فجعل ينظر اليه وهو ساكت.

فقال : كنت ملكاً يا مولاي فسلبوك تاجك اي انهم سلبوك بلادك وقومك وكل ما هو لك ولآبائك .

ــ نعم

ــ وأمسيت يا مولاي طريداً ولا بلاد لك .

ــ نعم

ــ اذن فخير للملك الذي سلبوه ملكه ان يسحق عدوه ، ويسترجع هذا

Amly نهضة العرب

الملك ولو خسر اقليماً واحداً من هذه الاقاليم الكثيرة التي تمتد وراء الافق ...
ولكن لا يا مولاي فأنت قادر على استرجاع هذه الاقاليم من يد الحبشان عندما تظفر بعدوك .

فرأى الملك ان الفتى مصيب في رأيه ، فقال :

ومتى نجمع جيوش المخاليف ؟

قال : نذهب الى الجنوب ساكتين لا نقول كلمة ، ولكن عندما نعود ، تعود انت يا مولاي على رأس الجيش ثم تقول للامراء الذين تمر بهم : لقد خـــان الملك ، شرحبيل بن عمرو ، وابنته بلقيس ، فهلم الى مأرب .. ثم تملأ ايـــديهم مالا فيطيعونك ويلتف حولك رجال يهدمون سور مأرب في ليلة واحدة وينتزعون بلقيس انتزاعـــاً من العرش ولو حرستها الجن ، فطابت نفس الفتى الشقي ... وقال لخادمه :

من علمك هذا الوفاء يا حاشد وقد كان الملك متغيراً عليك ؟

قال : ما نسيت قط اني ربيت في نعمة مولاي ذي القرنين .

ــ ولكني لم احسن قط اليك ... ــ احسن ابوك وهذا يكفي .

قال : لقد سلمت امري اليك فافعل ما انت فاعل .

قال ستهز يا مولاي مرة ثانية صولجان الملك .. وبات الاثنان ليلتهما في احد الاودية ثم رحلا عند الصباح .

* * *

Amly نهضة العرب

البحر في الجنوب ، هادىء صاف ، لا تصخب امواجه ، ولا نهب فوقه الرياح الهوج ، وليس على مياهه الصامتة ظل لسفن الحبشان !

وكل شيء في ذلك القطر على حاله الماضية .. انظر الى الشاطيء ، فليس في جوه غبار المتحاربين . ونظر الى السهول الجرداء فليس فيها اشلاء الاجساد وآثار دماء .. وهذه خيام الجنود .. جنود الملك ، يستسلم اصحابها الى الكرى عند الصباح وتخفق فوقها رايات حمير ، اذن ليس في الجنوب حرب يا حاشد.

ـ هذا ما يظهر يا مولاي ولعل الاخة تريد ان تضع يدها بيـدك لتعود الى مأرب بعد شهر .

قال : مهـلا فهؤلاء هم حراس الخيام ، وكان هنـالك صف مستطيل من الحراس ، فدنا الملك وخادمه من ذلك الصف وقفزا الى الارض .

فقال احد الجنود لرفاقه : اثنان متنكران .. فاقبلوا والرماح في الايدي ، وقال رئيسهم لحاشد : من انت ايها الفتى ؟

ـ نديم الملك عمرو بن ذي القرنين !

فالتفت الى الحراس قائلا : وماذا يفعل في هذا الاقليم نديم الملك ؟

فقال حاشد وهو يريد ان يرى تأثير كلمته : يتبع مولاه الى الميادين ! .

ـ ولكن الملك في مأرب .

فرفع الملك قناعه وقال : بل هو هنا . فعرفه الحارس وصاح برجاله: الملك، فخروا ساجدين ثم جعلوا يهتفون له .

فهامسه حاشد قائلا : أرأيت يا مولاي انك لم تزل ملكاً ، فلم يجب ، غير ان عز الملك مر امام عينيه كما يمر الظل ، فمشى الى الامام وهو يقول :

Amly نهضة العرب

دلوني على خيمة القائد فانا لا ارى رايته .

فساروا امامه وقد عادوا الى الهتاف ، فاسكتهم قائلا في نفسه : لو عرفتم ايها الحراس ان بلقيس سلبتني العرش لما هتفتم لي .

ومر بين الجنود الذين سمعوا الهتاف وهو لا يلتفت الى احد حتى انتهى الى خيمة معدي كرب فاذا القائد بالباب وعبد شمس بالقرب منه ، ورأى الاثنان وجه الملك الاصفر .. وشفتيه المرتجفتين .. فخفق قلباهما وهما ينحنيان له ، ثم جعلا ينظران بدهشة واستغراب الى ذلك الوجه ، اما هو فدخل وامرهما بالدخول وارخى حاشد ستار الباب ووقف وراءه ، كأنه لا يريد ان يدخل الخيمة احد الجنود ، ثم قال الملك : اين سفن الحبشة وصفوف جيشها يا معدي كرب ؟

قال : لم نبصر لهذه السفن اثراً يا مولاي .

ــ وماذا يقول عامل الملك ؟

يقول ان هذه السفن ظلت في البحر بضعة ايام تروح وتجيء ثم اختفت كأنها غاصت في الاعماق !

ــ اين هو الرجل الان ؟

ــ في المعسكر يا مولاي .

ــ اخشى ان يكون كاذباً فيما كتبه الى الملك ألم تسألوا سواه من اهل الشاطىء الذين يصيدون الاسماك .

ــ لا يا مولاي لم يخطر لنا ان نفعل ذلك . قال : علي به الساعة ، فتسابق الغلمان يطلبونه فحضر ، فقال له : ألم تذكر في رسالتك الى الملك ان الحبشان في البحر ؟

ــ بلى يا مولاي .

ــ واين هم ونحن لا نرى في الجنوب وجهاً اسود .. وكان يخاطبه وهو ملك ..

ــ لا اعلم يا مولاي فقد رأيتهم بعيني واعددت العدة للقتال ريثما يصل الجيش ثم احتجبوا لا يبين لهم اثر وكأني لم ارهم قط .

Amly نهضة العرب

ـ ومن رآهم ايضاً ؟

ـ جميع اهل الشاطىء والجنود .

قال : ليحضر بعض الصيادين يا عبد شمس ، فاقبلت طائفة منهم فقال لهم : من رأى منكم سفن الحبشة على الماء ؟ فقالوا جميعاً : رأيناها كلنا وقد ظلت اشرعتها بضعة ايام تصفقها الريح . فاكتفى بهذا السؤال واومـأ اليهم والى عامله بالانصراف ثم جعل يقول : لقد حسبنا انه يتـآمر على ملكه مع غاصبي للعرش ، فقال معدي كرب : من هو اليمني الذي يستطيع ان يغصب الملك عرشه؟

ـ غصبونا اياه وانتهى الامر !

فنهض قائلا : لا تهزأ بقوادك يا مولاي، قال : اجلس واسمع فالذي يخاطبك الان كان ملكاً لحمير اما اليوم فهو يمني عـادي يدعى عمراً وكان ابوه يدعى ذا القرنين ..

فنسي القائد عندئذ كبرياء الملك ولم يذكر غير اخلاصه له ، فقال :

ومن هو الرجل الذي يخلف عمراً ؟

ـ لم يجد المتآمرون رجلا يولونه الملك فوضعوا تاج التبابعة على رأس فتاة

قال : بلقيس . فقال : بلقيس ؟. .

ـ اذن فقد عرفت الخونة يا مولاي ، ان ذا مغار في المقدمة .

ـ ويتبع ذا مغار جميع الامراء الذين يجاورونه ، عدهم يا جاشد ، فاخذ الفتى يعدهم حتى انتهى الى ذكر سرح ابين وذرعة بن جباة .

فقال معدي كرب : ويخون الملك رجال ظفار وقد احاطهم بالنعم ؟ .

ـ اجل وبلقيس نفسها التي اراد الملك ان يرفعها الى العرش تقود المتآمرين

فاطرق ملياً ثم قال : وماذا يريد مولاي ان يفعل الان ؟ فاجابه عبد شمس : يستعين بالامناء من شعبه فيزحف بهم الى مأرب .

قال : مغار ، وبراقش ، وبينون ، وهمدان ، ونحلة ، وظفار .. ستة مخاليف هي اقوى مخاليف اليمن ... اذن يجب ان نغزو هذه القوى باربعين الفاً مـن الرجال ...

Amly نهضة العرب

وانتقل بالفكر والروح ، الى الاقاليم الباقية ، فقال حاشد : سيكون عدد الجيش اكثر مما تظن .. وابدى للقائدين ذلك الرأي الذي ابداه لمولاه ...

فدبت نخوة العرب في صدريهما وقالا : لم يخسر الملك تاجــه كما يظن ، بل هي تجربة من تجارب الاقدار . انهض يا مولاي واعرض جيشك ، ولنبذل المال في الاقاليم لتبذل لك الدماء .

فعادت الى الملك قوته ، ووثب كالليث الجريح ليستعيد شرفه ومجده .

ودعي الجيش المقيم في الجنوب الى السلاح .

* * *

٩١

كانت بلقيس ملكة . ملكة في كل شيء ، اذا استثنيت الضعف الذي رأيت.

الامن في اليمن ، يمد رواقه في ظل بلقيس ، والنـــاس في كل مكان وصلت اليه اخبار الملك المجنون يدعون لها بالعز

وقد سارت الرسل الى اقاليم اليمن كلها تحمل بشرى جلوسها على العرش . والامراء في اليمن ، والاشراف ـ ان لم يكونوا اصحاب حاجات ـ لا يبالون بالجالس على العرش،سواء أكان من صلب ذي القرنين ، ام من صلب شرحبيل، حقهم محترم ، وارادتهم في اماراتهم لا ترد ، وهم يدفعون الخراج في كل عام ، من خير ارضهم وبركات الالهة ، الا الذين يبغضون آل البيت المالك ، فهؤلاء لا تنعم لهم عين الا اذا احطوا ابناء هذا البيت، عن المقام الذي يتمتعون بنعمه.

وكانت بلقيس تحفظ الوفاء لأولئك الانصار ، ويقضي هذا الوفاء بأن تأذن لبعضهم بالرجوع الى البلاد التي لم يخرجوا منها الا ليولوها الملك .

وماذا تخشى بلقيس واصوات الدعاء لها يحملها الهواء الى البلاط ؟!

Amly نهضة العرب

ان امراً واحداً تخشاه هو ذلك الفراغ الذي يحدثـــه رجوع الاشراف الى المخاليف وهذا ما ستحتاط له ولنظر في امره .

ولم تكن تفعل شيئا الا اذا شاورت ذا تبع ، ورأت ان الامراء يريدون ان يفعلوه ... فدعتهم اليها في احدى الليالي قائلة لهم :

ألا ترون ان اليمن هادئة وان الرأي ان تعودوا ؟

فقال الغوث : نخشى ان نعود فيعود الملك .

قالت : اذا عاد هذه المرة لقي الموت .. ان الجيش الذي يبقى في مـــأرب يصرعه خارج السور .

ـ ومن يبقى يا مولاتي ؟

ـ اهل همدان وظفار ونحلة !

ـ انهم اضعف من ان يتصدوا للملك ثائر وراءه الجنود .

ـ ولكن اين يجد هؤلاء الجنود وقد خرجت اليمن من يده ؟

فأجابها عتيك وهو يبتسم: يجدهم في الجنوب بقيادة معدي كرب وعبدشمس.

فضحكت قائلة : ايجسر الرجلان على العصيان يا عتيك ؟

ـ اجل يا مولاتي فقد كان الاثنان من اشد المخلصين لذي القرنين .

فالتفتت الى ناشر قائلة : ألم تكتب اليهما ؟

ـ بلى ، وامرتهما باسم الملكة ، بأن يصفا لك حرب الحبشة .

فقال عتيك : يخطر لي ان الملك في الجنوب اليوم ، وسيقرأ الكتاب المرسل الى القائدين ويهزأ بكاتبه .

قالت : لقد دبت قشعريرة الخوف في جسم ابن روضة .

ـ ان الذي لم يخش الملك وهو على عرشه ، لا يخشاه وقد ازل عنه ، ولكن قلبي يحدثني بأن هذا الملك الذي خلعناه وسلحناه بالمال لا يلبث حتى يعود حاملا غضبه وحقده ، وثورة نفسه ، على شفرة السيف .

ـ ثم يهدم البلاط على رأس الملكة ويبني له بلاطاً آخر من جماجم اليمنيين ..

ـ بل يسترجع تاجه اذا استخفت الملكة براي ابن روضة !

Amly نهضة العرب

قالت : وما رأيك ؟
ـ ان يبقى في مأرب وخارجها ثلاثون الف جندي .
ـ اذن نبقى في حالة حرب الى الابد .
ـ نعم ... ولا تتغير هذه الحال الا اذا وضع الملك في قفص او قتل .
فنظرت الى الامراء وهي تقول :
احرسوا الملكة اذن واجعلوا مخاليفكم نهباً للعشائر الطامعة .
ـ بل نجود بهذه المخاليف على ان نحمي هذا الملك الذي بنيناه .
فقالوا جميعهم : صدق عتيك .
قالت : اذا كان هذا فلننظر في الامر من وجــه آخر .. هل كتبت يا ناشر الى جابر بن مفروق امير مذحج ؟
لم تأمرني الملكة بأن افعل .
ـ وكيف نسيناه وهو عدو ذي القرنين وعدو نسله ؟.. اكتب اليه الساعــة وقل له ان يحضر مع عشيرته كلها ليقيم وراء مأرب .. أترضى يا ابن روضة بان يكون جابر مع قومه حراساً للعرش ؟
ـ ارضى بان يصون هذا العرش ثــلاثون الف سيف لا تنقص حتى يموت عمرو كما قلت .. او فاتركي يا مولاتي هــذا البلاط وارجعي الى القصر الذي ولدت فيه !
ـ وتأذن الان للامراء في الرجوع .
ـ ليرجعوا عندما تشائين فلم يكن عتيك بن روضة غير رجل يجود بروحــه في سبيل الملكة .
فقالت : ليعد الغوث ، وجبار ، وذو مغار ، وياسر ، وليبق الاخرون .
فقال شرحبيل : لا تتعجلي في الامر يا بلقيس .
فلم تسمع ، وكانت تلك العجلة استخفافاً لا يليق بملكة حمير .
وهذا خطأ آخر كان الاجدر بها ان تبتعد عنه .

* * *

Amly نهضة العرب

٩٢

مرت الشهور وذو تبع العاشق . على نار .

ان مطامع بلقيس التي تصدت من قبل ، لامر زواجـــه ، قد انتهت الان ، ولكن بقي شيء آخر يتصدى له من جديد ، هو الخوف من رجوع الملك غازياً اعداءه ! وبين تلك المطامع ، وهذا الخوف ، يذوب القلب ، وينفد الصبر .

كانت تقول له :

مهلا ايها الحبيب فسيعود الرسول من الجنوب .

وكان يقول : اذا كان الملك موجوداً في ذلك الاقليم فخير لي ألا يعود ..

ومعنى ذلك ان وجود الملك يمنع زواجه .

وهي تدعوه الى الاحتمال ، فيحتمل يوماً ثم يضعف ، فهو لم يكن ذلك الفتى القادر على خنق الغرام .

وذلك الرسول ؟.. ان ذلك الرسول ضيع الطريق الى مأرب فلم يعد !

مسكين ذو تبع ! فهو لا يعلم ماذا جرى له ، في ذلك القطر البعيد .. وكيف يعلم انه وقع بين ايدي الملك وقائديه ، وجرى له ما جرى للحمل التائه يقع بين ثلاثة ذئاب ؟!

قتلوه في الخيمة عندما قرأوا رسالته ، ودفنوه تحت الفراش الذي ينام فيـــه معدي كرب ثم غطوا دمه بالتراب... كي لا تهيج تلك الوحشية الكامنة في صدر الملك الطريد الذي يشتد عطشه الى الدماء .

ولو عرف الشقي ان الملك وصل قبـــله الى ذلك المكان ، لآثر الرجوع الى مأرب حاملا رسالة بلقيس ، محتملا غضبها ، على المثول بين يدي ذلك الطاغية المفترس الذي لا يرحم امه ، لو كان له ام .

مهلا ايها الحبيب فسيعود الرسول من الجنوب .!

تلك هي كلمة بلقيس التي بدأت تظن ، بالجنوب ، الظنون .

Amly نهضة العرب

حتى مل ذو تبع الوهان ، وضاق صدره ، وهم بان يرسل برجلين من همدان يسألان عن ذلك الفتى الذي لن يعود!

ولكن البلاط اهتز في ذلك الحين ، لخبر ورد من ظفار الثائر على الملك .

وهلعت قلوب الامراء ، لهول ذلك الخبر ، الذي حملته الى بلقيس ، فتـاة سمراء ، هي اخت ذرعة بن حماة سيد قومه .

ان الملك ..! زاحف الى مأرب ، على رأس جيش يغطي الجبل والسهل!

واخت ذرعة تعيد هذه الكلمة في مجلس الملكة ثم تقول :

لقد رأيت الملك بعيني يا مولاتي ورأيت جيشه!

وبلقيس مطرقـة تبحث عن الرأي فلا تجده .. وتستعرض بالفكر جيش مأرب فتراه اضعف من ان يثبت في المجال .

والامراء مضطربون وقد اصيبوا بالذهول .

غير ان ذلك اليوم كـان كثير المفاجآت ، فقـد اقبل في تلك الساعة ذلك الغلام الذي ارسل الى نجران ، حاملا جواب جابر امير مذحج ، وواصفاً للملكة رجاله الاشداء .

وقد جاء في ذلك الجواب ان الامير قادم مع مذحج كلهـا ليعيش في ظل بلقيس وابيها شرحبيل .

فعاد الامل الى الصدور ، ورفعت الملكة رأسها تسأل غلامها قائلة له :

اين تركت القوم ؟

ــ وراء معين يا مولاتي .

ــ اذن تمر بضعة ايام ثم نراهم في مأرب ... وانت يا اخت ذرعـة ، اين رأيت الملك ؟

ــ كنت في شبوة مع عم لي فوصل اليها ونحن نهم بالمجيء .

ــ وماذا فعلت شبوة ؟

ــ اظهرت خضوعها له كما كانت تخضع لابيه .

فهزت رأسها وهي تقول : هكذا فعلت الاقاليم التي مر بها ابن ذي القرنين،

Amly نهضة العرب

أين انت يا عتيك بن روضة ؟

ـ نعم ايتها الملكة .

ـ لقد كانت الملكة على ضلال فيما رأت وكنت على صواب !

فلم يشأ الرجل ان يذكر الماضي فقال : نحن الان في عهد جديد يا مولاتي فلننظر في امره .

ـ عهد جديد ؟؟

ـ نعم فقد خلعنا ابن ذي القرنين عن عرشه من قبل ، ونحن مكرهون على خلعه مرة اخرى اليوم .

ـ وهذه اصعب من الاولى .

ـ اجل ايتها الملكة وهي كثيرة الخطر .

ـ الا اذا اقبل جابر بن مفروق قبل جيش الملك .

ـ ان جيش الملك سيصل قبله ، وعندما يجيء جابر تكون الحرب قد نشبت بيننا وبينه والاسوار مصبوغة بالدم !

ـ وكيف عرفت هذا ؟

ـ الا تعلم الملكة ان ابن ذي القرنين الثائر يقلد الطير في مشيه وامير مذحج يمشي كما تمشي السلحفاة ؟ ومن اين لامير مذحج ان يعلم ان الخطر موجـــود في مأرب ليطير اليها والسيف في يده ؟ نعم انه اقرب الينا من الملك ولكن هـــذا سيسبقه وسيدكّ الاسوار قبل وصوله .

قالت : جنودكم ايها الامراء

فاجابها عتيك وهو هادىء : اذا ارادت الملكة فلتأمر بما التمسه منها التماسا .

قالت : ماذا ؟

ـ ارجو ان تكتب الملكة ، الان ، الى الغوث ومن معه تأمرهم بالرجوع الى مأرب مع كل حامل سيف .

ـ اكتب يا ناشر ، وبعد ذلك ؟

ـ وان تغلق ابواب مأرب وتجعل الجيش المقيم في الابراج وعلى الاسوار .

Amly نهضة العرب

ــ افعل ذلك يا ذا تبع.

ــ واعطي كل رجل من اهل مأرب قوساً وجعبة سهام ، واجعلي لكل من يقتل جندياً من جنود الملك قبضة من المال .

ــ سنفعل هذا ايضاً فماذا تريد بعد ؟

ــ اريد ان تقف الملكة على احدى الشرفات لترى ما تفعله نبال امير نحلة في صدور الاعداء .

ــ وهل يثبت الجيش فوق الاسوار ريثما يصل الغوث ومن معه ؟

ــ لا اراه يثبت حتى يصل جابر بن مفروق كما قلت ، ولكن للغوث وللامراء شأن بعد ان يدخل الملك ظافراً ويستوي في عرشه من جديد !

قالت : ماذا تقول يا عتيك ؟

ــ اقول ان الملك سيجلس ثانية عــلى مقعده في هذه القاعة وسيفر جميــع الامراء الذين ترين وانا في المقدمة .

ــ ومن يبقى في البلاط ؟

ــ بلقيس بنت شرحبيل التي كانت ملكة .

فقام ذو تبع فقال : بل يبقى ذو تبع ليموت عند قدميهــا او ليقتل الملك عندما يدخل البلاط .

قال : مري هذا العاشق يا مولاتي بان يسكت بل ارجو ان تأمريه بان يطيعني طاعة لا رأي له فيها ولا ارادة .

قال : لا اطيع احداً فالملك الظالم سيموت من يدي .

ــ ولكنك تموت بعده بسيوف رجاله وتخسر ... بلقيس ...

فهم بان يجيب فقال عتيك : كلمتك يا ملكة حمير .

قالت : تريد ان يفر الجميع ونبقى ؟

ــ اجل فاذا دخل عمرو بلاطه هذه المرة ولم تكوني فيه ، فاليمن كلها ، اذا اجتمعت ، لا تستطيع اخراجه منه .

ــ نفر وجميع الجيوش ، ثم نوقد نار الحرب .

نهضة العرب Amly

قال : ان الملك في ظفره غداً ، يسترجع وثوق الناس به ، ويستعيد نفوذه وقوته ، ثم ينضم اليه معظم الامراء فيكثر جيشه ونضعف نحن ثم نخسر كل شيء ونُقتل الواحد بعد الآخر وتتلاشى الاحلام .

ثم نهض قائلا :

لتأذن لي الملكة في كلمة اقولها لها دون ان يسمعها احد .

فخرج القوم ، فجعل يهامسها حتى انقضت ساعة كاملة ثم اذنت لرجالها في الدخول وهي تقول :

لقد انتهى كل شيء الان فالملكة باقية في البلاط .

فاضطرب ذو تبع وقال : ونحن ؟.

ـ اما انتم فتبقون الان ريثما يجيء عمرو ويبتسم له الظفر .

ـ ثم نستسلم اليه وتضيع رؤوسنا في هذا الرواق !

ـ بل تلجأون الى السراديب التي ترونابوابها وراء مرابط الخيل والتي تنتهي وراء الاسوار من الجانب الشرقي وتنضمون الى جيش جابر بن مفروق .

ـ وبعد ذلك ؟

ـ لا تسل ايها الامير عما يحدث بعد ذلك فقد تزف بلقيس الملكة الى عمرو الثائر وتخضع له كما تخضع الزوجة للزوج !

فجحظت عيناه واستند الى مقعده كي لا يسقط على وجهه ثم وضع يده على جبينه وتمتم قائلا :

وقد تزف بلقيس الى عمرو الثائر وتخضع له ...! انها اذن عاطفة تظهرهـــا الملكة لامير همدان .

ثم نهض ووضع يده على سيفه وجعل يحدق اليه وهو ساكت .

فقالت : نراك تعمد الى السيف ايها الامير !

قال : وهل بقي لامير همدان غير سيفه ؟؟ ان الامال العذبة التي عللت بهـــا النفس قد تحطمت الان ، والحـــلم الخلاب الذي استسلمت اليه تلاشى كما يتلاشى للظل فما هي غير ليلة او ليلتين حتى اقتحم بفرسي جيش ابن ذي القرنين فأموت

ويخلو لك الجو !

ــ ولكنك لا تستطيع ان تفعل ذلك .

ــ لماذا ؟

ــ لان الملكة لا تريده .

فضحك ضحكة اليائس وجعل يقول : لقد خرجت من الان عن طاعة هذه الملكة فلتأمر بضرب عنقي اذا طاب لها ان تخمد نار الثورة المتأججة في هـذا الصدر أو فلتجعلني اسيراً في هذا القصر حتى يجيء عمرو فتدفعني اليه .

ــ واذا امرتك بلقيس بغير هذا .

قال : لقد حجبت ملكة حمير بلقيس بنت شرحبيل) فلم يبق لها أثر .

قالت : اني الان بلقيس التي عهدت ، فكن انت ذا تبع الصادق وكن واثقاً بان الفتاة التي تخاطبك الان لا تتغير الى الابد .

ــ ولكن ستتزوجين عمراً .

ــ اجل غير ان هذا الزواج سيكون احدى الحيل التي تعمد اليها الملكة .

ــ ومع ذلك فستكونين زوجة لسواي .!

قالت : اتريد ان تثق بما اقوله لك الان ؟

ــ اثق باني خسرت كل شيء .

ــ بل تثق بانك لم تخسر شيئــاً .. اسمع ، اني سأتزوج عمراً كما قلت ، اذا اكرهني الزمان ، وسأكون في نظره ونظر اليمن كلها جارية طائعة له ، اترضى بهذا ؟

ــ لا

ــ واذا قلت اني سأبقى لك على رغم هذا الزواج ؟.

فتردد في الجواب وجعل ينظر الى القوم نظرات الاستغراب ، ثم قال : اقسم لك اني لا افهم شيئاً مما تقولين .

ــ وانا اقسم لك اني لا انكث لك عهداً ولو قتلت .. اشهدوا ايها الامراء واضمنوا الملكة .

Amly نهضة العرب

وكان قلبها يتقطع لوعة وغراما .

قال : كلمة اخرى يا بلقيس .

ــ لا ازيد كلمة على ما قلت فهذا يكفي .

فقال عتيك : لقد رضي الامير يا مولاتي .

ــ اريد ان اسمع كلمة الرضى من فمه .

قال : قل كلمتك ايها الامير وانا اضمن لك ما تشاء .

فتمتم قائلا : لقد رضيت .

فتنهدت بلقيس والتفتت الى ابيها قائلة :

سيتولى الجيش الباقي في مأرب ، امر الدفاع من وراء الاسوار حتى تخفق ألوية النصر فوق جيوش الملك .

ــ وعندئذ ؟

ــ يتراجع الجيش عندئذ الى البيوت فيحتجب فيهـــا عن العيون ، ويعود هؤلاء الامراء الى البلاط لاجئين الى السراديب التي تنتهي الى الخلاء .

ــ وانا ؟

ــ اما انت فلا تشترك في الدفاع بل لا تفارق الملكة .

ــ وما هي الحكمة من ذلك ؟

ــ ان الملكة مريضة وهي في فراشها تقاسي الاوجاع والالام .

ــ ثم يدخل عمرو ظافراً ويضع يده على كل ما في مأرب .

ــ ولكنه لا يبالي بما يراه بل يدخل البلاط وثبا باحثا عـــن بلقيس التي صيراها بين ذراعي المرض الحديديتين .

ــ ويأمر عندئذ بضرب الاعناق .

ــ انه اضعف من ان يمد الي والى ابي يداً .

وجعلت تحادثهم وهي واثقة وتتنبأ لهم بما يحدث بعـــد دخول عمرو حتى اطمأنت القلوب وافتر ثغر امير همدان .

وكانت تقول : سينقل امير نحلة اخبار البلاط الى جيش امير مذحج .

نهضة العرب Amly

فقال ناشر : ولكنه سيفر كما نفر نحن .

ــ ومع ذلك فسيعرف كل شيء وسيكون في ذلــك الجيش ، نائب الملك

ونهضت قائلة : لننصرف الان ولنتهيأ لكل امر ، فخرجوا وراءها وقد عادت الثقة الى النفوس

* * *

٩٣

استيقظ اهل مأرب بعد ثلاثة ايام فأبصروا الجيش يحيط بالمدينــة من الشمال والجنوب ، والملك الثائر على رأسه ، وكان جيش الملكة في الابراج وعلى الاسوار ووقفت طائفة منه تحرس الابواب التي اغلقت في وجوه الزاحفين .

ثم رأى القوم فارساً من فرسان الملك يصيح قائلا :

لقد عاد ملك حمير فاطرحوا السيوف واطيعوه .

فارتفعت عندئذ اصوات الجنود .

هذا يقول : انا على عهد مولانا الملك فليدخل .

وهذا يقول : لقد امرتنا بلقيس بفتح الابواب !

ولكن ، كانت هنالك اصوات اخرى تقول :

سنطيع قوادنا فقد خرج الامر من يد بلقيس الان .

حتى آنس الملك ، في هذه الاصوات ، ضعفا في الجيش القائم على الاسوار .

فقال لمعدي كرب وعبد شمس : يظهر ان بلقيس لا تريد الدفاع .

فاجابه معدي كرب قائلا : اخشى ان تكون هنالك خدعة يا مولاي .

ــ لو كان الامر كما تقول لسمعنا جوابا واحداً يقوله قائله باسم الجيش كله .

لقد اصبح القوم في الداخل فريقين احدهما مخلص لبلقيس طائع لها والاخر غير

Amly نهضة العرب

مخلص وستفتح لنا الابواب بدون قتال .
واعاد الفارس نداءه مرة ثانية .
فسمع في هذه المرة اصوات تقول : افتحوا الابواب باسم بلقيس !!
وسمعت من الناحية الاخرى اصوات تشتم بلقيس وتقول :
الموت في سبيل امير همدان وامير ظفار .
وكل ذلك يمليه عتيك الداهية .
فقال الملك : سهامكم ايها الجنود .
واشار الى الناحية المتمردة التي لم تظهر الخضوع .
وسكتت في تلك الساعة الالسنة ، لتنطق السهام .
ولكن جيش الملك كثير وكل سهم يرسل من جيش الاسوار يقابله ثلاثة سهام من الجيش الاخر .
وتلك الناحية التي اظهرت رغبتها في الاستسلام لا ترسل سهامها ولا تشارك الفئة الاخرى في القتال .
حتى قام في ذهن الملك ان الفتنة ستشتعل نارها في جيش بلقيس !
فقال للقائدين : اريد ان يحطم الجيش ابواب السور !
فقالا : سنفعل ذلك عندما يجن الظلام اما الان فيجب ان نتراجع الى الوراء لتضيع سهام العدو في الفضاء .
قال : افعلا .
فتراجع الجيش باشارة من قائديه . وسمعت من جديد اصوات الجيش من الداخل :
افتحوا الابواب للملك .
ثم رأى الملك جنود بلقيس يغادرون الابراج والسيوف والرماح في الايدي حتى حجبهم السور عن عينيه .
ثم علا الصياح وارتفعت اصوات الاستغاثة كأن المدينة في فتنة .
فأشرق جبين عمرو وايقن بالنصر .

Amly نهضة العرب

وبينا هو على فرسه يحلم بالتاج ويفكر في بلقيس ، فتح الباب الجنوبي فجأ وهتف فاتحوه : يعيش ملك حمير !

فوثبت الخيل الى ذلك الباب وهتف الجيش في الخارج ، كما هتف الجيش في الداخل ، يعيش ملك حمير .

ولم تمر ساعة حتى كان ابن ذي القرنين في ساحـــة البلاط وحوله قـــواده وانصاره البسلاء ! .

ثم قال لاولئك الذين القوا سلاحهم ، من جيش بلقيس : اين قوادكم ؟

فقال احدهم : لتقتل الالهة هؤلاء القواد فقد كادوا يحرقون اليمن .

ــ ولكن نريد ان نرى الموضع الذي لجأوا اليه .

فاقبل آخر فقال : لقد خرجوا من الباب يا مولاي بعد دخول جيشك !

ــ ويلك وكيف يستطيعون الفرار والجنود بالباب ؟

ــ رأيتهم بعيني يا مولاي يركضون افراسهم والجند لا يعبـــأ بهم كأنه لا يعرفهم .

فقال عبد شمس : ستنظر في امرهم يا مولاي في حين آخر .

ــ وجنود هؤلاء القواد ؟؟

فقال الرجل : فروا مثل قوادهم يا مولاي قبل دخول الجيش .

ــ اذن هم في مأرب .

ــ بل تدلوا بالحبال من السور الشرقي وهذه خيولهم في السوق .

فنسي الملك القواد والجنود وخفض صوته قائلا له :

وبلقيس ؟

وكان يخشى ان يفاجئه بخبر فرارها من البلاط .

فقال انها في قصر الملك مع ابيها شرحبيل وهي التي امرتنا بفتح الابواب لجنود مولاي ! .

فعض على شفتيه قائلا : لقد خافت الملكة فآثرت الاستسلام على الدفاع .؛ قالها والغرام يلمع في عينيه السوداوين .

Amly نهضة العرب

فدنا الرجل منه وقال أيأذن لي الملك في ان اذكر له كل ما اعلم ؟

ــ قل

ــ لقد امرت بلقيس امراء المخاليف بطرح السيوف عند قدمي الملك فلم يرضوا فطردتهم من البلاط ومنعت اباها من الاشتراك في الدفاع .. ثم اغمي عليها وهي الان في فراشها تعالج داءها بالصبر .. وقد سمعتها تقول للقوم دعوا التاج لصاحبه فهو اهل للملك واليمن ملك له .

ــ ولكنك جندي والجنود لا يشهدون مجالس الملوك .

ــ اني من حراسها يا مولاي .

فأومأ الى قواده بان يدخلوا وراءه ويمكثوا بالرواق ، وأمر الجنود بان يحرسوا الابواب ويمنعوا المتمردين الباقين في مأرب من الفرار ، ثم دخل والسيف في يده كأنه في ساحة حرب ، وكأن الجيش ينتظره في اروقة البلاط .

وتقدمه الرجل حتى وقف بباب بلقيس فقال : انها هنا يا مولاي .

قال : افتح الباب .

ولكن الباب فتح من الداخل وظهر نائل غلام بلقيس على عتبته وهو يتظاهر بالبكاء ... ثم سجد عند قدمي عمرو قائلا : مولاي الملك .

فضربه بعرض السيف ضربة اصابت جبهته ووثب الى داخل الحجرة التي هي حجرته وهو يقول : اين بلقيس ؟

وكان شرحبيل بالقرب من سرير المريضة فقال :

لقد عدت يا مولاي فستنجو بلقيس من الموت .!

فهم بان يفاجئه بالسيف ، غير ان بلقيس المتألمة ، بلقيس الضعيفة الصفراء الوجه ، المضطربة الاعضاء ، فتحت عينيها اللتين تنطقان بالالم ومدت يدها المرتجفة قائلة له : اعطني يدك لتعود الي الحياة .!

فلم يستطع المجنون الثائر الا ان يصافح تلك اليد التي امتدت اليه .

ثم احس بالغرام يغمر قلبه .. كأن الفتاة المضجعة بين وسائد الخز والديباج لم تسلبه بالامس تاج الملك .

Amly نهضة العرب

وظلت يده في يدها وهي تنظر اليه نظرات الحب حتى سكر وترنح عطفاه وهي تراه .

فقالت لابيها : دعني احدث الملك يا مولاي .

وكانت تغتصب الكلمات اغتصاباً من شدة الالم ..

فوقف شرحبيل بالباب وهو ينظر الى الارض .

فقالت : الا تجلس يا مولاي ؟

فصحا الفتى من سكره لحظة واحدة وجعل يقول :

أأنت ملكة حمير يا بلقيس وانا الطريد المخلوع اللاجيء الى امراء اليمن لينتصروا لي ؟

ــ بل انت الملك لا يجلس احد في العرش الحميري وانت حي !.

ــ ولكني رأيت هذا الملك يخرج من يدي ، ورأيت صولجان آبائي في يد بلقيس وهي تأمر بطردي من مأرب !

وابتسم مستخفاً كأنه يبتسم للموت الذي اعده لاعدائه .

فابتسمت مثله ، وارسلت مع تلك الابتسامة زفرات الغرام .

فارخى الفتى نظره كأنه يستعيد قواه .

أما هي فقالت له : أسمعت يا مولاي ان رجلا يخلع ملكاً عن عرشه ، ثم يملأ جرابه ذهباً ويرسله حراً الى البلد الذي يشاء ؟

فرفع رأسه قائلا : وما وراء هذا السؤال يا بلقيس ؟

ــ قل نعم او لا يا مولاي ،

قال : لا ..

ــ وهل يجهل الطامع في العرش ان الملك المخلوع ، الحر ، سيبذل ماله لرؤساء شعبه ليكونوا عوناً له على استرجاع ملكه ؟

ــ لا

ــ اذن فبلقيس لم تكن جاهلة عندما أعادت اليك مال ابيك وقالت لك : افعل ما تشاء واذهب الى حيث تشاء !

ــ وماذا اذن ؟

ــ كانت لها غاية اخرى هي ان تمهد لك سبل الرجوع الى مأرب والجلوس في العرش الذي ورثته من حمير ، فجعل ينظر اليهـا والاستغراب في عينيه ... واستطردت هي قائلة : ولو لم تكن الغاية ما ذكرت، لامرت الجلاد بان يضرب عنقك وانت في قاعـة الجلوس ، او يجعلك اسـيراً في هـذا القصر الى آخر الزمان ... ماذا تقول الآن يا مولاي ؟ فتردد قليلا ثم قال : اقول انك لم تجسري على ذلك .

ــ وماذا اخاف ؟

ــ ان يثور الشعب فيحطم العرش .

ــ لو خطرت لي هذه الثورة لما فعلت ما فعلت ولما اقدمت على سلبك تاج الملك .. لقد كان امراء اليمن في يدي كما رأيت وكانوا جميعهم يطلبون الي ان احكم بالاعدام على خليفة ذي القرنين ، فبحث عمرو كثيراً عن الجواب يرد به ذلك القول ، فلم يجد .

فقالت : اتشك ايضاً يا مولاي ؟

قال : لا اعلم الا ان الملك انتزع من يدي انتزاعاً وطردت كما يطرد السائل الوقح من هذا القصر الذي هو قصر اجدادي ملوك اليمن .

ــ ولكن هذا الطرد كان دهاء من بلقيس فقد ارادت ان ينجو ملكها من الموت الذي كان كامناً له في هذا القصر نفسه ..

ــ اذن سلبتني ملكي ولك في ذلك فضل !

ــ نعم يا مولاي فانت اليوم حي بفضل بلقيس !

ــ واي شيء دعاك الى ان تهبي لي هذه الحياة ؟

ــ الحب الذي تموت عنده المطامع والاغراض ...

فقهقه ضاحكاً ثم قال : ما رأيت عاشقاً يصف حبـه بمثل ما تصفينه به ! لقد كان حبك يا بلقيس قضاء على الملك وهو حب عجيب يتحدث به الناس بضعة اجيال .. وضحك من جديد ضحك السخرية والاستهزاء .

Amly نهضة العرب

فقالت : لا تهزأ يا مولاي فالزمان يفعل العجائب والحب الذي عدده قضاء كان حياة جديدة كما قلت .. ماذا ترى يا مولاي ألم نتعاهد نحن الاثنين على الوفاء ؟

— بلى — ألم نجعل للزواج موعداً عرفه الامراء وعرفته اليمن ؟

— بلى — ولكن هؤلاء الامراء لم يرضوا وقد اقسموا لي ان الملك سيموت قبل ان ازف اليه .

— ومتى كان ذلك ؟

— قبل ان احج كعبة العرب .

— ولكنك لم تذكري للملك شيئاً من هذا .

— لم اشأ ان افعل لاني كرهت ان تشتعل النار من اجل بلقيس

— ثم ماذا ؟ — ثم رجعت فرأيت البغض في القلوب ، والثورة في النفوس ، والسيوف في الايدي ورأيت القوم ينضوون تحت لواء الحرب وهم يتهيأون للزحف الى مأرب ليقتلوا ملكهم ويجعلوا ذا تبع الهمداني سيد هذا القطر ! وكانت تخاطبه بلهجة جذابة عذبة يظهر معها التعب والضعف ...

— ثم رأوا ان يبعدوا ذا تبع عن العرش ويضعوا التاج على رأسك يا ملكتي الحسناء اليس كذلك ؟!

— بل رأوا ، بعد رجوعنا من الحجاز ، ان يجعلوا ملكهم شرحبيل بن عمرو لانه من احفاد البيت المالك وليس فيهم خير منه .

— ولكنه لم يرض .

— طلبت اليه ان ينزل لي عن حقه ففعل ، وسكت ذو تبع على امل ان يمسي بعد موت الملك ، زوجاً لبلقيس .

— وكيف عدل القوم عن قتل الملك واستبدلوه بخلعه عن العرش ؟

— لقد كان الجيش فريقين يا مولاي ، احدهما ترأسه بلقيس وهو يميل الى السلم ، والاخر يرأسه ناشر وعتيك وذو تبع وهو يميل الى الحرب والقتل ، ولكني استطعت بالدهاء يا مولاي ان احول رأي هذا الفريق ، ثم اطلقت الملك

Amly نهضة العرب

حراً وانتزعته من ايدي الذئاب بعد ان سلحته بالمال الكثير يشتري به جيشاً من الانصار المخلصين ، وكانت الرواية خلابة في ظاهرها يقبلها العقل ، فخفق قلب عمرو ومال الى الايمان بما سمع ... وكيف لا يفعل وقد فاضت عواطف غرامه وسحرته النظرات ... لكنه اراد ان يستوثق ، فقال : كـــان على بلقيس ان تقص كل ذلك على الملك برسالة تبعثها اليه قبل ان تجيء الى مأرب .

ــ لم استطع يا مولاي لانهم احاطوني بالرجال وهم الذين املوا عـــلي ذلك الكتاب الذي حمله نائل اليك ... ومع ذلك فلنترك الماضي يا مولاي فقد رجعت الى ملكك وتم لي الامر كما اردت دون ان تسيل دماء اليمنيين ... ألم يفتح لك جيش بلقيس ابواب مأرب لتدخل دخول الظافر وتتربع في العرش ؟ ألم تسمع هتافه لك من وراء الاسوار وقد سمعته انا من هذه الحجرة وقلـــبي يضطرب في صدري وعيناي تدمعان ؟

ــ ولكني لم اكن عاجزاً عن تحطيم هذه الابواب في ساعة واحدة .

ــ اجل يا مولاي غير اني كنت اخشى ان يصيبك سهم من سهـــام القواد الخونة الذين اظهروا العصيان في الساعة الاخيرة فيضيع الامل الذي اعلل نفسي به واخسر كل شيء ، فضيّع عمرو هداه وجعل ينظر الى عينيها الدامعتين وهو يقول : اذكري لي يا بلقيس هذا الامل فقـــد كدت اصدق ما تقولين ...

فابتسمت قائلة : اذن فالريب لم يضمحل من صدرك يا مولاي .

ــ اظن انه سيضمحل بعد حين ! فعرفت الداهية ان غرامه انتصر على ثورته، فقالت: ولكن هذا لا يكفيني ايها الملك ولست من النساء اللواتي تغرهن الظواهر ويستسلمن الى الاحلام !

ــ وماذا تريدين الان ؟

ــ اريد ان تقسم لي انك صدقت كل ما سمعت ونسيت ما مضى .

قال: اسألك سؤالا واحداً قبل ان افعل.. اين هم الامراء الخونة؟ فصاحت صيحة ذعر ثم قالت : الم تقبض على هؤلاء يا مولاي ؟

ــ لم اقبض على احد لاني لم ار احداً فكأنهم غاصوا في جوف الارض ،

Amly نهضة العرب

فجعل صدرها يعلو ويخفض من التعب ، ثم اغمضت عينيهـا تفكر فيما سمعت وشفتاها ترتجفان ...

قال : بلقيس .. ــ نعم يا مولاي

ــ أتخافين هؤلاء الامراء الذين تعودوا ان يفروا كل يوم من غضب الملك ؟

ــ لا يا مولاي ولكني كنت اؤثر ان اغمس خنجري في صدورهم وعندما يستقيم الامر من جديد لمولاي الملك !

ــ ستفعلين غداً ما لم تفعليه اليوم .. والان ..

ــ اما الان يا مولاى فاقسم لي .

ــ وان لم افعل

ــ استحلفك بشرف ملكك وشرف اجـداداك ان تغمد سيفك في جسمي الضعيف فأطبق جفني واسلم الروح ! فخاف العاشق الجلد ، فقال : اقسم لك اني نسيت الماضي بكل ما فيه فاذكري الامل الذي علت نفسك به ، فخفضت صوتها قائلة : ليس لي في هذه الحياة امل الا ان امسي زوجة لك ، فالقى السيف من يده وقال : لقد محت هذه الكلمة ريبة نفسي ، انك الان للملك يا بلقيس ، وسأدعو الكاهن في هذه الساعة ليكتب عقد الزواج !

ــ الان يا مولاي ؟

ــ اجل الان فقد يبخل الزمان غداً بما يجود به اليوم .

قالت : اصبر ياً مولاي ريثما تشفيني الالهة ..

وهي تريد من وراء هذا القول ان يلج في طلبه .

فقال : يكتب العقد وانت في الفراش لا تغادرينه الا عندما تعـود اليك العافية وترجع النضارة الى هذا الوجه . فأخفت وجهها بيديها وتمتمت الفاظاً لم يفهمها المسكين ، فقال : ماذا يا بلقيس ؟

قالت : ادع الكاهن يا مولاي وليكن ما تشاء ، ولكن الجواري اللواتي في القصر ... فاستغرب قائلا : واي شأن لهؤلاء ؟ فخرجت بلقيس عندئـذ عن

Amly نهضة العرب

هدوئها وظهرت بمظهر المرأة التي تقتلها الغيرة وجعلت تقول : اني لا اطيق ان ارى واحدة منهن في البلاط ..

قال : احلف لك اني لا انظر اليهن .

— ومع ذلك فانا اخشى ان تدفعني الغيرة الى قتل المرأة التي تجسر على الدنو من الملك ، فرقص قلبه من الفرح وقال : انهن جميعهن ملك لك فاقتلي منهن من تشائين واطردي من تشائين، فحاولت ان تجلس فلم تستطع . فقالت: لتباركك الالهة ايها الملك فقد اعدت الي الامل ثم قالت : ولي رجاء آخر يا مولاي .

— ما هو ؟

— هو ان تنحي خاشداً في ساعات الشراب .

— ومن يسقي الملك ؟

— غلامي نائل الذى اثق به .. ولكن لا يا مولاي فبلقيس نفسها تسقيك كلما خطر لك ان تشرب .

— يظهر انك تكرهين الخمر ايتها الحبيبة .

— نعم ايها الحبيب ولكني سأحبها واشربها اذا اردت ، ونادت اباها قائلة : لقد استجابت الالهة دعائي يا مولاي .

قال : وهل ذكرت لمولانا الملك كل شيء ؟

— نعم ورضي بي زوجة له ، فانحنى شرحبيل امام ابن عمه قائلا له : لقـــد نجت بلقيس من الموت بفضلك يا مولاي .

— بل هي التي انقذت حياة الملك يوم زحف اليه اولئك الجهناء ولو لم تعمد الى الدهاء لخسر هذه الحياة .

— كذلك فعلت انت يا مولاي فلو لم تصدق ما ذكرته لك وتعدها بالزواج لخسرت حياتها في هذه الساعة .

قال : اما الزواج فسيتم الان وسنأمر سرح ابين بان يجيء ...

— ولكن بلقيس مريضة كما ترى .

— ان مرضها لا يمنع الكاهن من ان يجعلنا زوجين.. ادع نائلا ولكن صف

Amly نهضة العرب

لنا قبل ان تدعوه حياة هذا الكاهن في مأرب ، بعد ذهاب الملك .

ــ لقد كان سرح ابين في داخله ، من انصار مولاه .

ــ وكان في ظاهره خصماً له ؟

ــ اجل يا مولاي وذلك قبل ان يعرف غاية بلقيس .

قال : الجبناء مثله كثار في اليمن. اين نائل ؟ فدعي الغلام فاقبل وهو يتظاهر بالخوف ، فقال له : قل لمعدي كرب وعبد شمس ان يحضرا وليحضر سرح ابين غير خائف ونحن ننتظر الثلاثة في هذه القاعة .

فقالت بلقيس : من هما الرجلان اللذان ذكرت ؟..

ــ قائدا الجيش المخلصان للملك .

ــ وهل تأذن لقائديك يا مولاي في ان يدخلا حجرة زوجتك وهي في الفراش ؟

ــ نأذن لكل يمني في ان يرى ملكة حمير في الساعة التي يشاء ... وبينا هما يتحادثان ، اقبل قائدا جيش الجنوب .. فأومأ اليهما بعظمة قائلا : لقد كانت هذه الفتاة امس بلقيس بنت شرحبيل ، وستمسي بعد لحظة ملكة اليمنيين !

فجعل الاثنان ينظران الى ذلك الوجه الفتان ، ولا يقولان كلمة . وماذا يقولان وقد عقد الاستغراب لسانيهما ؟ كانا واثقين بان رأس بلقيس سيتدحرج عند قدمي العرش فاذا هذا الرأس ثابت في مكانه ، وصاحبته صاحبة القوة والسلطان ، وهل يجسر القائدان ، على ان يذكرا لملكهما البطاش ، ما خطر لهما في تلك الساعة ؟؟ ان الموت ينتظرهما في تلك القاعة اذا فعلا .

نعم ، كانا يعلمان ان الغرام الذي يملأ قلب الملك ، اوحى بذلك الزواج ، وكانا يخشيان ان ينتهي الامر بين الملكين ، الى ما يرضاه المخلصون ولا تريده اليمن ، ولكن ، هب ان اليمن كلها ستغوص في الاعماق،فليس لها الا ان يخضعا مكرهين خضوعاً اعمى ليس فيه رأي ، وينظرا الى بلقيس نظرهما الى المرأة التي سيعصب الملك جبينها بالتاج الحميري !

هكذا اراد مولاهما الثائر ، فلا مرد لما اراد .. ولم يترددا كثيراً في الامر ،

Amly نهضة العرب

بل انحنيا هاتفين : تعيش مولاتنا الملكة ، في ظل مولانا الملك ، ثم قال عمرو : لقد دخلنا البلاط على امل ان نضرب رقاب الذين غصبونا اياه ، بهذا السيف ، ولكننا عرفنا ان شرحبيل وبلقيس كانا من انصار الملك ، وان اولئك الغاصبين لجأوا الى الخلاء واستبدلوا البلاط بالمغاور القائمة في ظلال الصخور ..

والتفت الى شرحبيل قائلا : انس يا عم ما بدر من الملك عند دخوله فقد كانت تلك الساعة ساعة غضب لا ترى مثلها بعد الان . وقال للقائدين : واما انتما فقولا للجيش ان يكف عن الاذى وليعلم القوم ان بلقيس هي التي امرت رجالها بفتح ابواب مأرب للملك ... ووضع الغرام حجاباً كثيفاً على بصيرته وبصره فلم يدب الريب في صدره ، ولم يظن الظنون ! .

وسكت القائدان على غل كما رأيت ، وانتهى الفصل الاول من تلك الرواية العجيبة التي لم تخطر لاحد من العقلاء . وتساقطت دموع بلقيس على الوسادة وكانت تقول : هذا فعل الصداع الفجائي يا مولاي .

* * *

٩٥

انظر .. هذا سرح ابين الكاهن الاعظم ، يلامس وجهه الارض عند قدمي الملك ، وكان الملك يقول له : انهض فقد ثبت لنا انك من المخلصين ، وبلقيس تئن من الالم ... وتذرف الدموع ، ثم غصت القاعة بالقواد والانصار والجميع يعلمون ان بلقيس ستزف الى الملك وهي في الفراش ، وستحتفل مأرب بهذا الزواج ، عندما تشفي الالهة الملكة الفتاة ..

ثم وقف سرح ابين بامر الملك ، وقبل ان يكتب العقد خاطبه قائلا : اذكر

Amly نهضة العرب

يا مولاي المال الذي تهبه لزوجتك .. فقال : عشرة ضياع بما فيها من العبيد والاموال ، وجعل يسميها واحدة واحدة ، ثم قال : وجواهر تساوي نصف جواهر التاج الحميري .. هاتها يا حاشد ، وكان حاشد يحملها في كمه وهي من جواهر ذي القرنين التي وهبتها بلقيس لعمرو عندما خلعوه ...

ــ وماذا بقي يا مولاي ؟

ــ لم يبق في يد الملك مال يهبه لزوجته الان .. فنظر الكاهن الى شرحبيل وقال : وانت ايها الامير ؟

ــ اعطيتها نصف ما اعطاها مولانا الملك ، فكتب العقد ، وسجد القوم يسألون الالهة ان تشمل العروسين بالبركات .. ثم انصرفوا وفي الصدور اشياء واشياء ... ولم يبق في القاعة غير الملك وشرحبيل ونائل ، ونعمى بنت الريان ، فقالت بلقيس : لو لم يكتب الكاهن عقد الزواج الساعة لقتلني هذا الصداع ، اعطني يدك يا مولاي! . فمد الملك يده فوضعتها على فمها ورأسها علامة الخضوع، ولم يستطع الملك عندئذ الا ان يطبع على يدها المرتجفة قبلة الحب ... وقد احس ان الدنيا لا تتسع لامانيه ، واحست هي ان السماء سقطت على الارض. ولكنها ابتسمت لهذا السقوط . ثم استأذن الملك وخرج لينظر في شؤون ملكه ، من جديد ، ووعدها بانه يعفو عن جميع افراد الجيش الذين لم يلجأوا الى الفرار ، ولمعت عينا العروس بعد خروجه ببارق غريب وهامست نائلا قائلة : خبز القوم ما رأيت . وعدهم بالظفر بعد ان يمر هذا الشهر .

وقالت لنعمى : اما انت فلا تخرجي من هذه القاعة الا عندما آمرك بالخروج ، ولا تنسي ان تعدي عدة الشراب في كل مساء .. وكان شرحبيل يعرف واجبه ، فلحق بالملك الى قاعة الجلوس ، وعلى جبينه آثار الفرح تمازجها آثار التعب والهم ، كأنه يخشى عاقبة ذلك الصداع ، الذي اصاب بلقيس ! .

* * *

Amly نهضة العرب

٩٦

كانت سراديب القصر الحميري ، مجالا رحباً لنائل ، يروح فيه ويجيء حاملا الى القوم اخبار البلاط ، عندما يشاء ، وكان امير مذحج ، قد عرف كل شيء ، واقام بذلك السهل الذي يجاور اسوار معين ، ريثما يرد عليه الامر بالزحف الى مأرب .

اما حراس السراديب ، فكانوا من رجال بلقيس الامناء ، يتناوبون عـــلى الحراسة وراء مرابط الخيل ، في الليل والنهار ، ليخفوا اعمال نائل من العيون ، والملك لا يعلم شيئاً ولا يبالي الا بالخمر يشربها صرفاً كل مساء حتى يصرعه السكر او يدب النعاس في جفنيه ، فكأنه كان يعالج بالخمر ، ذلك الغرام الذي يضيـــع معه الصبر .. وبلقيس لا تريد ان يشرب ، الا في غرفتها ، لتشاركه بالروح ، في لذته ولهوه .. وتمتع نظرها بوجهه الجميل الفتان ! . ويجب ان تعلم ، ان ذلك الملك العاشق ، استسلم الى بلقيس استسلامـــاً غريباً في نوعـــه ، واضحى الملك الثائر نعجة وديعة تقوم وتقعد بارادة الملكة الحسناء ! فهو لا يذكر غرامه الا اذا ارادت ان يذكر ذلك الغرام ، وهي لا تريد ان يفعل الا عندما يفارقهـــا ذالك الصداع ! .

ان الالم يزول شيئاً فشيئاً يا مولاي ، وستحتفل مأرب بالزواج يوم تراني الى جانب الملك في قاعة العرش .. تلك هي الكلمة التي كانت بلقيس ، تعلل بهـــا العاشق المفتون .. وهو يستعين بالخمر ، على الرضى بكل ما تأمره به ، وهذا هو موضع الغرابة في الامر ، كما ترى .

ولم يشرب الملك وحده قط ، بل كانت قواده وامناؤه يشاركونه في الشراب ، ونائل غلام الملكة ، يمـــلأ اقداحهم كلما نظر الى عيني بلقيس ... حتى كاد الشهر ينقضي والصداع يزول .

Amly نهضة العرب

ففي احدى الليالي ، قالت بلقيس لغلامها :

قل لعتيك : « اعطني دواء الصداع واعلم ان الملكة ستترك فراشها في الليلة القادمة عند نصف الليل ، وتجلس للناس ... في الليلة القادمة يا نائل فلا تنس .. واعطه هذين القرطين .. اذهب الان »

ففعل الغلام ما امرته به وحمل اليها ذلك الدواء العجيب الذي يشفي كالسحر جميع الادواء ..! وأوصاه عتيك بأن يقول للملكة : لقد عاد ذو مغار ومن معه وسينزلون في رجوة « ورجوة سهل يبعد ثلاثة فراسخ عن عاصمة الحميريين »

واصبح الصباح .. فقيل للملك : هذه عشيرة مذحج وراء الاسوار يقودها جابر بن مفروق ، فقال : احرسوا الابواب وانتظروا اوامر الملك .

ثم اقبل على حجرة بلقيس وقد عادت اليها العافية ، واسترجع وجهها البهاء والسحر ... والهيبة والجلال .. وكانت تهم بترك الفراش والجلوس بين الوسائد كما يجلس الناقه الضعيف الذي نهك المرض قواه ، فقال لها :

لقد طابت الحياة للملكة . ما وراءك يا مولاي ؟

قال : انك تعرفين امير مذحج أليس كذلك ؟

— بلى يا مولاي فأنا ما نسيت حكاية اخي الهدهاد يوم بعث به ابي الى مغار يحمل اليه المال كما علمت .

قال : انه مع عشيرته بباب مأرب ، فتظاهرت بالتفكير ثم قالت : لا يترك جابر بن مفروق نجران الا لامر ، وسكتت قليلا ثم قالت : وهل اذنت له في الدخول ؟

— لا ، فقد رأيت ان استشيرك في هذا لان قلبي يحدثني بأن جابراً يحمل الويل لمأرب ... فضحكت قائلة : لقد اخطأ قلبك في حديثه يا مولاي ، ان ابن مفررق لا يخرج عن طاعة ملكه وهو لم يقدم الا ليظهر خضوعه له ويعرض سيفه عليه وعلى زوجته بلقيس المحسنة اليه .. اني اضمن جابراً يا مولاي فمره بالدخول ..

— ومذحج ؟

Amly نهضة العرب

ــ اما مذحج فتبقى خارج السور ريثما تعرف الغاية من مجيئه .
ــ ولكنه لم يستأذن بعد .
قالت : لا بد له من ان يفعل في هــذه الساعة فأرجو ان يبتسم لــه الملك ويقرب مجلسه فهو من اشراف اليمن ومذحج من اقوى عشائر العرب .
فهم الملك بالانصراف . فاستوقفته قائلة : واری یا مولاي ان تدعوه الليلة الى الشراب لتعلم مذحج ان الملك يعطف عليها وان لها مقاماً في البلاط ، فخرج وهو يقول : سأفعل .. وسأقرأ ما في نفس الرجل .
وكان حاجبه ينتظره ليستأذن لجابر ، وجابر بالباب وهو يقول للحراس : لم اسمع قط ان اليمنيين يستأذنون في الدخول الى مأرب الا في ايام الحرب .
ولبث واقفاً ويده على سيفه حتى رجع احد الحراس واذن له ، فمشى دون ان يلتفت الى احد حتى اضحى في الرواق فعرف ان الملك في قاعة الجلوس ، وفي القاعة شرحبيل ومعدي كرب وعبد شمس .
فوضع سيفه في الرواق وتقدمه كبير الحجاب الى الداخل وهو يقول : جابر ابن مفروق سيد مذحج ، فنهض الملك عن مقعده وخطا خطوتين كأن القــادم اعظم امراء اليمــن او كأنه احد ابناء البيت المالك ! فقال الامير في نفسه : هذه يد بلقيس فيما اراه ، ثم سلم ساجداً ولم يرفع رأسه حتى امره الملك بالوقوف قائلا :
أهلا بسيد مذحــج ، متى قدمت ؟ ومد اليه يده فقبلهــا وقال : امس يا مولاي .
قال : لقد مر عهدان على مأرب ولم نرك فيها فهل كان هنالك ما يمنعك من المجيء ؟قال : لقد جار الزمان يا مولاي واكرهتنا الاقدار على الرحيل الى وادي نجران نعالج فيه طوارىء الحدثان .
ــ ألم تر الملك ذا القرنين قبل موته ؟
ــ بلى يا مولاي رأيته وسألته ان يكون عونا لي على عدوي ثم مكثت بمأرب يومين رجعت بعدهما الى ديار قومي .

Amly نهضة العرب

ــ وماذا اعطاك الملك في ذلك الحين ؟

ــ لم يعطني شيئاً يا مولاي بل امر ابن عمه شرحبيل بن عمرو الجالس بالقرب منك بان يجود علي من ماله بما يساوي عطية الملك !

ــ وفعل ؟

ــ نعم يا مولاي وانا اعيش بفضل ما اعطاني الى هذه الساعة .

ــ اذن انت تحفظ المعروف لابن عم الملك !

ــ بل احفظه لمولاي الملك اولا فتلك العطية كانت بامر ابيه .

ــ وماذا تريد الان ؟

ــ جئت يا مولاي لاظهر خضوعي لملك حمير واطرح عند قدميه سيفي وسيوف ابناء قومي ، واسأله ان يأذن لي في الرجوع الى الاقاليم التي تجاور اقليم مأرب ...

ــ اي انك تريد ان تكون من جيران مولاك .

ــ اجل فليس لي حياة الا بهذا .

ــ اذكر الارض التي تؤثرها على نجران .

ــ ارضى بالارض التي يهبها لي مولاي ، على ان يهب بلاد مذحج لمن يشاء من الناس . قال سنفعل كما فعل ذو القرنين .

ــ ماذا يا مولاي ؟

ــ نطلب الى شرحبيل ان يعطيك ارضاً تكفي قومك ، وقد اراد بذلك ان يختبر اخلاص شرحبيل دون ان يتردد : لقد نزلت عن ضياعي كلها في اقليم صرواح وجعلتها باسم الملك ملكاً لابن مفروق .

فقال الملك : وهل تطلب يا جابر شيئاً آخر ؟

ــ اطلب ان تحرسك الالهة وتحرس عمك المحسن الي .. متى تأذن لي في الانصراف .

ــ الى صرواح ؟ ـ نعم يا مولاي .

ــ تنصرف اليها غداً فستبيت الليلة في البلاط وتشرب مع الملك ، ثم ضحك

قائلا : كان خيراً لك لو بقيت في نجران !
قال : أندم الملك على احسانه ؟
ـ لا ، ولكن الحرب ستنشب بيننا وبين الحبشة وستخوض معنا المجال !
قال : ليس احب من الحرب الى مذحج .. ان سيفي لك يا مولاي سواء أكنت في نجران ام في مأرب وسترى ان رجال جابر رجال حرب .
قال : سنجعلك اذن من قواد الجيش فانت رئيس الرماة منذ الان .
قال : لقد انعمني مولاي بما لا استحق وشرفني بين العرب .
ـ ولكن ستكتنفك النعم عندما نشهد قتالك في الساحات .. ودخل الحاجب في تلك الساعة وهو يقول : وفود مأرب .
قال : ماذا تطلب هذه الوفود ؟
ـ تخضع من جديد للملك الذي استرجع عرشه .
فغضب قائلا : وهل يظن اهل مأرب ان العرش خرج من يد صاحبه حتى يظهروا خضوعهم له ؟ لقد كان العرش لنا ولم يزل فلينصرفوا ، فنقل الحاجب الى القوم كلام مولاه .
فسمع صوت احـــدهم يقول : اسأل مولاي الملك ان يأذن لي في الدخول فقد ظلمت .
فقال الملك من الداخل : ادخـــلوا الرجل ، فدخل رجل جاوز الستين من السنين ، تعلو الكآبة جبينه وتجول الدموع في عينيه ، ففاجأه الملك بقوله : أأنت مظلوم ؟
ـ نعم يا مولاي فقد قتل ولدي على الاسوار ورأيت جثته تسقط على الأرض عند قدمي قاتله اللعين .
ـ اذكر قاتله .
ـ ناشر امير ظفار السابق !
فاهتز الملك لذكر ناشر وقال : وكيف قتله ؟
ـ امره كما امر سواه ، بأن يصوب سهامه الى صدر مولانا الملك قبـــل ان

Amly نهضة العرب

تفتح ابواب مأرب فلم يفعل . فقال هادئاً : ولكن كان عليه ان يطيع قائده ويرسل هذه السهام الى حيث يشاء .

ــ لم يكن قادراً على ذلك يا مولاي .

ــ لماذا ؟

ــ لان الملكة امرت ولدي ورجاله بان يعصوا القواد ويمهدوا للملك سبل الدخول الى مأرب والظفر باعدائه ، وهذا دليل آخر جديد ، يثبت للملك بعد شهر ، صدق بلقيس ووفاءها له ، ووقوفها في وجه قواده الخونة ، فقال : الم يقتل غير ولدك ؟

ــ بلى يا مولاي .

ــ وهل رأيت يمنياً يعبأ بدم ولده المسفوك في ساحة الحرب ؟

ــ ان ولدي لم يقتل من يد عدوه بل قتل انتقاماً من يد قائده .

ــ وماذا تطلب الان ؟

ــ اطلب ان ينصفني الملك من ناشر الظالم .

ــ سنفعل اذا اظفرتنا الالهة به .

قال : هب لي شيئا من ماله يا مولاي .

ــ لم يبق لناشر مال .

ــ اذن ضيعة من ضياعه .

ــ ولكنه خسر ضياعه ولم يبق له شيء .. بل بقي له دمه وستشارك الملك في شربه بعد حين ..! اخرج الان فان لم يقتل عدوك اليوم قتل غداً ، والتفت الى شرحبيل قائلا : هذا شاهد لك يا عم وللملكة .. وجعل يردد اسماء قواده الخونة واللعنات تخرج من فمه ، ثم نهض ليسمع حديث بلقيس فتخمد النار المتأججة في صدره ، وخرج شرحبيل وابن مفروق يتمشيان في الرواق ، اما عبد شمس فكان يقول لمعدي كرب : ويل لنا وللملك من هذه الفتاة التي جعلها زوجة له ...

* * *

٩٧

لقد جن الليل يا نائل فهل فهمت ؟

ــ نعم يا مولاتي ان النعجة ستسقط بعد نصف الليل بــين براثن الاسد اذا بقي هذا الاسد حياً .!

ولكن احذر ان تضطرب يدك وينم عليك الخوف ، فابتسم قائــلا : وهل اضطربت يدا الاسد عندما مزقتا اجسام الابرياء ؟؟ ان الملك سيموت في الهزيع الثاني من الليل ، وستقول اليمن غداً : لقد قتلت الخمر ملك حمير !

قالت : ولاتنس ان تسقي معدي كرب وعبدشمس وحاشداً ضعف ما كنت تسقيهم كل مساء .. اسقهم اياها صرفاً وليشربها ابي وابن مفروق ممزوجة حتى يخفض السكر الرؤوس ويغمض الجفون ويعقد الالسنة في الافواه .. ان بلقيس لا تنام على ذل فهي تمشي الى غايتها على الرقاب ولا تبالي !

أجل ، كانت القساوة احدى طبائع بلقيس كما علمت ، فهي تغوص في بحر من الدماء ، اذا ا كرهتها الاقدار ، ولا ترجع الى الوراء !

ثم قالت:سيشربون الليلة في قاعة الشراب وسأنحي الحجاب فلا يبقى بالباب غير نعمى ونائلة ..

ــ سيتم الامر يا مولاتي كما تشائين .

ــ ورعين ؟

ــ لقد فهم رعين كل شيء وسيحمل امر الملكة الى امير نحلة .

ــ والحراس ؟

امرتهم بان يكونوا عوناً للامراء عندما يدخلون السراديب .

ــ اذن فانصرف الان واعلم ان عين بلقيس لا تنام ، وبينا هي تهامسه ، سمعت وقع قدمين ، فعرفت ان الملك آت ، فرفعت صوتها قائلة : لا تسق مولاك

Amly نهضة العرب

الليلة فأنا لا اريد ان يشرب !! فظهر الملك على العتبة وهو يبتسم ثم قال : لم تطب الخمر للملك قط كما تطيب له الليلة .. اني سأشربها حتى يـــدب النعاس في عيني هذا الغلام .

قالت : ارفق بنفسك يا مولاي فالخمر داء !

ــ بل هي الحياة للقلوب العاشقة التي برح بها الحب .. وكنت اوثر ان اشرب في هذه القاعة وعيناك تنظران الي .

ــ اتدعو امراء العشائر الى الشراب في قاعة الملكة ؟

قال : لو لم يكن جابر بن مفروق في البلاط لما نقلت من قاعة الملكة قدماً .. الى اللقاء يا بلقيس !.

ــ الى اللقاء يا مولاي .

ووثب الى الرواق وثباً وهو يقول : عجل يا نائل ، كأنه كان يريد ان يلهو بالخمر ليقصر الليل .. وكان القوم قد أمسوا في مجلس الشراب ، فأقبل قائلا لامير مذحج : اذا استطعت يا ابن مفروق ان تجاري الملك الليلة في الشراب ، فـــانت تستطيع ان تجاريه في الميادين عندما تجول الخيل .

قال : اعترف اني اضعف من مولاي الملك عندما تتلاحم الصفوف ، واما الخمر فقد خلقت لها وخلقت لي وسترى اني سأبيت اريقها في حلقي الى ان يبزغ الفجر .. ثم استدرك قائلا : ولكني اشربها ممزوجة يا مولاي ، فقهقه ضاحكاً ثم قال : اجلس اذن بالقرب من شرحبيل فقد اعترفت بعجزك وشرحبيل يشربها مثلك ... وانت يا عبد شمس ؟

ــ اما انا فاشربها كما يشربها الملك ، وهكذا قال حاشد ومعدي كرب .

وكان الملك طروباً مزاحاً في تلك الليلة ، فقال : هات يا نائل ، فملأ الغلام الاقداح وشرب القوم ، وهم يصفون حفلة الزواج التي تتم غداً كما تراها المخيلات.

وقلب الملك يرقص فرحـــاً وعيناه تنظران الى نائل القائم بين زقين ... ولم يكن يعلم كيف يشرب ..! يجرع الكأس وراء الكأس ويأمر القوم بان يشربوا كلما شرب فهو عطشان والخمر حياة القلوب العاشقة .. حتى وضعت الخمر يدها

Amly نهضة العرب

على رأسه ورؤوس انصاره وقامت العربدة مقام جلال الملك وهيبته ، ثم اخذ يقول :

ليس لليمن عدو غير الحبشان فيجب ان يموت العلى اسكندي وتنقل جواهر اكسوم وعرشها الى مأرب اتعلمون ماذا يفعل الملك بعد شهر ؟؟ انــه سيزحف الى الحبشة على مراكب يعدها لهذه الغاية وستكون الملكة على رأس الجيش ويبقى عمنا شرحبيل نائباً للملك فهو يحب الجلوس على العرش .!

فقال شرحبيل : بل احب ان يتبع فرسي فرس الملك في ساحات الشرف .

- ولكنك تستصعب الاسفار في البحار .

- بل استسهل الموت في سبيل التاج الحميري ..

- وانت يا ابن مفروق ؟

- سأكون اول رجل يضع قدمه في ارض الحبشان ، فقال ولكن عبد شمس سيغضب على معدي كرب والويل له من غضبه !؟

- انا يا مولاي ؟

- نعم انت فالملك سيجعل معدي كرب نائبا له في اكسوم فتوغر هذه النيابة صدرك ويقذف بك الحسد الى الهــوة ! قال لو جعلت الحبشة كلها ملكــاً لي ولقومي لما خطر لي ان اترك مولاي الملك ساعة واحدة ، فارتجفت الكأس في يده وكان يقول : احسنت فانت خير القواد .. اشربوا يا قوم واملأ لجابر كأسه ايها الغلام .

فشرب وقال : اسأل مولاي ان يجود على عبده بما يطلبه الان ، - بماذا ؟

- بان تنقل الى اكسوم زقاق الخمر اليمنية ، على مراكب الجيش !

قال : لا نفعل حتى تشربها صرفاً .

قال : شربتها في حياتي مرة واحدة وانا في الحجاز ، فكدت اموت .

- وكيف لا يموت الملك وهو يشربها كل يوم ؟

- لانه حفيد الالهة والالهة تقوم على حراسته ! فاعجبه جوابــه ، وانتهر الغلام قائلا : عجل يا نائل فسينتصف الليل قبل ان يفرغ الزقان وقبل ان يروي

حفيد الالهة ظمأه . وقد بدأ الملك يمضغ الالفاظ كما يمضغها السكران ، ثم دارت الخمر دورتها الاخيرة .. فحنت الرؤوس الى الصدور ، ثم خنقت الاصوات .. وساد السكوت .. ولو وقع نظرك على القوم في تلك الساعــة ، لرأيت عيونــاً حمراء تتفرس في الارض وتلمع فيها حمى السكر ، الا جــابراً وشرحبيل ، فلم تستطع الخمر الممزوجة ان تفقدهما الرشد ، وكان الملك قد استلقى على وسائده وهو يصارع حماه ، وقد اراد ان يشرب كأساً اخرى قبل ان ينتقل الى قاعــة بلقيس ، فقال لنائل والكلمات تخرج مبتورة من فمه : كأساً اخرى يا غلام :

فبرقت عينا الفتى وعمد الى كمه فاخرج منه ما يشبه الكحل ووضعه في القدح ثم صب الخمر حتى امتلأ ومد يده قائلا للملك: اشرب يامولاي ، فشرب السكران ثم استوى جالسا كأنه صاح ونادى حاشد قائلا له : اعطني يدك ايها اللعين فانا لا استطيع النهوض ، ثم نادى قائديه وامرهما بالانصراف ، فقــام حاشد وهو يتمايل وركبتاه ترتجفان، اما معدي كرب وعبد شمس فلم يستطيعا ان ينقلاقدما، فحاول الملك عندئذ ان ينهض مستنداً الى الجدار ، ولكنه شعر بان ارض القاعة تنحدر به الى الاعماق ، وبان السقف والجدران تتساقط على رأسه ، ثم احس باان يدين حديديتين تقبضان على عنقه ، وان حرابا حادة تمزق احشاءه ، فهم بان ن يستغيث فوقفت الالفاظ في حلقه . ثم تراجع وهوى دون ان يقول لرجاله كلمة واحدة .

فتظاهر شرحبيل وابن مفروق بالسكر وقاما وهما يصيحان : لقد أغمي على الملك ، وكان نائل يصيح بدوره : مولاي الملك .. مولاي الملك ! ودخلت نعمى ونائلة في تلك الساعة وارتفعت الاصوات .. ثم صحا السكارى عندئذ واقبلوا ينظرون الى الملك الحميري عند الاقدام

والملك الشاب ، يتلوى وعيناه مغمضتان .. وقوة الشباب تصارع قوتــين هائلتين : قوة الخمر ، وقوة السم ، حتى انتصرت الاثنتــان ، وانطرح عمرو بن ذي القرنين بين ذراعي الموت .

وبينا القوم يصيحون ويطلبون ان يحمل الملك الى حجرة بلقيس ، حــدث

Amly نهضة العرب

عندئذ ما يشبه السحر ، فقد اقبلت ملكة حمير يتبعها ذو تبع وناشر وعتيك وهم يحملون السيوف ... وقبل ان يقص عليها نائل مـــا جرى لمولاه ، بل قبل ان تخرج صيحات الاضطراب والذعر من افواه رجال الملك ، احاط انصار الملكة باولئك الرجال ، وطوقت ايديهم سلاسل الحديد ، وسمع القوم ملكتهم تقول : احملوا الملك فقد اراد ان يموت ... ولعله ابلغ رثاء رددته تلك الاجيال ... ثم خرجت من القاعة كأنها لم تبصر الموت وقالت لهم : اتبعوني الى قاعة العرش ..

وامرت الحجاب ، قبل ان تدخل ، بان يغلقوا ابواب القصر . ثم دخلت ، وعلى ذلك العرش الذي شهد مجـــد ذي القرنين وعز خليفتـــه ، جلست بلقيس وضحيتها عند قدميها ونظرت الى الرجال المقيدين قائلة : انظر يا معدي كرب الى ملكك الذي اراد ان يذل بلقيس واختر لك مع رفيقيك واحدة من حالتين، اما ان تموتوا جميعكم في هذه الساعة وترقدوا حيث يرقد عمرو وامـــا ان تقيموا بالبلاط رهائن حتى نرى دلائل الاخلاص والوفاء .

وكان الرجال الثلاثة قد صحوا فجأة كما قرأت كأنهم لم يذوقـــوا الخمر ، فعرف معدي كرب ان الموت والحياة بين شفتي الملكة ، فآثر ان ينسى ملكه ، ويخسر قيادة الجيش ، ويعيش ، على ان يظهر العصيان ، ثم يموت ، فقال : لقد اخترت يا مولاتي ان اكون عبداً لك الى الابد واقسم بالالهة .

قالت : احذر ان تخدعنا فتخسر كل شيء ...

قال : لقد كنت من قبل يا مولاتي من رجـــال الملك ولو استطعت لقتلتك وانت في الفراش ، اما الان فليس في اليمن قوة تستطيع ان تفسد علي اخلاصي الجديد لهذا العرش الذي تجلسين فيه .. ان معدي كرب اذا وعد وفى بوعده ، فافعلي الان ما تشائين وسترين اني من اصدق الرجال .

فقالت : فكوه ، فقد صدقناه ، وستبقى يا معدي كرب قائداً كما كنت . وانت ماذا تقول يا عبد شمس ؟

ـــ لا ازيد كلمة على ما قاله معدي كرب ، وتذكر الموت .

ـــ لا اذكر الا اني انتقلت من عهد ملك الى عهد ملكة تكافىء الاوفياء .

Amly نهضة العرب

وقال حاشد كما قال رفيقاه وكانت دلائل الاخلاص على الوجوه ...

فقالت لناشر : افتحوا الابواب لمذحج واجعلوها حول البـــلاط ، وليكن معدي كرب وعبد شمس عوناً لابن مفروق اما حاشد فسيعلن الناس عند الصباح، موت الملك .

وقالت لنائل : ادع اربعة من عبيد القصر ليحملوا الملك الى قبره قبل بزوغ الفجر وسيقف الامراء عند جثة سيدهم حتى يغيبها التراب .

فجعل الامراء ينظرون الى الملك دون ان يخفق لهم قلب او تدمع لهم عين ، الا شرحبيل فقد احس ان قلبه يضطرب بين ضلوعه .

ودفن الملك بعد ساعة ، في قبر آبائه ، ولم يشعر القوم ، بعـــد رجوعهم الى البلاط ، انه كان هنالك ملك يدعى عمراً ، اجل ، لقد ضيع المسكين هيبته ، في حياته ، وبعد موته ، ولم يعرف ، وهو حي ، ان يبعث هذه الهيبة ، الى النفوس، الا بوسائل الترويع ، وعلى حد السيف !

وطابت نفس ذي تبع ، في ذلك الليل ، ونام ملء جفنيه . .

* * *

٩٨

كانت مأرب قد تهيأت لحفلة الزواج ، في اليوم الثاني ، فلما طلعت الشمس ، سمع القوم حاشداً يقول : مات الملك عمرو بن ذي القرنين وخاتمته الملكة بلقيس

فجعلوا يتهامسون ويعجبون من هذا الموت الفجائي الذي دهم الفتى القوي.

ثم تناقلت الافواه خبر السكر الذي شهـــده مجلس الشراب امس ، وكانت النفوس في خلواتها تذكر السم ... ولا تجسر الالسنة على النطق بهذه الكلمة التي تغضب الجالسة على العرش .

Amly نهضة العرب

وكان بنو مذحج يطوقون البلاط بالحراب ، وجيش معدي كرب وعبد شمس قد استسلم طائعا مختاراً الى قائديه، ثم اقبل ذو مغار وياسر وجبار والغوث وهم يهتفون مع جيشهم الكثير لسيدتهم الملكة ، وقد ظن القوم ان الاحتفال بالزواج مات بموت الملك ، غير انهم رأوا سرح أبين وكهانه وغلمانه يدخلون للقصر ، فايقنوا بان ذلك الاحتفال لم يمت ، وجعلت جواري البلاط وعبيده يرددون اسم همدان . وصدقت الظنون ، فقد كتب الكاهن الاعظم العقد ، وحمل الصدى هتاف الامراء والاشراف الى الوادي ، ولم تمر ساعتان ، حتى اصبح ذو تبع امير همدان زوجاً للارملة العذراء ، بلقيس بنت شرحبيل ، كأن عمراً ابن ذي القرنين ، لم يكن ، وكأن ذلك الحادث الغريب الذي طوته الليلة الماضية ، حادث عادي ، لا تعبأ بلقيس بأمثاله !!

ومهما يكن شأن هذا الحادث ، في نظر التاريخ . فهو في نظرنا مظهر من مظاهر النفس البشرية الضعيفة ، التي تثبت في كل زمان ومكان ان الكمال لله .

* * *

٩٩

لقد قرأت ، في الجزء السابق ، ان سني عمرو بن ذي القرنين على العرش ، كانت عشراً ، على رأي معظم المؤرخين ، اي انه تولى الملك سنة ٣٢٠ بعد المسيح ، ومات مسموماً سنة ٣٣٠ ، التي يفتر ثغرها لبلقيس ، وتبسم لها كما تبتسم الاحلام والامال ، وماذا بقي لبلقيس في الافق ؟! كانت هنالك ذروة من ذرى الشرف فجلست فوقها ، وكان هنالك عرش فتربعت فيه ، وذلك المجد الذي علت نفسها به انقادت اليها اسبابه صاغرة .. تعشقت المعالي ، فوضعت قدمها في الموضع الذي اوحت به المطامع الجبارة ، وأحبت اميرهمدان

Amly نهضة العرب

فزفت اليه ، وكان الدهر عبداً لهذا الحب .. فلم يبق اذن الا ان ترتفع في فضاء المجد حتى تبلغ السماء ، وحتى تضفر لها الاجيال ا كاليل النصر ... وكان زوجها طامعاً مثلها ، ليس لانه من اولئك الرجال الذين يركبون الاخطار ليجلسوا في عروش العظمة والفخار ، بل ليمهد لزوجته سبل الارتفاع . ويجعل اسمها وهيبتها ، ملء المسامع والاذهان ! كأنك تقول ، ان مطامعه كانت صورة لتلك المطامع التي يلمسها في نفس بلقيس ، ويرى آثارها كل يوم ، في حياتها على العرش ، فهو فتى خلق ليكون وفيا ، لتلك الفتاة الساحرة التي سادت اليمن ، بارادة حديدية يزعزع الجبل ولا تتزعزع ، وكانت حياتهما كزوجين ، حياة عاشقين ، يمد الحب الدائم فوقهما رواقه ، واما العرش ... ان العرش لها وحدها ، والهمداني مثل جميع امراء المخاليف رعية له ، يخضع للارادة العالية .. وينفذ الامر الصادر من الشفتين المقدستين ، ولكنه لا يسجد في مجلس الملكة كما يسجد الاخرون !

انه سيد امراء اليمن ، كما هو شرحبيل والهدهاد ، وظل بلقيس يغطي اليمن من السهول الى الاودية ، ومن الشاطىء الى الجبل ، ظل خفيف محترم ، تبسطه ايدي الحكمة : واللين والدهاء ، وقد جعلت رجالها جميعهم امناء لها ، لا تكلم احدهم سراً ، ولا تنفرد في رأي ، كأن اولئك الامناء مجلس شورى هي رئيسته وفكره الناضج الرشيد .

ولكل رجل عمله في الدولة ، معدي كرب وعبد شمس قائدا المشاة والفرسان يرجعان الى قائد هام هو ذو تبع نفسه ، وناشروعتيك مستشارا العرش، وحاشد قهرمان البلاط يعاونه نائل ، اما أبوها وأخوها فليس لهما الا ان يشهدا مجلس الملكة ، ويشاركاها في الرأي ، ويكونا قائدين في ساحات الحرب ، اذا ظهر لبلقيس عدو .

واما الانصار الذين عرفت ، من ذى مغار الى جابر بن مفروق، فقد انصرفوا الى ارضهم يساعدون الملكة في حفظ الامن ونشر هيبتها في كل فضاء ، ولم يكن في اليمن ما يعكر على القوم صفو العيش ، الارض والسماء حليفتا بلقيس ، والناس عبيد لها يذكرون اسمها في الميا كل على مسمع الالهة .. ووفود الامة العربية ،

Amly نهضة العرب

من جميع الإقطار تحج اليمن لترى الملكة الحسناء ، حتى قيل انه لم يمر يوم الاوفي البلاط وفد عربي ، وحتى اعجب العلي اسكندي وسابور ذو الاكتاف بما سمعاه عن فتاة حمير فارسلا الى مأرب رسلا يحملون اخبارها اليهما .

اجل ، كانت مأرب في عهد بلقيس محجاً للغرباء ، حتى اذا رجعوا الى بلاد قومهم رجعوا حاملين الوية الاعجاب والثناء .. وبلقيس في ايام السلم لا تنام . كانت تشيد الحصون وتبني القصور ، وتجعل للجيش اليمني نظاما يشبه نظام جيش الفرس ، وتعني في اصلاح الداخل ، وتمهيد سبل السعة والرفاه لرعاياها اليمنيين ، وفي اليمن اليوم بقايا قصور يسمونها قصور بلقيس .

• • •

١٠٠

مرت عشرة اعوام جديدة على ملك بلقيس وكأنها في نظر اهل اليمن عام واحد كانت كلها اعوام بهجة ورخاء الا عامين اثنين قلّ فيهما الغيث واجدب القوم ففرجت الملكة عنهم الغم ، واسكتت ، بالعطايا والاحسان ، اصوات الشكوى .

على ان العام العاشر كان عام حرب ، فقد اقبلت الرسل تقول : لقد عادت الحبشة الى الظهور في البحر ، على مراكب كثيرة يلاعب اشرعتها هواء الجنوب الحار .. وليس غريبا ان تشهر الحبشة سيفها على اليمن، في كل زمان ،فالحبشان يذكرون دم قومهم الذي شربته رمال الشاطىء اليمني ولا ينسون الثأر ! اضف الى ذلك ان قسطنطيوس قيصر الروم ، كان قد بعث رسله الى الحبشة يبشرون بالمسيح ، وينشرون النصرانية في تلك الاقاليم الواسعة ، وقد وعد الامراء والاشراف الذين يفكرون في فتح اليمن . بارسال الطوائف من جيشه تساعدهم

Amly نهضة العرب

في ذلك الفتح ، وفوض الى كاهنه فرومنتوس سيد المبشرين ، الذي امسى بعـد ذلك أسقفاً في اكسوم ، ان يغري الحبشان بالوعود والعهود ، فلقي فرومنتوس في الحبشة ارضا خصبة ، وارتفعت اصوات الاشراف عند قصر النجاشي قائلة: النصرانية واليمن .. ثم تغللت فكرة الفتح في الامة ، حتى اضطر العلي اسكندي المريض ، الذي يصارع الموت ، الى ارسال مراكبـه الى الساحل اليمني تحمل الجيش الفاتح ! وكان العلي ، عميدة ، ولي عهد الحبشة ، فتى بعيد النظر كبيـر الهمة ، يطمح الى التوسع في السلطان ونشر النفوذ الحبشي في كل قطر ، وهو الذي مهد الكاهن الرومي سبيل الفوز في مهمته ، على رجاء ان يمد للقيصر يـده الى النجاشي . في حربه مع بلقيس .

على ان العلي عميدة ولي العهد ، لم يستطع ان يرافق الجيش الى الميادين ، بل لم يستطع ان يغادر قصر العلي اسكندي الذي لا يلبث حتى يلفظ الروح ..

ان الملك قبل الحرب ... ومن الحكمة ان يضع يده على العرش والتاج ، عندما يغمض الموت عيني النجاشي المسكين ! وكان اثنان من رجال النجـاشي يقودان الجيش ، وهما يعلمان انهما يقودان الالوف التي تحارب هـذه المرة عن عقيدة وايمان ، وقد ايقنا ، كما ايقن النبلاء والمقربون في اكسوم ، ان جنـود القيصر ، ستتبع جنودهما الى الجنوب .

وكانت بلقيس قد عبأت جيشها وجعلته فرقاً اربعاً يقودها زوجها والهدهاد، ومعدي كرب وعبد شمس ،ولم يرض رجالها بأن تغادر البلاط وتعيش في الجنوب بضعة اشهر ، كما يعيش الجندي الذي نشأ في ساحات القتال : واوصت زوجها واخاها بان يعجل الجيش في الرحيل ، ليتهيأ ، في ذلك الشاطيء لخوض المجال، قبل ان تنزل الحبشة الى البر . وكانت واثقة بان الاثنين سيشرفان اليمن .

* * *

١٠١

كان العلي عميدة ، يكره احد القائدين اللذين وجها الى حرب بلقيس والقائد يعلم ان ولي العهد لا يحبه ولا يطيق ان يراه .. غير ان النجاشي كان راضياً عنه ، فلم يشأ الا ان يبعث به الى ساحة الشرف ، ليتم له الظفر ، على يد من يحب .

فلما وصل الجيش اليمني ، كانت الحبشة قد تركت مراكبها واعدت العدة للقتال ، بعد ان فتكت بعض حراس الشاطيء ، ولم يبق امامها الا ان تضع ايديها على الحصون والابراج التي آثر اصحابها الموت بعد الدفاع ، على الاستسلام وكان ذو تبع يعرف حيل الحبشان وعاداتهم في الميدان ، فامر اهل الابراج بالخروج الى الساحة ، وجعل الجيش قسمين يحمل احدهما السيف في هذا اليوم ، ويحل الاخر محله في اليوم الثاني ، وكانت الواقعة الاولى التي لم تتغير فيها مواقف الجيشين ، ولم ينل الخصم غرضه من الخصم .

ثم عقبتها واقعة اخرى اشد هولا واكثر خطراً ، فغطت الجثث ذلك الميدان الفسيح ، وكادت الحبشة تستظهر على صفوف اليمنيين . على ان ذا تبع كان يرى كل شيء ، وكان يعلم ان ذلك الاستظهار دفاع بائس ، وان جيشه الاخر الذي يتحفز للوثوب ، يستعيد مناعة صفوفه ، في لحظة واحدة ، عندما يأمره بالهجوم على عدوه ، ولكنه لم يحتج الى ذلك ، فقد ثبت اليمنيون كالجبل يثبت امام العاصفة ، ولم تستطع الحبشة ، تجاه هذا الثبات العجيب ، الا ان تتراجع الى الوراء ، عند غروب الشمس ، وتكف عن القتال ، قبل ان يسدل الليل ، ستاره الرائع ، وشاء القدر ، ان يحمل ذلك الليل الى الحبشان نعي النجاشي العلي اسكندي وجلوس العلي عميدة على العرش ، ويحمل اليهم نبأ آخر هو امر الملك بعزل القائد الذي مر ذكره ، عن القيادة وخضوعه لملك آخر هو حامل النعي نفسه ! . فاستولت الدهشة على الصفوف ، وأمست الحبشة حزبين هذا

Amly نهضة العرب

يرى الخضوع للقائد الجديد وهذا يؤثر العصيان على الطاعة والالتجاء الى البحر راجعاً الى اكسوم ، ولم يطلع الصبــح حتى عمد المتمردون الى المـــاء وتفرقت صفوفهم فوق سطحه ، فحسب ذو تبع ان في الامر خدعة ، ولكنه لم يلبث حتى رأى الذعر باديا على الوجوه ، فامر بجيشه كله بان يحيــط بعدوه من الجهـــات الثلاث ، ويقذف به الى البحر كما تعود ان يفعل ، وتم لذي تبع ما اراد ، فان اهل الحبشة لم يثبتوا في المجال ، ولم يستطيعوا الا ان يلجأوا الى الفرار .

وقد قبض جيش بلقيس على طائفة من الفرسان ، وقادهم اسرى حرب الى مأرب لترى الملكة رأيها فيهم ، وجعل هؤلاء الاسرى يقصون على اليمنيــين ، اخبار هذا التفرق ، ويصفون لهم العلي عميدة ، ملكهم البطاش الجديد ، وهكذا انتهت الحرب ، ولم تخسر بلقيس الا القليل من الرجال .

* * *

١٠٢

ارسلت اخبار جلوس العلي عميدة على العرش ، الى جميع الاقطار ، وكـــان قسطنطيوس ، اسبــق الملوك الى ارسال الهدايا يحملها اليه بعض وجوه دولتــه ويهنئونه باسم امبراطور الشرق والغرب .

اجل ، كان العلي عميدة احب الى القيصر من العلي اسكندي واقرب اليه منه ، ان الاول جريء في نشر الدعوة وتعبئة الجيش ، اما الاخر فكان ضعيفاً متردداً في الامرين ، وملك الروم لا يريد ان يجفوه . وكانت بلقيس تعرف ماضي العلي عميدة وتسمع عن هوسه وميله الى الحرب ، الحكايات والاقاصيص ، ينقلهـــا اهل مارب ، عن الحبشان ، لاجل ذلك لم تغتر بالنصر الذي تم لها ، يوم وصل الجنوب نبأ جلوسه ، ان ذلك النصر كان غفلة من غفلات القدر ، وهي لا تريد

Amly نهضة العرب

ان تستسلم كل مرة الى الاقدار .

وكـــانت تقول لمن حولها : اذا لم تعمد اليمن كلها الى السيف لتصون ملك حمير خسرنا كل شيء .

كأنها كانت ترى بعين الحكمة ، ان الذي يستطيع ان يفعله جارها الملـــك الجديد لم يستطيع ان يفعل مثله العلي اسكندي الميت ، وقد رأت اخيراً ان تبعث الى اكسوم طائفة من الجواسيس يرأسها حاشد ، واوصت الجميع بان يحفظوا ما يبصرون وينقلوا اليها ما تسمعه الاذان وتراه العيون ، والبستهم لباس التجار من اهل الهند وكانوا جميعهم يحسنون اللغة الحبشية ، كما يحسنها ابناء اكسوم ، فعلت ذلك في آخر العام الاول للملك الحبشي ، ولم يعد الوفد الا في منتصف السنة الثانية حاملا اليها اخبار القوم .

فقالت لحاشد ورجال البلاط في المجلس : ماذا رأيت في بلاد جيراننا ، قال: رأيت القوم يمشون بخطى واسعة الى النصرانية مذهب الروم !.

ــ ومن ينشرها ؟

ــ رجل ارسله القيصر يدعى فرومنتوس هو سيد الكهان في الحبشة .

ــ والملك ؟

ــ اما الملك فقد اصبح نصرانياً يا مولاتي وهو الذي يغذي مذهب القيصر ويمد يده الى كاهنه الذي يقضي ايامه كلها طائفاً في الاقاليم .

قالت : لينشروا المذهب الذي يشاؤون فهم احرار في بلادهم وليس لنا ان نهتم لمثل هذا .. قل الان الا يتحدث الناس في الحبشة بأمر الحرب ؟

ــ الحرب حديث الناس كلهم ايتها الملكة وتلك هي ارادة الملك الذي يعد العدة للزحف الى اليمن بكل ما في الحبشة من فيلة ، وشباب ، ورجال ، فاشرق جبينها قائلة : لا تستطيع الحبشة كلها ، ولو اجتمعت ان تجاوز الشاطىء ..

ــ ولكن هنالك طوائف الروم .

ــ ماذا ؟

ــ نعم يامولاتي فقد ارسل القيصر بعض رجاله يجعلهم العلي عميدة في مقدمة

Amly نهضة العرب

الجيش .

ـ ورأيت انت هؤلاء الرجال ؟

ـ اجل ، ثم سمعت انه سيجيء الى اليمن طوائف اخرى في العـــام المقبل حتى يصير عدد الروم في الحبشة عشرين ألفاً ..! فاطرقت بلقيس ، تفكر فـيما سمعت ، وقلبها يضطرب ، ان اليمن اذا ثبتت في وجه الحبشان فهي لا تستطيع ان تثبت في وجه الرومان .

واي نبأ هو الذي يحمله حاشد ؟ ايطلق القيصر جنوده على اليمن وبلقيس في مأرب لا تطوف في الاقاليم ولا ترى الرؤساء والزعماء ؟ ايحشد الجيش في البلاط أتهيأ بلادها لرد الغزاة وهي بين الوصائف والعبيد والغلمان ؟. لا .. ان بلقيس لم تخلق لتتمرغ في احضان الدلال بل لتخوض المجال تحت ظلال السيوف وتصعد في سلم المجد الى السماء ! ثم رفعت رأسها قائلة : اتظن يا حاشد ان الحرب ستنشب في هذا العام ؟

ـ لا يا مولاتي فالحبشة اضعف من ان تتهيأ للحرب المقبلة في خلال عامين.

ـ اذن لم يبق الا ان نتهيأ لها بدورنا ، في هذين العامين .. ورأت ، قبل ان تمضي في امرها ، ان تسترشد برأي رجالها ، فقالت لعتيك : رأيك الان ايها الامير وكان الرجل غائصا في لجة التفكير ، فقال : ارى ان تبعث الملكة وفداً الى العلي عميدة ينظر معه في وضع حد للحرب حقنا للدماء .

قالت : هذا هو الذل الذي لا تريد الملكة ان تلوث شرفها به .

ـ بل هو الدهاء يا مولاتي تستعينين به على بلوغ للغاية ..

ـ لا نعمد الى الدهاء ، في مثل هذه الحال ، الا اذا غلبنا على امرنا ، ونحن لم نغلب بعد .

ـ ولكن اليمن لا تستطيع ان تتصدى للقيصر ..

قالت : خير لنا ان نموت ونحن شرفاء ، من ان يستخف بنا صاحب الحبشة اتراه نسي ان الجيش اليمني تعود ان يصبغ البحر ، كل مرة ، بدماء قومه ؟؟

ـ وهل نقدر ان نصبغه هذه المرة بدماء الروم ؟

ـ من يعلم فقد تكون رقاب الروم ثمنا لهذه العداوة التي يظرهـا القيصر ، لشعب ليس له معه شأن ٠

فقـال ذو تبع : سيظن العلي عميدة ، اذا ارسلنا اليه من يحدثه بأمر الصلح ، ان الملكة تخاف الحرب ، وتخشى ان تلعب بالنار ٠٠

وهكذا قال معدي كرب وعبد شمس ، وظل شرحبيل والهدهاد ساكتين لا يقولان كلمة ولا يبديان رأيا ، اما عتيك فقال : رأي آخر ايتها الملكة ٠

ـ اسمعنا اياه

ـ الا ترين ان نضع ايدينا بيد قسطنطيوس نفسه ؟

ـ وكيف يكون ذلك وهو حليف الاعداء ؟

قال : من مصلحة الروم يا مولاتي ان يحالفوا أصحاب القطر العربي ليكونوا اعوانا لهم على سابور الفاتح ٠

قالت : انسيت ان القيصر يدعو الناس اليوم الى اتباع دينه ؟

ـ ليفعل ما يشاء فليس لنا في دينه رأي ٠

ـ ولكنه سيشترط علينا ان ينتصر اليمنيون كما يتنصر الحبشان ٠

قال : اجعليني رسولك اليــه يا مولاتي تري غير ما تظنين ، فعلت اصوات القوم قائلين : ما لنا وللروم فنحن لا نترك آلهتنا ! فأسكتتهم قائلة : لقد انتهينا الان فسنحارب الدولتــين وننتصر على الملكين ولو جعلا جيشهما من عصائب الجن ٠٠ وجعلت تنظر معهم في شؤون الجند القادر على حمل السيف ، ثم طلبت اليهم ان يتهيأوا للطواف معها في المخاليف لتنفخ في صدور القوم روح الحرب ٠

وقالت لابيها : اما انت يا ابي فقد عهدنا اليك في امر العرش ريثما نعود ٠٠

ولم تتردد فيما فكرت فيه ، بل نهضت لتعد عدة الرحيل ، وتبعها زوجهـا والهدهاد ليساعـداها في ذلك الامر ٠ واما عتيك فمشى متثاقلا وكان يقول لشرحبيل : ويل اليمن اذا خرجت من يد بلقيس ...

* * *

Amly نهضة العرب

١٠٣

نحن الان في سنة ٣٤٥ ، وقد مر على الحبشة ، بعد موت العلي اسكندي ، خمسة اعوام كاملة ، كان العلي عميدة يتهيأ فيها الحرب ! حتى ملأ جيشه اكسوم وما حولها من جبل وسهل ، وحتى روضت الافيال على القتال . وكان القيصر قد ارسل جنوده ،ليخضعوا اليمن لحليفه النجاشي ، وهم بضعة عشر الفا جميعهم رجال شدة وبأس ، وقد استطاعت بلقيس ، في السنواتي الخمس التي مضت ، ان توجه الى الميدان جيشا لم تر اليمن مثله منذ وجد حمير .

ولكن جسدها النضير الغض ، هوى تحت وطـأة الطواف الشاق ، والسهر المضني ، والجهد المستمر ، حتى انها لم تستطع الرجوع الى مأرب ، الا في محفة يحملها الرجال ! . كأنها ارادت ان تخسر حياتها ، قبل ان تخسر المجـد الذي تربعت في قمته ، فبذل الكهان ـ وهم الاطباء ـ جهدهم كله ليعيدوا النضارة الى ذلك الوجه ، والقوة الى ذلك الجسم الهاوي ، فلم يقدروا، وضاعت صلوات اليمنيين وادعيتهم كما يضيع الصدى في الوادي ، وكما ضاع مجهود زوجها وابيها واخيها ، في معالجة المرأة التي عبدوها كما عبدوا الالهة .

مسكينة بلقيس ، انها لم تبلغ الخريف من العمر ، فهي في العقد الخامس وطموحها العجيب لم يرتو من العز .

مسكينة بلقيس ، فقد مضى على زواجها وملكها خمسة عشر عامـا ولم تنعم الالهة عليها بولد يرث العرش ، فجعلت اخاها ولياً لعهدها ، وفوضت اليـه ، عندما صرعها الداء ، ان يشهر باسمهـا الحرب ، ويعقد للصلح كأنـه هي ، وشرطت عليه ، ان يشاركه زوجها في الرأي ·· على ان صـاحب همدان لم يكن يبالي الا بزوجته . واي طمع له في ابهـة الملك اذا كانت جواهر التـاج

نهضة العرب Amly

الحميري لا تتلألأ فوق رأس بلقيس ، بل اي طمع له في اليمن كلها اذا اغمض الموت عيني بلقيس وانطفأ ذلك الشعاع الذي كان نـوراً لنفسه وقلبه ! اجل ، لقد جاوز ذلك الزوج الوفي ، جميع حدود الوفـــاء وكان يقول لرجال البلاط : اقسم بالالهة اني ساحب الموث اذا وضع الموت يده على من احببت ، ولم يشأ ان يرافق الجيش الذي خرج للدفاع عن الوطن ، لانه كان واثقا بان هذا الوطن سيضيع اذا لم تكن بلقيس حية تحت سمائه ! كذلك فعل شرحبيل الشيخ ... ارادت ابنته ان يرأس مع الهدهـــاد جيش الجنوب فلم يرض ، ومكث الاثنان بالبلاط يعالجان الملكة الجبارة بالعناية والحب ، مع طائفة من الوصائف الكهان· وعندما كان الجيش اليمني يمشي بخطى سريعة الى غايته ، كانت حسناء اليمن ، ولؤلؤة العرب ، تمشي بخطى سريعة ، الى القبر ، فالمجد والعز لله الذي لا يموت ·

• • •

١٠٤

تراجع جيش الهدهاد ، مضطربا مغلوبا ، والذعر يملأ قلوب رجاله ·

وماذا تفعل اليمن وروما والحبشة تمتشقان الحسام ومراكبهما تتهادى فوق المياه وهي تقذف الجنود كالجراد الى الشاطىء ؟؟

وكيف يكتب النصر لبني حمير وملكتهم المعبودة التي يهب وجهها لهم النصر ، تتقلب بين ذراعي الموت ، وابوها وزوجها اللذان هما سيدا الميادين ، يقـــيمان بالبلاط فريسة للالم والكآبة ؟

ان لكل جيش ، قوة معنوية تكمن في شخصيات بعض رجاله لا تذكر معها السيوف والحراب ·

لقد كان كل شيء ، في ذلك الميدان النائي ، يحارب الهدهاد ، الهم من جانب وحراب العدو من جانب ، ولا تنس الافيال فقد كانت وجدها جيشا مدربــا تحسبه جلاميد صخر ...

لاجل ذلك خسر الهدهاد الحرب ، بل خسر البلاد التي جعلته الاقدار سيدها بعد اخته ، وخسر ما ورثه من تلك الاخت من العز ..

كان الغازي ينتقل من فتح الى فتح ، ومن نصر الى نصر ، والهدهاد يتراجع هاربا من ضرباته ، حتى استسلمت شواطىء الجنوب على طول الخط ، وخضعت لسيف الغالب للقوي ، تريم ، وشبام ، وشبوة ، القريبة من مأرب والتي جعلت مقراً لجنود الفاتح .

ثم اطلقت مراكب النجاشي ، رجالها من الجانب الاخر ، فاستولى اولئك الرجال ، على مخا ، ثم انتقلوا الى ظفار ، ونزل جيش آخر في صنعاء ثم توغل فضرب خيامه في صرواح ، ومعنى هذا ان اليمن خرجت من ايدي اصحابهــا واصبحت مأرب من نواح ثلاث ضمن نطاق من السيوف .

وكان الهدهاد مع فلول جيشه ، قد رجع الى مأرب وهو دامي الفؤاد ، دامع العين ، رجع ليحتمي وراء سورها المنيع مــع انصاره الامناء ، ويقص على شقيقته اخبار تلك الهزيمة التي لوثت حمير بالذل والعار .

ولكن تلك الاخبار كانت تبلغ بلقيس وهي تودع الحياة ، ولم يدخل الهدهاد البلاط الا ليرى صاحبة العظمة والسلطان ، جثة خرساء ..

اجل .. ماتت بلقيس وهي ترى الدموع في عيون ابيها وزوجها ووصائفها وغلمانها .. ماتت وهي تنظر الى التــاج ، نظرة المستخف بالحياة ، وكــانت تقول:

سأموت وسيموت بعدي مجد حمير ، فلتذكر اليمن ماضيها ولتسترجع هذا المجـد .

ولم يذكر التاريخ، كيف مات ذو تبع وشرحبيل، بل لم يذكر بعدها أحداً من رجالها غير الهدهاد ، وكأن موتها موت لجميع اولئك الرجال ..

Amly نهضة العرب

ولبس اهل مأرب السواد على ملكتهم ، وحملوا نعشها ثلاثة ايام يطوفون به في ساحات القصر ، ثم دفنوها وهم يعلمون انهم دفنوا الامال ...

* * *

١٠٥

ظل الهدهاد ملكاً ولكن بالاسم ... واي شأن للملك المغلول اليدين ؟

نعم ، لقد رحمه التاريخ فأحصى سني ملكه ، بعد موت بلقيس ، وكانت هذه السنون ، ملكاً لسواه ...

على ان القريب الى الذهن ، انه كان مالكاً في ظل الحبشة ، بل قل كان عاملا للنجاشي ، يخضع لارادته كما يخضع الضعيف للقوي .

نقول هذا، والتاريخ يشهد ، ان «العلي عميدة» تولى امر اليمن والحبشة ، بعد ذلك الظفر ولكنه لم يعش غير ثلاثة اعوام ، توفي سنة ٣٤٨

وخلفه ولده « عبز اناس » اي اذينة ، كما يقول « غلازر » من سنة ٣٤٨ الى سنة ٣٦٥ ، ثم جلس على العرش بعده اخوه سازاناس « شاذان » الى سنة ٣٧٤ ، حيث توفي وتوفي الهدهاد .

وفي خلال التسعة والعشرين عاماً ، التي مرت على وفاة بلقيس ، كانت اليمن تتمخض لتلد رجلا حميرياً يرث عرش آبائه ، ويعصب رأسه بتاجهم الذهبي ، وقد انبتت اليمن هذا الرجل ، فهو تبع « ملكيكرب ينعم » تولى الملك بعد موت شاذان والهدهاد وطرد الحبشان من بلاده ، ومع ذلك التاريخ ، الى سنة ٥٢٥ ، واليمن في قبضة الحميريين ، ثم فتحتها الحبشة ، آخر مرة كما سيجيء .

اما الملوك الذين خلفوا ملكيكرب ، فهم ولده ابو كرب اسعد ، ثم حسان بن اسعد ، ثم شرحبيل بن اسعد ، ثم شرحبيل ينوق ، ثم معدي كرب ينعم وابنه

Amly نهضة العرب

لهيعة ،ثم مرثد اللات ينوف ، ثم ذو نواس ويسميه اليونان دميانوس ، الذي انتهى ملكه سنة ٥٢٥ .

ويذكرون بعد ذي نواس ، ذا جدن ، ولكن هذا لم يكن له حكم .

• • •

١٠٦

لقد ذكرنا ،لقراء الليالي ، في رواية الملك الغساني « الحارث الاكبر » شيئاً عن هذا الفتح الاخير الذي مر ذكره .

ولكننا لم نتبسط في ذكر الاسباب كما نتبسط الان .

اقرأ هذا الفصل ، عن كتاب العرب قبل الاسلام :

«اختلف الرواةفي سبيل هذا الفتح ، فالمؤرخون العرب ينسبونه الى اضطهاد اليهودللنصارى وكانت اليهودية قد دخلتاليمن على يد احد ملوك حميرورغب فيها الناس فانتشرت في اليمن كلها ، وكانت دولة الروم قد تنصر قياصرتها واخذوا يهتمون بنشر النصرانية وتأييدهـــا ويستعينون بها ، على نشر نفوذهم وتوسيع دائرة تجارتهم ، فارسل بعضهم فرومنتوس « الذي ذكرناه » الى الحبشة فنشر النصرانية فيها ، ثم اخذت تتسرب الى جزيرة العرب ، وخصوصاً نجران وعدن، وارسلوا اليهما الكهنة ،وبنوا في نجران مزاراً عرف بكعبة نجران ، فيه القسيسون والرهبان ، وأفضت حكومة حمير ، في اوائل القرن السادس « سنة ٥٢٥ » الى ملك منهم ــ قرأت اسمه الان ــ هو ذو نواس وكان شديد التعصب لليهودية ، فغزا اهل نجران ، ثم حصرهم ، ثم ظفر بهم ، فخدد لهم الاخاديد ، وعرض عليهم اليهودية فامتنعوا فحرقهم ، وحرق الانجيل ، وهدم بيعتهم ثم انصرف

الى اليمن . وافلت منه رجل اسمـــه دوس ثعلبان على فرس أركضه حتى اعجز القوم في الرمل ومضى الى قيصر الروم يستغيث به .

فاعتذر القيصر ببعد الشقة ، ولكنه كتب الى ملك الحبشة يحرضه على نصرته وفتح اليمن . فلما وصل كتاب القيصر الى النجاشي ، امر احد قواده « ارباط » ان يخرج معه فينصره .

فخرج ارباط في سبعين الفاً وقود على جنـــده قواداً من رؤسائهم ، واقبل بفيله وكان معه ابرهة بن الصباح .

وكتب ملك الحبشة لارباط عهداً جاء فيه :

« اذا دخلت اليمن فاقتل ثلث رجالها ، وخرب ثلث بلادها ، وابعث الي بثلث نسائها ... »

فخرج ارباط في الجنود ،فحملهم في السفن في البحر ، وعبر بهم حتى وردوا اليمن وقد قدم مقدمات الحبشه ، فراى اهل اليمن جنداً كثيراً فلما تلاحقـــوا قام ارباط في جنده خطيباً فقال :

« يا معشر الحبشة انكم لن ترجعوا الى بلادكم ابداً . هذا البحر بين ايديكم ان دخلتموه غرقتم وان سلكتم البر هلكتم واتخذتكم العرب عبيداً فليس لكم الا الصبر حتى تموتوا او تقتلوا عدوكم » فجمع ذو نواس جمعاً كثـــيراً ثم سار اليهم فاقتتلوا قتالا شديداً فكـــانت الدولة للحبشة فظفر ارباط وقتل اصحاب ذي نواس وانهزموا في كل وجه .

فلما خاف ذو نواس ان يؤسر ، أركض فرسه واستعرض به البحر وقال : الموت في البحر احسن من الاسر ، ثم اقحم فرسه لجـــة البحر فمض به الفرس وكان آخر العهد به .

ثم خرج اليهم ذو جدن الهمداني في قومه ، فناوشهم وتفرقت عنه همدان ، فلما تخوف على نفسه قـــال : ما الامر الا ما صنع ذو نواس واقحم فرسه البحر فغرق ...

ودخل ارباط اليمن ، فقتل ثلثاً وبعث ثلث السبي الى ملك الحبشة ، وخرب

Amly نهضة العرب

ثلثاً ، وملك اليمن ، وقتل اهلها وهدم حصونها .

* * *

١٠٧

ذلك ما ترويه العرب عن اسباب الفتح ، واما اليونان فينسبونه الى سبب تجاري مالي .

وذلك ان اليمنيين لما تضعضعت احوالهم بتقهقر دولتهم وخروج مقاليد التجارة من ايديهم ، كان الروم قد اخذوا ينشرون نفوذهم في الشرق بواسطة النصرانية ، وتيسر لتجارهم المرور في بلاد اليمن ، بين خليج العجم والبحر الاحمر ، يحملون تجارة الهند الى الحبشة ، ثم الى مصر ، والعرب يشق ذلك عليهم ولا حيلة لهم في منعهم فجعلوا يضايقونهم في الرواح والمجيء .

وأراد الفرس في اثناء ذلك ان يعرقلوا مساعي الروم اعدائهم القدماء في متاجرهم ، عن طريق جزيرة العرب ، فنزل جند منهم بشواطيء خليج العجم من جزيرة العرب . فارسل القيصر يوستين الى بني حمير ان يردوا الفرس عنهم ، وبعث من جهة اخرى الى الحبشان ان يأخذا بأيدي تجار الروم في ذلك السبيل ، كذلك فعل يوستنيان لما تولى ؛ ولم يطل عهد الوفاق فعادت العرب الى معارضة قوافل الروم ، قال تيوفانس : واتفق في اوائل القرن السادس ، ان الحميريين تعدوا على تجار الروم ، في اثناء اجتيازهم اليمن ، بتجارتهم الهندية ، وقتلوا جماعة منهم ، فتوقفت حركة التجارة ، فشق ذلك على الحبشة ، فتجندت لفتح الطريق ، وقطعت البحر الاحمر ، تحت راية ملكها هداد ، وحاربت حمير ، فقتلت ملكهم دميانوس « اي ذا نواس » وجددوا المعاهدة مع قيصر الروم يوسنتيان ، على شرط ان ينتصر اهل اكسوم .

وارسلوا الى الاسكندرية وفداً يطلبون قسيساً يعمدهم ويعلمهم فارسل اليهم رجلا تقياً اسمه يوحنا صار بعدئذ اسقفاً على اكسوم ، وبعد ان اقتصت الحبشة من الحميريين، انسحبت الى بلادها فعاد الحميريون الى ما كانوا عليه وعادت التجارة الى الانقطاع .

فأعاد اليسباس ملك الحبشة الكرة ، وفتح بلاد اليمن فتحاً بحملة كبيرة حارب بها الحميريين وغلبهم على بلادهم وولى عليها اميراً مسيحياً اسمه اسيافيوس، واوعز اليه ان يحمل اهلها الى النصرانية استنجاداً بالدين على السياسة ، وقد استعان باسقف اسمه جريجنتوس كان خطيباً مفوها وعالما كبيراً على ان يبذل جهده في ذلك السبيل .

ولم يطل حكم اسيافيوس على حمير ، لانهم ثاروا عليه وخلعوه ، فارسل اليسباس جنداً لاخضاعهم ، فانضم الجند الى العصاة ، ولكنه عندما يئس من اذلالهم ، قنع بعرض الصلح بينه وبينهم .

تلك هي اقوال اليونان عن اسباب الفتح ، ولعلها اقرب الى الوقائع لانها مأخوذة عن مصادر كتبها اصحاب الشأن المعاصرون ، وقد عثر الضابط ولستد، في شواطئ اليمن ، على مرتفع اسمه حصن غراب ، او حصن الغراب ، عليه نقوش بالحميرية قرأها المستشرقون بعد ذلك فاذا فحواها :

« ان سميفع أشوى واولاده .. نقشوا هذا التذكار في حصن مويجت «حصن غراب » لما رمموا اسوارهم ورواياهم ودروبهم في الجبال وتحصنوا فيه بعد ان فتحوا اليمن وغلبوا اهلها وفتحوا طريق التجارة في ارض حمير وقتلوا ملكها واقياله الحميريين والارحابيين » .

فاذا كان المراد بالسميفع واولاده قواد حملة الحبشة فيكون ذلك اقرب الى ما ذكره اليونان لان السميفع يشبه لفظ اسيافيوس ، المتقدم ذكره .

لكنهم قرأوا على آثار اليمن ، اسم القائد الحبشي ، كما ذكره مؤرخو العرب « ابرهة » مكتوباً في « خرطوش » بالخط الحميري ، كما كان الفراعنة يكتبون اسماءهم ،وبجانب اسم ابرهة ، خرطوش ، باسم اراحميس زبيان ، الملك الحبشي

Amly نهضة العرب

الذي ارسله .

وقد وصف العرب تمرد بعض الحبشان ، المشار اليهم ، على البعض الاخر ، قالوا :

ان بعض قواد ارباط ، نقموا عليه تميز بعضهم بالعطاء او الغنائم ، فاجتمعوا بقيادة احدهم ابرهة وحاربوه .

قال الطبري في تاريخه ، عن ابن اسحق :

« انحاز الى كل واحد منهما ، اي ارباط وابرهة ، طائفـة من الجيش ، ثم سار احدهما الى الاخر ، فلما تقارب الناس ودنا بعضهم من بعض ، ارسل ابرهة الى ارباط :

ان الحبشة اذا اشتبكت سيوفها تفنى ، فابرز لي وابرز لك فأينا اصاب صاحبه انصرف اليه جنده .

فأرسل اليه ارباط : لقد انصفتني فاخرج .

فخرج اليه ابرهة ، وكان رجلا قصيراً لحيماً ، وكان ذا دين في النصرانية ، وخرج اليه ارباط وكان رجلا عظيماً طويلا ، وفي يده حربة ، وخلف ابرهـة ربوة تمنع ظهره وفيها غلام يقال له عتودة .

فلما دنا احدهما من صاحبه رفع ارباط الحربة فضرب بها على رأس ابرهة يريد يافوخه ، فوقعت الحربة على جبهته فشرمت حاجبيه وعينه وانفه وشقتـه فبذلك سمي ابرهة الاشرم .

وحمل عتودة غلام ابرهة على ارباط ، من خلف ابرهة فقتله وانصرف جند ارباط الى ابرهة وانضوت الحبشة في اليمن تحت لوائه ، وكان كلما صنع ابرهة ، بغير علم النجاشي ، فلما بلغه ذلك ، غضب غضباً شديداً وقال : عدا على اميري فقتله بغير امري ؟!

ثم حلف لا يدع ابرهة حتى يطأ بلاده ويجز ناصيتـه ، فلما بلغ ذلك ابرهة حلق رأسه ، ثم ملأ جراباً من تراب اليمن وبعث بذلك الى النجاشي وكتب اليـه :

نهضة العرب Amly

ايها الملك ، انما كان ارباط عبدك وانا عبدك فاختلفنا في امرك وكل طاعته لك الا اني كنت اقوى منـــه على امر الحبشة ، واضبط لها واسوس لها ، وقد حلقت رأسي كله حين بلغني الملك وبعثت اليـــه بجراب من تراب اليمن ليضعه تحت قدميه فبر في قسمه ...

فلما انتهى ذلك الى النجاشي ، رضي عنه وكتب اليه : ان اثبت على عملك بارض اليمن حتى يأتيك امري .

فلما رأى ابرهة ان النجاشي ، قد رضي عنه وملكه على الحبشة وارض اليمن بعث الى ابي مرة ذي يزن ، فانتزع منه امرأته ريحانة ابنة علقمة بن مالك بن زيد ابن كهلان وكانت قد ولدت لابي مرة ، معدي كرب ، فولدت لابرهة مسروقاً وبسباسة ، وهرب منه ابو مرة .

وظل ابرهة على عرشه عشرين سنة ، وخلفه ابنـــه يكسوم فملك تسع عشرة سنة ، ثم ملك اخوه مسروق اثنتي عشرة سنة .

ونشرت الحبشة ، النصرانية في حمير ، في اثناء هذا الحكم ، فبنى ابرهة في صنعاء كنيسة كبيرة سماها « القليس » تحريف اسم الكنيسة في اليونانية ، وبالغ في تزيينها واتقانها فنقشها بالذهب والفضة والزجاج والفسيفساء وألوان الاصبـــاغ وصنوف الجواهر ، وجعل فيها خشباً له رؤوس كرؤوس الناس ، وجعل على خارج القبة برنساً فاذا كان يوم العيد كشف البرنس عنها فيتلألا رخامها مـــع الوان الاصباغ حتى تكاد تخطف البصر .

وكتب على بابها بالحرف المسند :

« بنيت هذا لك من مالك ليذكر فيه اسمك وانا عبدك » كما يقول يا قوت.

وطال البلاء على اليمن ، فقد ذلت في ذلك الفتح الاخير ، اربعاً وسبعين سنة ، من ارباط الى مسروق . وكان بين امراء حمير ، رجل اسمه سيف بن ذي يزن ، فاستنجده قومه ، فخرج حتى قدم على قيصر الروم ، فشكا اليه ما هم فيـــه ، وطلب ان يخرج الحبشة ويليهم هو ، ويبعث اليهم من شاء من الروم فيكون له ملك اليمن ، فلم يجد عند القصر شيئاً مما يريد .

Amly نهضة العرب

فخرج حتى قدم الحيرة ، على النعمان بن المنذر ، فشكا اليه مـــا هم فيه من الذل والبلاء ، فقال النعمان : ان لي على كسرى وفـــادة في كل عام فأقم عندي حتى يكون ذلك فأخرج بك .

فأقام عنده حتى خرج النعمان الى كسرى ، فخرج معه ، فلما قدم النعـــمان على كسرى وفرغ من حاجته ذكر له سيفاً وما قدم له ، وسأله ان يأذن له في المثول بين يديه ، ففعل ، وكـــان كسرى اذا استوى في مجلسه ، ادخل رأسه في تاجه المعلق الذي لا تستطيع عنقه ان تحمله ، فلما دخل ابن ذي يزن ، سجد له ثم قال : ايها الملك ، غلبتنا على بلادنا الاغربة ، اي العبيد الذين يشبهون الغربان،

فقال كسرى : اي الاغربة ، الحبشة ام السند ؟.

ـ الحبشة يا مولاي فقد جئت لتنصرني عليهم وتخرجهم عني ويكون ملك بلادي لك فأنت احب الينا منهم ، قال : بعدت ارضك من ارضي وهي ارض قليلة الخير انما بها الشاء والبعير وذلك مما لا حاجة اليه .

ثم امر له بعشرة الاف درهم وكساه كسوة حسنة .

فخرج سيف وجعل ينثر دراهمه للنـــاس ينهبها الصبيان والعبيد والاماء .

فقيل لكسرى : العربي الذي اعطيته ما اعطيته ينثر دراهمه للناس ينهبها العبيد والصبيان !!

فقال ان لهذا الرجل شأناً ائتوني به .

فلما دخل عليه قال : عمدت الى حباء الملك الذي حباك به تنثره للناس ؟

قال : وما اصنع بالذي اعطاني الملك وجبال ارضي فضة وذهب ؟ انما جئت ليمنعني الملك من الظلم ويدفع عني الذل !! فجمع كسرى ومرازبته واهل الرأى الذين يستشيرهم في امره وقال : ما ترون في هذا الرجل وما جاء لاجله ؟

فقال قائل منهم : ايها الملك ان في سجونك رجالا قد حبستهم للقتل فلو انك بعثبهم معه فان هلكوا كان الذي اردت بهم وان ظهروا على بلاده كان ملكـــاً ازددته الى ملكك .

فقال : هذا هو الرأي احصوا لي كم في سجوني من الرجال .

Amly نهضة العرب

فوجدوا في السجون ثمانماية رجل ، فقال : انظروا الى افضل رجل منهم حسباً وبيتاً واجعلوه عليهم .

فوجدوا رجلا يـــدعى وهرز وكان ذا سن ، فبعثه مع سيف وامره عـــلى اصحابه ، ثم حملهم في ثماني سفائن في كل سفينة مائة رجل .

فخرجوا حتى اذا خاضوا البحر غرقت سفينتان بما فيهما ، فخلص الى ساحل اليمن من ارض عدن ست سفائن فيهم ستمائة رجل .

فلما انتهوا الى ارض اليمن ، قال وهرز لسيف :

ما عندك الان ؟

قال : ما شئت من رجل عربي وفرس عربي ثم اجعل رجلي مع رجلك حتى نموت جميعا او نظهر جميعا .

وجمع سيف من استطاع من قومه ، وسمع بهم مسروق بن ابرهة فجمع اليـــه جنده من الحبشة ثم سار اليهم .

فلما تقارب الناس بعث وهرز ابناً له كان معـــه يقال له نوزاد على جريدة خيل وقال له : ناوشهم القتال حتى ننظر كيف قتالهم .

فخرج اليهم فناوشهم شيئا من قتال ، ثم تورط في مكان لم يستطع الخروج منه فقتلوه ، فزاد ذلك وهرز حنقاً عليهم . ثم اصطفت الصفوف فقال وهرز: اروني ملكهم .

فقالوا : ترى رجلا على فيل عاقداً تاجه على رأسه بين عينيه ياقوتة حمراء ؟

قال : نعم .

فقالوا : هذا ملكهم .

قال : اتركوه ... ثم وقفوا طويلا ، فقال : على ما هو ؟

قالوا : قد تحول على الفرس .

فقال : اتركوه ... فوقفوا طويلا ، ثم قال : على ما هو ؟

قالوا : قد تحول على البغلة .

قال : ابنة الحمار ؟ ذل وذل ملكه هل تسمعون ؟ اني سأرميه ، فأن رأيـــتم

نهضة العرب Amly

اصحابه وقوفاً لم يتحركوا فاثبتوا حتى اتكلم فاني قد اخطأت الرجل ، وان رأيتم القوم قد استداروا به فقد اصبت الرجل فاحملوا عليهم ، ثم اوتر قوسه وكانت لا يوترها غيره من شدتها ...

ثم امر بحاجبيه فعصبا له ، ثم وضع في قوسه سهما فغط فيها حتى اذا ملأ ها ارسلها فصك بها الياقوتة التي بين عينيه فتغلغل السهم في رأسه حتى خرج من قفاه وتنكس عن دابته ، واستدارت الحبشة به .

فحملت عليها الفرس ، فانهزم الحبشان وقتلوا وهرب شريدهم في كل وجه. فأقبل وهرز يريد صنعاء يدخلها ، حتى اذا اتى بابها قال لا تدخل رايتي منكسة ابداً اهدموا الباب .

فهدم باب صنعاء ، ثم دخلها ناصباً رايته يسار بها بين يديه .

فلما ملك اليمن ونفى عنها الحبشة ، كتب الى كسرى :

لقد ضميت لك اليمن واخرجت من كان فيها من الحبشة .

وبعث اليه بالاموال .

فكتب اليه كسرى يأمره بان يملك سيفاً على اليمن وارضها وفرض كسرى علي سيف خرجاً وجزية يؤديهما اليه في كل عـــام ، وقد قرأت شيئاً من هذا في أول من هذه الرواية .

وكتب كسرى الى وهرز ان ينصرف اليه فانصرف واستوى سيف بن ذي يزن في العرش اليمني ، عرش اجداده الحميريين .

وفي ذلك يقول امية بن ابي الصلت الثقفي من قصيدة :

لا يطلب الثأر الا كابن ذي يزن — في البحر خيم للاعداء احوالا
اتى هرقل وقد شالت نعامتهم — فلم يجد عنده بعض الذي قالا

ومنها :

من مثل كسرى شهنشاه الملوك له ، — او مثل وهرز يوم الجيش اذ صالا
لله درهم من عصبة خرجوا — ما ان ترى لهم في الناس امثالا
غر جحاجحة ، بيض مرازبة ، — اسد تربب في الغيضات اشبالا

ومنها :

فاشرب هنيئاً عليك التاج متكئاً، في رأس غمدان داراً منك محلالا

ثم عدا سيف على الحبشة ، فجعل يقتل رجالها ويبقر نساءها عما في بطونهن حتى اذا افناها الا بقايا منها قليلة ذليلة فاتخذهم حراساً وخولا يسعون بين يديه بالحراب .

ومكث على ذلك حيناً غير كثير ، ثم خرج يوما وحراسه الحبشان معه يسعون بالحراب . حتى اذا كان في وسط منهم جعلوا يطعنونه بحرابهم حتى قتلوه ، ووثب رجل منهم فقتل باليمن وافسد .

فلما بلغ ذلك كسرى ، بعث اليهم وهرز في اربعة الاف من الفرس وامره بان لا يترك في اليمن اسود ولا ولد عربية من اسود الا قتله صغيراً او كبيراً ولا يدع رجلا جعداً قد شرك فيه السودان الا قتله .

فأقبل وهرز حتى دخل اليمن ، ففعل ذلك ولم يترك بها حبشيا الا قتله ، ثم كتب الى كسرى بذلك .

فأمره كسرى عليها فكان عليها حتى هلك .

ثم خلفه ابنه المرزبان حتى هلك .

وقام بعده حفيده خرّ خسره ، فغضب عليه كسرى فعزله عن الامارة وولى رجلا يدعى باذان لم يزل عليها حتى بعث الله رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم .

وكانت الحبشة قد جعلت صنعاء عاصمة لليمن ، والملك يجلس في قصر غمدان العظيم الباقية اثاره الجبارة الى اليوم .

وصنعاء مدينة طيبة الهواء تغنى الشعراء في وصفها واطراء هوائها وطقسها ، قال ابو محمد اليزيدي من قصيده ذكرها ياقوت :

قلت ونفسي جم تأوهها ، تصبو الى اهلها ، واندهها

سقياً لصنعاء لا ارى بلداً ، اوطنه الموطنون يشبهها

خفضا ولينا ولا كبهجتها ، ارغد ارض عيشا وارفهها

كأنها فضة مموهة ، احسن تمويهها مموهها

نهضة العرب Amly

الى آخر ما جاء فيها من وصف محاسنها الخلابة ...

هذا هو تاريخ بلقيس ، وتاريـــخ اليمن القديم ، قرأتهما في ثلاثة اجزاء ، وستقرأ عن اليمن اشياء اخرى ، في الروايات التي تصدرها دار الأندلس .

ولقد ذكرنا لك من قبل ، انه لم يبق من دول العرب ـ قبل الاسلام ـ غير دولة اليمن ، ولكن نسينا ان هنالك دولة عربية مثلت دوراً سياسيا خطيراً تحت سماء بلاد العرب ، هي دولة .

تمت رواية بلقيس ملكة اليمن

Amly نهضة العرب

صدر من سلسلة

روايات تاريخ العرب والإسلام

- الحارث الأكبر الغساني
- النعمان الثالث
- بلقيس ملكة اليمن ١/ ٢
- زينب ملكة تدمر ١/ ٢
- حسناء الحجاز ١/ ٢
- الحارث ملك الأنباط
- هند والمنذر
- هند أسيرة كليب
- اليتيمة الساحرة ١/ ٢
- فتاة الشام
- محمد وأم كلثوم
- فاجعة كربلاء
- خيانة وعد
- لقاء المحبين
- السفاح والمنصور
- الأمير العاشق



دار الأندلس
للطباعة والنشر والتوزيع